سلسلة مؤلفات سماحة الشيخ عبد الله ابن جبرين رحمه الله ٥٤

التعليق على كتاب

الحيدة والاعتذار

في الرد على من قال بخلق القرآن

للإمام عبد العزيز الكناني

رحمه الله (ت ٢٤٠هـ)

ج

العقيدة

شرحه

سماحة الشيخ العلامة

د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله

(ت ١٤٣٠هـ)

طبع بإشراف مؤسسة سماحة الشيخ عبد الله ابن جبرين الخيرية

ⓒ مؤسسة ابن جبرين الخيرية، ١٤٤٦هـ

الجبرين، عبدالله بن عبد الرحمن
التعليق على كتاب الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن للإمام عبدالعزيز الكناني/ عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين - ط ١ - الرياض، ١٤٤٦هـ
٣٦٨ص؛ ١٧×٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٣٨٦٣
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٢٤-٦٣-٢

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ-٢٠٢٤م

مؤسسة ابن جبرين الخيرية
Ibn Jebreen Foundation

المملكة العربية السعودية - ص.ب: 335 الرياض 11411
هاتف: 966114261000+ - فاكس: 966114263700+
جوال: 966560080100+ - 966506161500+
info@ibn-jebreen.com - www.ibn-jebreen.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة

إِن الحَمدَ لله، نحمده ونستعينُه وَنَستغفِرُه، ونَعُوذُ بِاللهِ مِن شُرور أَنفُسنا، ومن سيئات أَعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أَن لا إِلَه إِلَّا الله وحده لا شريك له، وَأشهد أَن مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بعد:

فإنَّ لعلماءِ السلفِ دورًا كبيرًا في نَشرِ العقيدةِ الصحيحةِ الصَّافِيةِ من شَوَائِبِ البِدَعِ، وفي الرَّدِّ علىٰ أعدائِها لفساد عَقَائِدِهم، وَمَنهَجِهم وطريقتهم، وقد كان للمُبتدعة الضالِّين دورٌ كبيرٌ في إفساد عقائدِ المسلمين حيثُ اعتَنَقَ تلك الأفكارَ عنهم أُناسٌ قاموا بِنَشرِهَا، وَمِنها الطَّعنُ في كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ للوصول إلىٰ الطَّعنِ في أسماء الله وصفاتِه، كالقول بأن القرآن مَخلُوق.

وقد حَمَلَ بِشْرٌ المَرِيسِيُّ لواءَهَا في خِلافة المأمونِ، فَلَبَّسَ علىٰ

المأمونِ، وعلىٰ عَوَامِّ الناس أمرَ دِينِهم واعتقادِهم، ولكن تَصَدَّىٰ له الإمامُ عبدُ العزيزالكِنَانِيُّ فقاومَ هذا القولَ بشجاعتِه وَصَدْعِهِ بِالحَقِّ مُنَاصرةً للسُّنَّة في مُنَاظرته لبشرِ المَرِيسِيِّ بين يَدَيِ المأمون، وقد كانت حصيلةُ تلك المُنَاظَرَة كتابَ «الحَيدَة»، وقد تَضمن الأدلة القوية الصريحة في الرد علىٰ القائلين بخلق القرآن مِن الجَهمِيَّةِ والمُعتَزِلَةِ ومن تَبِعَهُمْ ممَّن يقول بقولِهم من رَافِضَةٍ، وزَيدِيَّةٍ، وكذلك الأشعَرِيَّة القائلين بأن هذا القرآنَ المَوجُودَ بين أيدينا مَخلوقٌ.

ولأهمية هذه الرسالة قامَ سَمَاحَةُ الوالدِ الشيخ العَلَّامَةِ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتعليق عليها في الدَّوْرة العلمية المُكَثَّفَة التي أقيمت في جامع المُهاجرينَ في مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ في شهر رَجَبٍ من عام تسع وعشرين وأربعمئة وألفٍ للهجرة؛ فَشَرَحَ عِبَاراتِها بأسلوب سَهْلٍ مُمتِعٍ، وقرَّرَ فيها الأصولَ المَتِينَةَ والقواعدَ الرَّصينةَ في العقيدةِ.

ولحرص مؤسسةَ ابنِ جِبرِينَ الخَيْرِيَّةَ علىٰ إخراجِ تُرَاثِ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ نشرًا للعِلْمِ، وخدمةً لطلَّابه، ترجو الثَّوابَ مِنَ اللهِ تعالىٰ، ثم نَفْعَ المسلمين؛ تولَّىٰ قِسْمُ البحْث العلميّ إعدادَ هذا الكتاب؛ لِمَا فيه من النَّفعِ العَمِيم والخيرِ العظيمِ.

وقد قرئ الكتاب علىٰ شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ من طبعةٍ مقابلةٍ علىٰ إحدىٰ نسخ الكتاب الخطية، وقد تبيَّن لنا ذلك في أثناء العمل من خلال النظر في أجود طبعات الكتاب، والمتتبع لطبعات الكتاب وإبرازاته يَعْلَمُ أن طبعة المَجْمَع العلمي بدِمَشْقَ، هي أجود طبعات الكتاب من حيث تحقيقُ النَّصِّ،

والمقابلةُ علىٰ أصولٍ خطيةٍ، فقد اعتمد محققها أربع نسخ خطية، وواقع الكتاب يشهد بجودة التحقيق ودِقَّتِه.

وقد اعتمدنا المتن الذي قرئ علىٰ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لأن تعليقَ الشيخ وشَرْحَهُ كان وَفْقَ المقروء عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد استفدنا من هذه الطبعة القَدْرَ الذي يَخْدُمُ نَصَّ الحَيْدَة ولا يتعارض مع تعليق شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وقد تحرينا الدِّقَّة في ذلك ما أمكننا.

وخِتَامًا نَسأَلُ اللهَ تعالىٰ أنْ يَجْعَلَ هذا العملَ خالصًا لوجهِهِ الكَرِيمِ، مُوافقًا لِمَرضَاتِهِ، نَافعًا لِعِبَادِهِ، وأن يَجزِيَ الشَّيْخَيْنِ عن الإسلام والْمُسلِمِينِ خيرَ الجزاء، وَأنْ يُضاعِفَ لهما المَثُوبَةَ والأجرَ، وأن يَرْفَعَ دَرَجتَهما في المَهدِيِّينَ، إنه سميعٌ قريبٌ.

كما نَسأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يَجزِيَ كُلَّ مَن سَاهَمَ في العمل علىٰ هذه الرسالةِ من البَاحثين والفَنِّيين خيرَ الجزاء، ونَخُصُّ بالشُّكْرِ والدُّعَاءِ فضيلة **الشيخ الأستاذ الدكتور/ عبد العزيز بن إبراهيم الشَّهْوَانُ** حَفِظَهُ اللهُ الذي تفضَّل بالاطِّلاع علىٰ هذه الرسالةِ بعد انتهاء العملِ فيها، فسدَّد العملَ بآرائهِ القيِّمَةِ ومَلحُوظَاتِهِ المُفِيدَةِ.

وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارَك علىٰ نبيِّنا مُحَمَّد، وعلىٰ آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدينِ.

قِسْمُ البَحْثِ العِلمِيِّ فِي مُؤَسَّسَةِ ابْنِ جِبْرِينَ الخَيْرِيَّةِ

ترجمة مختصرة لسماحة الشيخ العلامة
د. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)

اسمه ونسبه:

هو الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين بن محمد بن عبد الله بن رشيد، من قبيلة بني زيد المعروفين في نَجْد، وأصلهم من مدينة شَقْرَاء، ثم نزح الكثير منهم إلىٰ كثير من المدن والقرىٰ ومنها مدينة القُوَيْعِيَّة.

مولده ونشأته:

ولد الشيخ عام ١٣٤٩هـ ببلدة مُحيرقة، إحدىٰ قرىٰ القويعية، التابعة لمنطقة الرياض، ونشأ في بلدة مُحيرقة وبلدة الرّين التابعة للقويعية، في أسرة علمية.

طلبه للعلم:

قرأ القرآن علىٰ والده الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، وعلىٰ إمام جامع مُحيرقة وهو أحد أعمامه، واسمه: سعد بن عبد الله الجبرين، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فأتم الشيخ حفظ القرآن وتلقىٰ مبادئ العلوم وهو دون العشرين علىٰ والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ حيث تعلم الفرائض ومبادئ النحو والقراءة في كتب الحديث؛ مثل: «عمدة الأحكام»، و«الأربعين النووية»، ونحوها.

ثم في عام ١٣٦٧هـ بدأ بالدراسة علىٰ شيخه عبد العزيز الشِّثْرِيّ في المسجد وفي المنزل؛ فقرأ كثيرا من المتون في التوحيد والفقه والنحو والحديث ونحوها،

---

(١) ينظر: أعجوبة العصر، لابنه أ. د عبد الرحمن الجبرين، وأبي كما عرفته، لابنته هيا الجبرين، وسيرة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موقعه علىٰ الإنترنت: http://www.ibn-jebreen.com

وقرأ في الشروح كـ «سبل السلام»، و«شرح الأربعين»، والصحيحين، وبعض السنن وكتب الآداب، وكثير من الكتب المطولة سردًا، واستفاد من ذلك كثيرًا.

ثم انتقل مع شيخه الشِّثْرِيّ إلىٰ الرياض في أول عام ١٣٧٤هـ، وانتظم في معهد إمام الدعوة الذي أُسس في ذلك العام، ولتميزه أُلحق بالقسم الثانوي، فكان متفوقًا.

ثم واصل في القسم العالي الذي انتهىٰ منه عام ١٣٨١هـ، وفي أثناء هذه المدة كان يحضر كثيرًا من دروس العلماء في الجامع الكبير بوسط الرياض.

وفي عام ١٣٨٧هـ -مع قيامه بالتدريس- دَرَس في المعهد العالي للقضاء، وأنهىٰ مرحلة الماجستير في عام ١٣٩٠هـ بتقدير جيد جدًّا، ثم سجل الدكتوراه في كلية الشريعة، وانتهىٰ منها عام ١٤٠٧هـ بتقدير ممتاز.

أبرز شيوخه:

١- الشيخ أبو حبيب: عبد العزيز بن محمد الشِّثْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان قاضيًا في بلدة الرّين.

٢- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مفتي المملكة سابقًا.

٣- سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مفتي المملكة سابقًا.

٤- الشيخ عبد الرَّزَّاق عفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٥- الشيخ محمد الأمين الشِّنْقِيْطِيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قيامه بالدعوة والتدريس:

من أول أعماله في الدعوة أنه اختير مع البعثة الذين أُرسلوا للدعوة في الحُدود الشمالية للمملكة برئاسة شيخه عبد العزيز الشِّثْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أوائل عام ١٣٨٠هـ لمدة ثلاثة أشهر.

وقد قام بالتدريس النظامي حينما عُين مُدرسًا في معهد إمام الدعوة عام ١٣٨١هـ، ثم في كلية الشريعة إلىٰ عام ١٤٠٢هـ.

كما قام الشيخ بالتدريس التطوعي في كثير من مساجد الرياض، وقام برحلات دعوية وعلمية إلىٰ غالب مدن المملكة، وسجلت له آلاف الساعات الصوتية.

فكان أول قيامه بالتدريس في حدود عام ١٣٦٧هـ؛ حيث قام بتعليم أبناء قريته الرّين القرآن ومبادئ القراءة والكتابة.

ودَرَّس في سنة ١٣٨٤هـ في «دار العلم»، وهي مدرسة خيرية في الرياض.

ودرَّس مدة طويلة طلاب مدرسة تحفيظ القرآن التي كان مديرها الشيخ محمد بن سِنَان، وأغلبهم من اليمن، وجنوب المملكة، فدَرَس كثير منهم عنده الكثير من المتون والشروح.

ودرَّس في الجامع الكبير بالرياض لما أنابه الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان جلوسه بعد المغرب أربعة أيام في الأسبوع.

كما درّس في منزله بحِلَّة الحَمَّادي في حي السّبَالَة، ثم نقل الدروس إلىٰ منزله في حي شُبرا لما انتقل إلىٰ هناك.

ودرّس في عدد من مساجد مدينة الرياض، منها: جامع الرَّاجحي في حي الرَّبْوَة، وجامع الملك خالد، وجامع شيخ الإسلام ابن تيميّة في حي سُلْطَانَة، ومسجد البَرْغَش، وغيرها، ثم جُمعت دروسه في آخر حياته في جامع الشيخ عبد الله الرَّاجحي في حي شُبرا.

الأعمال والمناصب التي شغلها:

١ - التدريس في معهد إمام الدعوة من عام ١٣٨١هـ، واستمر في التدريس فيه نحو أربعة عشر عامًا، درّس فيها: الفقه والحديث والتفسير والتوحيد.

٢-التدريس في كلية الشريعة التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض من عام ١٣٩٥هـ وكان يتولىٰ الإشراف علىٰ البحوث المتعلقة بالعقيدة، والإشراف علىٰ رسائل الماجستير والدكتوراه والمناقشة لبعضها.

٣-عضو إفتاء برئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض من عام ١٤٠٢هـ.

٤- الاشتراك في التوعية في موسم الحَجّ للإجابة علىٰ أسئلة الحُجاج.

كما كان يسعىٰ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مساعدة المحتاجين والشفاعة لهم وقضاء حوائجهم.

تلاميذه:

تتلمذ علىٰ الشيخ وحضر دروسه جموع غفيرة من مختلف الفئات، أما طلاب العلم فكانوا من مختلف الجنسيات؛ فمنهم من حضر الدروس النظامية في معهد إمام الدعوة أو في كلية الشريعة، أو في المساجد والمنزل، وقد تولىٰ كثير منهم مناصب مرموقة، فمنهم:

١- معالي الشيخ إبراهيم بن عبد الله الغَيْث، رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سابقًا.

٢-معالي الشيخ سليمان بن عبد الله بن مهنا، رئيس المحكمة الكبرىٰ بالرياض سابقًا.

٣- معالي الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس إمام وخطيب المسجد الحرام والرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي.

٤- الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الشِّثْرِي، وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقًا.

٥-الدكتور سعد بن عبد الله الحُميد.

٦- الدكتور عبد العزيز بن محمد السَّدْحَان.

٧- الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العَسْكَر.

٨-الدكتور عبد الله بن عبد العزيز العَنْقَرِيّ.

٩-الدكتور محمد بن حمد المَنِيْع.

١٠-الشيخ عبدالله بن عامر.

١١- الشيخ أحمد بن عبد الرحمن المهنا.

١٢-الدكتور طارق بن محمد الخُويطر.

آثاره العلمية:

بلغت مؤلفات الشيخ المطبوعة في حياته أكثر من مائة وخمسين كتابًا، فمنها:

١- أخبار الآحاد في الحديث النبوي، وهي رسالته للماجستير، مجلد.

٢- تحقيق شرح الزَّرْكَشِيّ علىٰ مختصر الخِرَقِيّ، وهي رسالته للدكتوراه، سبع مجلدات.

٣- شرح الأربعين النووية، مجلد.

٤- الرياض الندية شرح العقيدة الطحاوية، خمس مجلدات.

٥- السبك الفريد شرح كتاب التوحيد، مجلدان.

٦- الدرر المبتكرات شرح أخصر المختصرات، أربع مجلدات.

٧- إبهاج المؤمنين شرح منهج السالكين، مجلدان.

٨-التعليقات الزكية علىٰ العقيدة الواسطية، مجلد.

٩-النقوش الذهبية علىٰ القلائد البرهانية، مجلد.

١٠-الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد، مجلد.

وتقوم المؤسسة بالعمل علىٰ إخراج تراث الشيخ الذي يتوقع أن يزيد علىٰ مائتي مجلد.

وفاته:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في العشرين من شهر رجب من عام ١٤٣٠هـ، عن واحد وثمانين سنة، بعد أن ذَاع صِيته وانتشر علمه في أصقاع الدنيا، رحم الله الشيخ وغفر له، وتقبل جهوده وأعماله، وجعل ما قدَّم في ميزانِ أعمالِهِ.

ترجمة للإمام الكِنَانيّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١)

اسمه:

عبدُ العزيز بنُ يحيَىٰ بنِ عبد العزيز بنِ مُسلم بنِ ميمونٍ الكِنَانِيّ المكيّ.

كان يُلَقَّب: الغُولَ؛ لدَمَامة مَنظره.

شيوخه:

١ - سَليم بن مُسلم المَكِّي.

٢ - هشام بْنُ سليمان المخزومي.

٣ - مَرْوان بنُ معاوية.

٤ - سُفيان بْنُ عُيَينَةَ.

٥ - مُحَمَّد بنُ إدريس الشافعيّ، وغيرهم.

تلاميذه:

١ - أبو العَينَاء مُحَمَّد بنُ القاسم.

٢ - الحُسيْنُ بنُ الْفَضل البَجَلِيّ.

٣ - أبو بكر يعقوب بن إبراهيم التيمي.

ثناء العلماء عليه:

قال النَّديم: (كان مُتَكَلِّمًا مُقَدَّمًا وزَاهِدًا عَابِدًا، وَلَهُ في الكلامِ والزُّهْدِ كُتُبٌ)(٢).

---

(١) تنظر ترجمته في: الفهرست (ص٢٧٥)، ومناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٣٢٨)، وتاريخ بغداد (١٢/ ٢١٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٨/ ٢٢٠)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٨٧٤)، والوافي بالوَفَيَات (١٨/ ٣٤٨)، وطبقات الشافعية الكبرىٰ (٢/ ١٤٤)، وقِلادة النَّحْر في وَفَيَات أعيان الدهر (٢/ ٥٠٤)، وشذرات الذهب (٣/ ١٨٣).

(٢) ينظر: الفهرست (ص٢٣٠).

وقـال داودُ الظَّاهـريُّ: (كان أحـدَ أتبـاع الشـافعي، والمُقتَبِسـين منـه، والمُعْتَرِفِيـنَ بفضلـه، طالـت صُحبته واتِّبَاعُـهُ لـه، وخـرج معهُ إلىٰ اليمـن، وآثـارُ الشـافعي في كُتُـبِ عبد العزيـزِ المكـي بَيِّنَـةٌ عنـد ذكـر الخصـوص والعمـوم والبيـان، كل ذلـك مأخـوذ مـن كتـاب الْمُطَّلِبِـيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ)(١).

قـال الخطيـبُ البغـدادي: (قَـدِمَ بغـداد في أيـام المأمـونِ، وجـرىٰ بينـه وبيـن بِشـرٍ المَرِيسِـيّ مُناظـرةٌ في القـرآن، وهـو صاحـب كتـاب «الحَيْـدة»، وكان مـن أهـل الفَضـل والعلـم، ولـه مصنفـات عِـدَّة، وكان ممـن تفقـه بالشـافعي، واشـتهر بصحبتـه)(٢).

وفاته:

توفِّي سنة أربعين ومئتين رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) ينظر: مناقب الشافعي للبيهقي (٢/ ٣٢٨).

(٢) ينظر: تاريخ بغداد (١٢/ ٢١٢).

مُقدِّمة الشَّارِح رَحِمَهُ ٱللَّهُ

الحَمْدُ لله ربِّ العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ أشرفِ المُرسَلِينَ، نبيِّنا مُحَمَّد، وعلىٰ آله وصحبِهِ أجْمَعِينَ.

أمَّا بعد:

فإنَّ الإمامَ عبد العزيزِ الكناني رحمه الله تعالىٰ كَتَبَ هذه الرسالةَ[(١)] بسبب انتشارِ القول بخلق القرآن، وقد نَشَأَ هذا القولُ قديمًا عند المُعتزلة، وكان من أوَّلِهم: وَاصِلُ بنُ عَطَاء[(٢)]، وعَمرُو بنُ عُبَيد[(٣)]، ثم من بَعدهم: الجَعدُ بنُ دِرهَم[(٤)]، والجَهمُ بنُ صَفوان[(٥)]، وقد قتلهُ سَلْمُ بنُ أحْوَزَ[(٦)].

(١) واسمها: الحيدة، وسيأتي سبب التسمية في (ص ١٢٣).

(٢) واصل بن عطاء أبو حذيفة الغزّال مولىٰ بني ضبة، وُلِد بالمدينة، وَكَانَ يجلس إلىٰ الحسن البصري، قال بالمنزلة بَيْنَ المنزلتين، فَطَرَدَه الحسن من مجلسه، فاعتزل عنه وتبعه عمرو بن عبيد وجماعة، فسمُّوا المعتزلة. من مصنفاته: كتاب المنزلة بَيْنَ المنزلتين، وغيره. توفي سنة ١٣١هـ. ينظر: وَفَيَات الأعيان (٦/ ٧)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٧٤٩).

(٣) عمرو بن عُبيد بن بَابٍ أبو عثمان البصري، وبابٌ من سبْي فارس، مولىٰ لآل عرادة، كَانَ يسكن البصرة، وجالس الحسن البصري، واشْتَهَرَ بصحبته، ثم حَوَّلَه واصل بن عطاء عن مذهب أهل السُّنَّة، فقال بالقدر ودعَا إليه، واعتزل مجلس الحسن، وَكَانَ لَهُ سمتٌ وزُهْدٌ، توفي سنة ١٤٤هـ. ينظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٦٣)، ووَفَيَات الأعيان (٣/ ٤٦٠).

(٤) الجَعْد بن دِرْهم: مولىٰ سُويد بن غَفَلَة، مؤدِّب الخليفة الأموي مَرْوان بن مُحَمَّد. ولهذا يقال لهذا الخليفة: مَرْوان الجَعْدي من رؤوس البدعة، زَعَمَ أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسىٰ؛ فَقُتِلَ علىٰ ذلك بالعراق يوم النَّحْر. ينظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٣٣٧)، والبداية والنهاية (١٣/ ١٤٧).

(٥) جَهْم بن صفوان أبو مُحْرِزٍ الرَّاسبي مولاهم، السَّمَرْقَنْدِيُّ، المتكلم، أُسّ الضلالة، ورأس الْجَهْمِيَّة، كَانَ يُنكر الصفات، ويقول بِخَلْقِ الْقُرْآن، ويقول: إن الله في الأمكنة كلِّها، ويقول: الإيمان عَقْدٌ بالقلب، وإن تلفظ بالكفر. قيل: إن سلم بن أحوز قَتَلَه؛ لإنكاره أن الله كَلَّم موسىٰ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٦).

(٦) سَلْم بن أحوزَ التميمي المازني، من أمراء وَقَادَةِ الخلافة الأمويَّة، قَتَلَ جهم بن صفوان، وَكَانَ واليَ بَلْخ والجوزجان، وقُتِلَ عام ١٣٠هـ. ينظر: تاريخ الإسلام (٣/ ٣٨٩).

فهؤلاءِ جميعًا أنكروا صِفَات الله تعالىٰ، ومن جُملة ما أنكروهُ مِن الصّفاتِ: صفةِ الكلامِ، فقالَوا: لا نعرِفُ الكلامَ إلا ما يخرجُ من الفَمِ وَيَتَرَكَّبُ من اللِّسانِ والشَّفتينِ واللَّهَوَاتِ[١]! فلأجل ذلك أنكروا صفةَ الكلامِ وأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تكلمَ بالقرآنِ، وزعموا أنه مَخلوقٌ، وأنَّ خَلْقَهُ للقُرآنِ كخلقِه للبِشرِ، والسَّماواتِ والأرضِ، والأفلاكِ، إلىٰ آخرِ شُبهتِهم، كُلُّ هذا؛ ليَفِرُّوا مِن أن يَقُولُوا القرآن كلامُ الله، فيُحتَجّ به عليهم!

فانتشرت هذه البدعةُ، وكان إمَامُهُم في عهد الكنانيِّ: بشرَ بنَ غِيَاثٍ المَرِيسِيَّ[٢]، ثم توالىٰ بعده علىٰ هذا القول خَلقٌ كثيرٌ، وكان من أشهرهم:

أحمد بن أبي دُؤَادٍ[٣]، الذي أقنعَ الخليفةَ وزيَّنَ له هذا القولَ، وحَمَلهُ علىٰ امتحانِ العلماءِ بالقول بخلقِ القُرآنِ، وكأنَّ مُناظرة عبد العزيزِ الكناني كانت مُتقدِّمةً قبل أن يَتَّصلَ ابنُ أبي دُؤادٍ بالخليفةِ، ويظهَر منها: أنَّ الخليفةَ المأمونَ قد اقتنع بأن القُرآنَ كلامُ الله، وأنَّ القائلين بأنه مخلوقٌ لا دليلَ عندهم.

---

(١) جمع اللَّهَاة وَهِي: اللحمة المتدلية من الحَنَكِ الأَعْلَىٰ الْمُعَلَّقَة الْحَمْرَاء فِي أَقْصَىٰ الْفَم. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (ص٥٢٥).

(٢) بِشْر بن غِياث بن أبي كَرِيمةَ، أبو عبد الرحمن المَرِيسي العدوي، رأس الْجَهْمِيَّة، جرّد القول بِخَلْقِ الْقُرْآن وناظرَ عليه ودعا إليه، رَمَاه بالكفر غيرُ واحد من الأئمة، توفي سنة ٢١٨هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٧/ ٥٣١)، ولسان الميزان (٢/ ٣٠٦).

(٣) أحمد بن أبي دُؤَادِ (علىٰ وزن فُؤَادِ) بن جرير أبو عبد الله الإيادي القاضي، كان موصوفًا بالجود والسخاء، غَيْرَ أنه أعلن بمذهب الْجَهْمِيَّة، وحَمَلَ السُّلْطان علىٰ الامتحان بخَلقِ القُرآن، وَشغَّبَ علىٰ الإمام أحمد، وأفتىٰ بقَتْلِهِ، مَرِضَ بالفالج قبل موته، توفي سنة ٢٤٠هـ. ينظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٣٣)، والعبر (١/ ٣٣٩).

ويظهـرُ أنَّ ابـنَ أبـي دُؤَادٍ جـاء إلـىٰ المأمـونِ[١]، وغيَّـر رأيَـهُ بعـد اقتِنَاعِـه مـن مُناظـرةِ الكنـاني؛ ولهـذا أَنكَـر بَعـضُ العلمـاءِ هـذه المُناظـرةَ، وقالـوا: بِعـدَمِ وقُوعِهَـا وَوضْعِهَـا علـىٰ الكنـاني[٢]؛ لأجـل ذلـك رواهـا هـذا الإمـامُ بإسـناده، وهـو إسـنادٌ صحيـحٌ، ورِجالُـه مشـهورون، فيـدل علـىٰ ثبـوت الرسـالة.

وممَّـا يَـدُلُّ علـىٰ ثبـوت هـذه الرِّسـالة: أنَّ الإمـامَ ابـنَ بطـة رَوَاهـا في كتابـه المعـروفِ (الإبانـة الكُـبرَىٰ) بإسـنادٍ آخـرَ غيـر هـذا الإسـناد، وإن كان اختصرَهـا وذكـر خُلَاصتهـا[٣].

---

(١) ينظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٣٣).

(٢) ينظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٦٣٩).

(٣) الإبانـة الكـبرىٰ (٦/ ٢٢٦)، رقـم (٤٢٦)، وينظـر: الـدرء (٢/ ٢٤٥)، (٦/ ١١٥)، وبيـان تلبيـس الجهميـة (٤/ ٣٠٠)، ومجمـوع الفتـاوىٰ (٥/ ٢٤، ٣١٤)، (٦/ ١٦٦، ٣٢٥)، وفتـح البـاري (١٣/ ٤٠٢)، ومقدمـة محقـق الحيـدة (ص٦) ط العلـوم والحكـم.

ذكرُ ما جرى
بين عبدِ العزيز بن يحيى رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبين بِشْرِ المَرِيسيّ

قال راوي المناظرة:

[قرأتُ علىٰ أبي عمر أحمد بن خالد في رَبيع الآخر عام اثنين وخمسين وثلاثمِئة، حدثنا أبو عَمرو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن السَّماك، قال: ثنا أبو بكر مُحَمَّدُ بن الحسن بن أزهر بن جبير القَطَائِعِيّ[1]، قال: حدثني أبو عبد الله العباس بن مُحَمَّد بن فَرْقَد، قال: حدثني أبي مُحَمَّدُ بنُ فرقد، بهذا الكتاب من أوله إلىٰ آخره، قال: قال عبدُ العزيز بن يحيىٰ بن عبدِ العزيز بن مُسلم الكِنَانِيّ:

اتصل بي وأنا بمكة ما قد أظهره بشرُ بنُ غِيَاث المَرِيسِيّ ببغدادَ من: القول بخلق القرآن، ودعائِه الناسَ إلىٰ مُوافقَتِه علىٰ قوله ومذهبه، وتشبيهِهِ علىٰ أميرِ المؤمنين المأمونِ، وعامَّةِ الناس، وما قد دَفَعَ الناسَ إليه من المِحنةِ، والأخذِ في الدخول في هذا الكفرِ والضلالةِ، وَرَهبَةِ الناس وفزَعِهم من مُناظرتِه، وإحجَامِهم عن الردِّ عليه بما يَكْسِرُون به قولَه، ويدحَضونَ به حُجَّتَه، ويُبطِلون به مَذهبَه، واستتارِ المُؤمنين في بُيوتِهم وانقطاعِهم عن الجُمعاتِ والجَماعاتِ، وهربِهِم من بلد إلىٰ بلد؛ خوفًا علىٰ أَنفسِهم وأديانِهم، وكَثرةِ مُوافقةِ الجُهَّالِ والرَّعَاعِ[2] من الناسِ لِبِشْرٍ علىٰ مذهبِهِ

(١) نسبة إلىٰ القطائع، موضع ببغداد. ينظر: الأنساب (١٠/ ٤٥٣)، ومعجم البلدان (٤/ ٣٧١).

(٢) جاء في تاج العروس (رع ع)، (٢١/ ١٠٣): (والرَّعاعُ، كسَحاب: الأحداثُ الطَّغَامُ) وَفِي حَدِيث عُمَرَ: «إنَّ المَوسِمَ يَجمَعُ رَعاعَ النّاسِ»، أي: غَوغاءَهم وسُقَّاطَهُم وأَخلاطَهم، الواحِدَةُ: رَعاعَة. أخرجه البخاري، كتاب البر والإحسان، باب حق الوالدين، حديث رقم (٣٩٢٨).

وكُفْرِهِ وضلالتِهِ، والدخول في بِدعتِه، والانتِحَالِ لِمَذهَبه؛ رغبةً في الدنيا، ورَهبةً من العِقابِ الذي كان يُعَاقبُ به مَن خَالَفَهُ علىٰ مَذهبِه].

الشَّرح

قال سماحةُ الشيخِ عبد الله بن عبد الرحمن بن جِبرِينَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه المُناظرةُ كانت في أولِ القرن الثالث، في حدود سَنة مئتين أو قريبٍ مِن هذا.

وبشرُ بنُ غِيَاثٍ المَرِيسِيّ من دُعاةِ الضلالِ، ومُنكِرٌ لِصِفَات الله تعالىٰ.

وقد ردَّ عليه أبو سعيدٍ عُثمانُ بن سَعيد الدَّارِمِيُّ، ولهُ كتابانِ مَطبوعانِ مشهوران مَدَحَهُما العلماءُ(١):

أحدُهما: في الردِّ علىٰ بشرٍ المَرِيسيِّ، اسمه: «رَدّ الإمامِ أبي سعيد عُثمان بن سَعيد علىٰ بشر المَرِيسيِّ العنِيد»(٢)، ولمَّا عَزمَ الشيخُ مُحَمَّد حَامد الفقي(٣) علىٰ طبعه، حاوَل أن يَمنَعَه بعضُ الأشاعرةِ، وهو: زَاهد

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٣٤٧): (وكتاباه من أجلِّ الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف علىٰ ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جدًّا، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما).

(٢) طبع بمطبعة أنصار السُّنَّة المحمدية سنة ١٣٥٨هـ. ثم طبع بتحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٣) مُحَمَّد حامد الفقي، أبو طاهر، ولد سنة ١٣١٠هـ، درس في الأزهر، ودعا إلىٰ التمسك بالسُّنَّة والبعد عن البدع والمحدثات، وأنشأ جماعة أنصار السُّنَّة المحمدية، ومجلة الهدي النبوي، لَهُ عدة مؤلفات وتحقيقات. توفي سنة ١٣٧٨هـ. ينظر: معجم المؤلفين (٩/ ١٧٢)، وجهود الشيخ مُحَمَّد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية (ص٤٠).

الكوثري[١]؛ لأنَّه يخالِفُ مَذهبَه ومُعتقدَه[٢]، ولكن الحمدُ لله ظهرَ الكِتابُ، وطبِع مُحققًا.

الآخَر: في الرَّدِّ علىٰ الجَهمِيةِ، في كل ما يُنكِرونَه[٣].

وقد أظهرَ بِشْرُ بنُ غِيَاثٍ المَرِيسيّ ببغدادَ القولَ بخلق القرآن، نعوذ بالله! وَدَعَا النَّاسَ وحَمَلَهُم علىٰ مُوافقة قولِه ومَذهبِه، وَتشبيهِه علىٰ المأمونِ، فكأنَّهُ أوَّل مَن شَبَّه ولبَّسَ علىٰ الخليفةِ المأمون، وعامَّةِ الناس.

وقد دفع بِشرٌ الناس إلىٰ هذه المِحنَةِ العظيمَةِ، وأخذهم في الدخولِ في هذا الفكرِ وهذه الضلالةِ؛ حيث رَهَّبَ الناسَ، وخوَّفهم وأفزعهُم مِن مُناظرتِه، فأحجَمُوا عن الرَّدِّ عليه، بما يَكْسِرونَ به قوله وحُجَّتَه ويُبطلونَ به مَذهبه، حتىٰ أكابر العلماءِ؛ خوفًا أن يُعذَّبوا كغيرِهم، وإلىٰ حَدِّ أن استترَ المؤمنونَ في بُيُوتِهم خوفًا من ذلك، وانقَطعوا عن الجُمُعاتِ والجَمَاعَاتِ، وهَرَبهم من بلدٍ إلىٰ بلدٍ خَوْفًا علىٰ أنفسهم ودينِهم، وكذلك كثرة مُوافقةِ الجُهَّالِ والرَّعَاع مِن الناسِ لبِشْرٍ علىٰ مَذهبِه، والدخول في بدعتِه، وانتِحَالِ مَذهبِه وكفرِهِ وضلاله وضلالتِه، كُلُّ ذلك رغبةً في الدنيا ورهبةً من العقابِ الذي يُعاقبُ به مَن يُخالِفهُ علىٰ مذهبه! والخليفة المأمونُ هو الذي يتولىٰ

(١) مُحَمَّد زاهد بن الحسن الكوثري، فقيه حنفي، جركسي الأصل، ولد ونشأ في قريةٍ بشرقي الآستانة، ثم رحل إلىٰ مصر، واستقر في القاهرة، كَانَ ناصرًا للماتريدية في هذا العصر، شديدًا علىٰ من تمسَّك بمذهب السلف، توفي بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ. له تآليف منها: تأنيب الخطيب، والنكت الطريفة. ينظر: الأعلام (٦/ ١٢٩)، ومعجم المؤلفين (١٠/ ٤)، وزاهد الكوثري وآراؤه الاعتقادية.

(٢) ينظر: مقالات الكوثري (ص ٢٦١، ٢٦٢) وما بعدها.

(٣) طبع بتحقيق: بدر البدر، نشر: دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

ذلك، فقد عذَّبَ خَلْقًا، وقتلَ البعضَ، فبلغ الأمر إلىٰ بعض الأكابر -كيحيَىٰ بنِ مَعِينٍ[(١)]- فوافقوا علىٰ القول بخلق القرآن؛ هربًا من التّعذيب بِحُجَّةِ أنهم مُكرَهونَ[(٢)]، لكن بقي الإمامُ أحمدُ ثابتًا علىٰ منهجِ أهلِ السُّنَّة، ولَمَّا أقبَل راكبًا إلىٰ المأمونِ دعا ربَّه: «أَلَّا تُرِيَنِي وَجْهَه»، فماتَ المأمونُ قبلَ أن يصلَ إليه الإمامُ أحمدُ[(٣)]! ثم تولىٰ كِبْرَ الفتنةِ بَعْدَهُ: أخوه المُعتَصِمُ، الذي عَذَّبَ الإمامَ أحمدَ عذابًا شديدًا، عليه مِنَ اللهِ ما يستحقُّه.

---

(١) الإمام الحافظ الجِهْبِذ شيخ المحدثين، أبو زكريا يحيىٰ بن معين. ولد: سنة ثمان وخمسين ومائة، وتوفي سنة مئتين وثلاث وثلاثين. ينظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٧١-٩٦).

(٢) قال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في السير (١١/ ٨٧): (لا حرج علىٰ من أجاب في المحنة، بل ولا علىٰ من أكره علىٰ صريح الكفر عملًا بالآية. وهذا هو الحقُّ. وكان يحيىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ من أئمة السُّنَّة، فخاف من سطوة الدولة وأجاب تقيةً).

(٣) ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢١٣).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز بن يحيىٰ: «فأزعَجنِي ذلك وأقلقنِي وأسهَرَ ليلي وأطالَ غمِّي وهمِّي، وخرجتُ من بلدي مُتوجهًا إلىٰ ربي عَزَّوَجَلَّ أسأله سلامتي وتبليغِي، حتىٰ قدِمتُ بغدادَ فشاهدتُ من غِلَظِ الأمرِ واحْتِدَادِه أضعافَ ما كان يصلُ إليَّ، ففزِعتُ إلىٰ ربي أدعوه وَأتضرَّعُ إليه راغبًا وراهبًا، واضعًا له خدِّي، وبَاسطًا إليه يديَّ، أسألهُ إرشادِي وتَسديدي، وتوفِيقي ومَعونتِي، والأخذَ بيدِي، وأن لا يُسْلِمَنِي ولا يَكِلَنِي إلىٰ نفسِي، وأن يفتحَ لفَهْمِ كتابه قلبي، وأن يُطلِقَ لِشَرْحِ بَيَانِه لِسانِي»].

الشَّرحُ

لمَّا اشْتَهَرَتْ هذه المَقالة، انزعجَ الإمامُ الكنانيّ وقلِقَ، وسَهِرَ ليلَهُ، وطالَ غمُّهُ+- وهمُّهُ لهذا الحَدَثِ الكبير، وهو: القول بخلق القرآن، الذي سَبَّبَ الفتنةَ؛ أي: تقويةَ الذين قالوا بذلك، وإذلالَ وإهانةَ الذين يقولونَ: «إنَّ القرآنَ كلامُ الله».

فَخَرَجَ الكنانيُّ من بلدِه مُتوجِّهًا إلىٰ ربه عَزَّوَجَلَّ يَسأله السلامةَ وَتبلِيغَ أمرِه، حتىٰ قَدِمَ بغدادَ -وهي مَوْطِنُ خِلافةِ بني العبَّاس- فشاهَدَ مِن غلظ الأمر واحْتداده أضعافَ ما كان يصل إليه! مِن تشدِيدهِم علىٰ أهلِ السُنَّة الذين يقولونَ: «إنَّ القرآنَ كَلامُ الله»، ففزِع إلىٰ ربه واجتهدَ في الدُّعَاءِ، فتضرَّعَ إليه ودعاهُ راغبًا راجيًا، وراهبًا خائفًا، واضعًا له خَدَّه مُتواضعًا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وباسِطًا إليه يديهِ؛ يسألهُ الإرشادَ والتَّسدِيدَ والتوفِيقَ والمعُونةَ، وَأَن لا يُسْلِمَه ولا يَكِلَهُ إلىٰ أحدٍ، ولَا إلىٰ نفسه، وأن يفتحَ قلبَهُ لفهم كتابه، وأَنْ يُطلِقَ لسانَهُ لشرحِ بيانِه.

قال راوي المناظرة:

[وأخلصتُ لله عَزَّوَجَلَّ نيَّتي، ووهبتُ له نفسِي، فَعجَّلَ تباركَ وتعالىٰ إجابتِي، وثبَّتَ عَزْمِي، وشجَّعَ وفتحَ لِفَهمِ كتابه قلبِي، وأطلقَ به لسانِي، وشَرَحَ به صَدرِي، فأبصَرتُ رُشدِي بتوفِيقِه إيَّايَ، وأنِستُ إلىٰ مَعونتِه ونَصْرِه وتأْيِيدِه، ولم أَسكُن إلىٰ مُشاورةِ أحدٍ من خلق الله في أمرِي، وجعلتُ أستُرُ أمرِي وأُخفِي خَبرِي عن الناس جميعًا؛ خوفًا مِن أَن يَشِيعَ خَبرِي، ويُعْلَمَ بمَكانِي فأقتلَ قبلَ أن يُسْمَعَ كلَامي.

فَأَجْمَعَ رَأْيِي علىٰ إظهار نفسِي، وإشهَارِ قولي ومذهبي علىٰ رُؤُوس الخلائِقِ والأشهادِ، والقولِ بمُخالفةِ أهلِ الكفر والضلال، والرَّدِّ عليهم، وذكرِ كُفرهم وتَبيينِ ضَلالتِهم، وأَن يكونَ ذلك في المسجدِ الجامعِ في يوم الجمعة، وأيقنتُ أنهم لا يُحدِثون عليَّ حَادثة، ولا يعجلون عليَّ بقتلٍ وغيرِه مِن العقوبة، بعد إشْهَارِ نفسِي، والنداء بمُخالَفتِهم علىٰ رُؤُوس الخلائِقِ، إلَّا بعد مُناظرَتِي والاستماعِ مني، وكان ذلك كله بتوفيقِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لي، ومَعونتِه إيَّاي[1]].

الشَّرْحُ

استجابَ اللهُ تعالىٰ دعوتَهُ، وأطلَقَ لسانَه، وشرحَ صدرَهُ، وكُلُّ ذلك مِن آثارِ دُعائِه، ولم يَسكُن إلىٰ مُشاورة أحدٍ مِن خَلْقِ الله في أمره؛ فإنَّه لَو شاع خبرُه لأُخِذ وسُجِنَ -كغَيرِه- أو قُتِلَ قبلَ أن تُسمعَ كلمَاتُهُ، فخاف مِن الجَوَاسيسِ أنْ يَرفعوا أمرَه إلىٰ الخليفة، ويَقولوا: هذا يُخالِفكُم ويُخَالِف ما تَدعُونَ إليه.

(١) إذا لم يكن عونٌ من الله للفتىٰ ... فأوّل ما يجني عليه اجتهاده
ينظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١/ ١٧٧).

فأجمعَ رأيَه علىٰ إظهارِ نفسه، وإشهارِ قوله ومذهبِه علىٰ رُؤُوس الخلائقِ والأَشهادِ؛ حتىٰ يَشْتَهِرَ أمرُه ويظهرَ قولُه بمخالفةِ أهلِ الكفرِ والضَّلالِ، والرَّدِّ عليهم وعلىٰ إمامهم بشرِ المَريسيّ بذكر كفرِهم وتَبيينِ ضلالتِهم، وأن يكونَ ذلك في المسجدِ الجامعِ -وهو أكبرُ الجوامعِ في بغدادَ- في يوم الجمعةِ، وأيقن أنهم لا يُحْدِثُون عَليهِ حَادثةً، ولا يعجلون علىٰ قتلِه أو غيرهِ من العقوبةِ، بعد إشهارِ نفسه والنداءِ بمُخالفتهم علىٰ رُؤُوس الخلائقِ، إلَّا بعد مُناظرتِه والاستماع منه، وكان ذلك كُلُّهُ بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ لهُ ومعُونتهِ إيَّاهُ، وقد حَصَلَ ما يَطْلُبُه.

يقولُ: إني إذا أشهَرتُ نفسي علىٰ رُؤُوس الخلائقِ ثم حَدَثَ أني قُتِلت، فينتشرُ الخبرُ السَّيِّئُ ويَقولُ الناسُ: قُتِلَ عالمٌ؛ لأجل إعلانِه الحقَّ، أو أنَّه قال كذا وكذا قبل أن يأخُذوهُ ويسمَعوا قَوْلَهُ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز بن يحيىٰ: وكان الناسُ في ذلك الزمانِ وذلك الوقت في أمرٍ عظيمٍ، قد مُنِعَ الفقهاءُ والمُحَدِّثونَ والمُذكِّرُونَ والدَّاعُون مِن القعودِ في الجَامِعَيْنِ ببغدادَ وفي غيرهما من سَائِرِ المواضِعِ، إلَّا بِشرًا المَرِيسِيَّ، ومحمدَ بنَ الجَهمِ، ومن كان مُوافقًا لهما علىٰ مذهبهما؛ فإنهم كانوا يقعدون ويجتمعُ الناسُ إليهم فيعلمونَهم الكفرَ والضلالَ، وكُلُّ مَن أظهرَ مُخالفتَهم وذمَّ مذهبهم، أو اتُّهِمَ بذلك؛ أُحضِرَ، فإن وافقهم ودخلَ في كفرِهم وأجابَهُم إلىٰ ما يَدعونه إليه تُرِكَ، وإلَّا قتلوه سِرًّا، وحملوُه مِن بلد إلىٰ بلدٍ، فَكم من قتيل لم يُعلمْ به، وكم من مَضروبٍ قد ظهرَ أَمرهُ، وكم مِمَّن أَجابَهم واتَّبعهم علىٰ قولِهم مِن العلماء؛ خوفًا علىٰ أنفسهم، لمَّا عُرِضُوا علىٰ السيف والقَتلِ؛ أجابوا كرهًا، وفَارقوا الحق عِيانًا، وهم يعلمونَ؛ لما حَذِروا مِن بأسِهِم والوقوع بهِم].

الشَّرحُ

ذكرَ رحمه الله تعالىٰ حالة الخوفِ والفزعِ التي أصابت الناسَ، واختفاء المُحِقِّينَ إلَّا ما شاء اللهُ، فالناسُ في ذلك الزمانِ -أَوَّلَ وقتِ ظهور هذه الطائفة- كانوا في أمر عظيمٍ؛ فقد مُنِعَ الفقهاءُ والمُحَدِّثونَ والمُذَكِّرونَ، والدَّاعُونَ إلىٰ السُنَّة؛ مُنِعوا من التَّذكِيرِ، والتَّعليم والخُطَبِ والمُحَاضراتِ ومن الدَّعوةِ حتىٰ من الجُلوسِ في الجوامعِ، وفي الجَامِعينِ الكَبيرينِ ببغدادَ اللَّذين هما أشهر الجوامع، وفي غيرهما من سَائِرِ المَواضعِ، إلَّا بِشرًا المَريسيّ، وابن الجَهْمِ، وأتبَاعهمَا، ومن كان مُوافقًا لهما علىٰ مذهبِهما،

فإنهـم يقعُـدونَ فيجتمـعُ إليهـم النـاسُ ويُعلمونَهـم الكفـرَ والضـلالَ؛ بسـبب تَمكينهم عند المأمون فكلُّ مَن أظهرَ مُخالفتَهُم أو ذَمَّ مَذهَبَهم أو رَدَّ عليهم؛ أُحضِرَ عند الخليفة، فإن أجَابهم إلىٰ ما يَدعونَ إليه، ووافقهُم ودخل في كفرهم تُرِكَ وإلَّا قتلوه وحَملوه مِن بلدٍ إلىٰ بلدٍ[1].

فكم مِن قتيلٍ لم يُعْلَمْ به قُتِلَ سِرًّا لأجل هذه المقالةِ، وكَمْ من مَضروبٍ قد ظَهَرَ أمرُه، والكثيرُ أجَابُوهم واتَّبعُوهم علىٰ قولِهم، منهم علماءُ عُرِضُوا علىٰ السيفِ والقتلِ فخافوا علىٰ أنفسهم فأجَابوا كرهًا، وكان منهم: الإمامُ يحيىٰ بن مَعِين، قرِينُ الإمامِ أحمدَ.

(١) امتحن المبتدعةُ وقتها عددًا من أهل العلم والفضل، فمنهم من ضُرب، ومنهم من سجن، ومنهم من مات في المحنة، رَحِمَهُمُ اللَّهُ ورضي عنهم، ينظر: تاريخ الطبري (٨/ ٦٣١)، والمحن (ص٤٤٨)، وتاريخ بغداد (٦/ ٤٠٢)، ومناقب الإمام أحمد (ص٤١٦)، والكامل (٥/ ٥٧٢)، والبداية والنهاية (١٤/ ٤٠٥)، وابن حنبل لأبي زهرة (ص٧٣)، والمدخل المفصل (١/ ٣٩٨).

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: فلمَّـا كان في الجمعـة التـي اعتزمـتُ فيهـا علىٰ إظهـارِ نفسـي، وإشـهارِ قولـي، واعتقـادِي، صليـتُ الجمعـة بالمسـجِدِ الجامِـعِ بالرُّصَافـةِ(١) مِـن الجانـب الشـرقي بِحِيَـالِ(٢) القبلـةِ والمِنْبَـرِ، بـأولِ صـفٍّ مِـن صفـوف العامَّـةِ، فلمَّـا سَـلَّمَ الإمـامُ مـن صـلاةِ الجمعـة، وثبـتُ قائمًـا علىٰ رجلـي ليـراني النـاس ويَسـمعوا كلامـي، ولا تخفـىٰ عليهـم مقالتِـي، وناديـتُ بأعلـىٰ صوتِـي لابنـي، وكنـتُ قـد أقمـتُ ابنـي بحِيَالـي عنـد الأُسْـطُوَانَةِ الأخـرىٰ.

فقلتُ له: يا بُنَيَّ، ما تقول في القُرآنِ؟! قال: كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوق!].

الشَّرحُ

احْتَـالَ(٣) الإمـامُ الكِنـانيُّ لإظهـارِ نَفْسِـهِ في المَسـجِدِ الجَامِـعِ أمـام جُمُـوعِ المُصليـن الذيـن يُقَـدَّرُون بـالآلاف، يقـول: فلمَّـا كان في يـوم الجمعَـة اعتزمـتُ فيهـا علـىٰ إظهـار نفسـي وإشـهار قولـي واعتقَـادي؛ فأُعتقـلُ وأناظـرُ، قـال: فصليـتُ الجمعـة بالجامـع الكبيـر في مَوضِـع يُقـال لـه: الرُّصَافـة مِـن الجانـب الشـرقي، فـكان بِحِيَـالِ القبلـةِ والمنـبرِ قريبًـا مِـن الإمـام، في أَوَّل صـفٍّ مـن صفـوفِ العامَّـةِ، فلمـا سـلَّمَ الإمـامُ مـن صـلاةِ الجمعـة وقـفَ وثبَـتَ قائمًـا علـىٰ

(١) تسـمَّىٰ: رُصَافـة بغـداد، وتقـع بالجانـب الشـرقي مـن بغـداد، بناهـا المهـديُّ بأمـر أبيـه أبـي جعفـر المنصـور، وقـد بنـىٰ فيهـا المهـديُّ -أيضًـا- المسـجد الجامـع، وانتهـىٰ مـن بنائهـا سـنة ١٥٩هـ. ينظـر: معجـم البلـدان (٣/ ٤٦).

(٢) حيالَ ظَرْفٌ. يقـال: قَعَدَ حِيالَـه وبحِيالِـه؛ أي: بإزائـه وقُبَالَـتَهُ وتُجاهـه وتلقـاء وَجْهِـهِ. ينظـر: الصحـاح وغيـره مـن المعاجـم (ح ي ل)، (ح و ل).

(٣) احتـال: طلـب الحيلـة. والحِيلـة: الحِـذْق في تدبيـر الأمـور وهـو تقليـب الفكـر حتـىٰ يهتـديَ إلـىٰ المقصـود. ينظـر: المصبـاح المنيـر (ح و ل).

رِجليـه؛ ليـراه النـاسُ بعـد السـلامِ مباشـرةً، فاسـتقبلَ النـاسَ لِيَـروه ويَسـمعُوا كلامـه ولا يخفـىٰ عليهـم مـن مقالتِـه شـيء، فنـادىٰ بأعلـىٰ صوتـه لابنِـه وكان قـد أقامَـه بِحِيَالِـه عنـد الْأُسْـطُوَانة -السَّـارِيَة(١)- الأخـرىٰ.

فقال له: يا بُنَيَّ، ما تقول في القُرآنِ؟!

قال: كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ.

وسـمعه الكثيـرُ، واشـتَهرَ ذلـك، ولا بُـدَّ مـع هـذه الشُّـهرةِ أن ينالـه مـا نـالَ غيره، ولكـن طَمِـعَ أنَّـه تَحْصُـلُ مُناظرتَـهُ، وكان عنـده مـن القُـدرةِ علـىٰ أَنْ يُنَاظِـرَ مُناظـرةً كاملـةً.

(١) ينظر: العين (٧/ ٢٩٢): (س ر ي).

قال راوي المناظرة:

[فلمَّا سَمِعَ الناسُ كلامي، ومسألتِي لابْنِي وجوابه إيَّايَ هربوا علىٰ وجوهِهِم خارجين من المسجد؛ خوفًا علىٰ أنفسهم! إلا يسيرًا مِن الناس.

وذلك أنهم سَمِعُوا ما لم يكونوا يَسمعون، وظهرَ لهم ما كانوا يُخفُونَ ويَكتمون.

فلم يَستَتِمَّ ابنِي الجوابَ حتىٰ أَتانِي أَصحابُ السلطانِ، فاحتَملونِي وابني وأوقفونِي بين يدي عَمرو بن مَسْعَدة(١).

وكان قد جاء ليصلي الجمعة، فلما نظَر إلىٰ وجهِي.

وكان قد سَمِعَ كلامي ومسألتِي لابني، وجوابَ ابنِي إيايَ، فلم يحتج أن يَسألني عن كلامي.

فقال لي: أمجنون أنت؟

قلتُ: لا.

قال: فَمُوَسْوِسٌ أنت؟

قلتُ: لا.

قال: أَفَمَعتُوهٌ أنت؟

قُلتُ: لا، إني لَصَحِيحُ العقلِ جَيِّدُ الفَهمِ ثابتُ المعرفةِ والحمد الله كثيرًا.

قال: فمَظلومٌ أنت؟

قُلْتُ: لا.

فقال لأَصحابِهِ وَرِجَالَاتِه: مُرُوا بهِمَا إلىٰ منزلِي].

(١) عَمْرُو بنُ مَسْعَدَة بن سعيد بن صُول، أبو الفضل الصُّوليّ، الأديب، أحد كُتَّاب الْمَأْمُون البُلَغاء، كَانَ فصيحًا مُفَوَّهًا جَوَادًا مُمَدَّحًا. توفي سُنَّة ٢١٧هـ. ينظر: تاريخ الإسلام (٥/ ٤١٤).

الشَّرح

لمَّـا سَـمِعَ النَّـاسُ كلامَـهُ وجَهْـرَه بهـذه المسـألة لولـدِه وجـوابَ ابنِـهِ إيَّـاه؛ خافـوا أن يَتَّبعُـوه، فينالهـم مَـا نـال غيرَهـم، فهربُـوا علـىٰ وجُوهِهِـم! وابْتـدرُوا أبـوابَ المسـجِدِ خائفيـنَ علىٰ أنفسـهم لمَّـا سَـمِعُوا مـا لـم يَكونـوا يسـمعون مـن الجَهـرِ بهذه المقالـة وظهـر لهـم مـا كانـوا يُخفونَ ومـا كانـوا يكتمون؛ لأنهـم كانوا يُسِرُّونَ عقائِدَهـم التي مَـن جهرَ بهـا عُـذِّبَ، ولـم يبـقَ إلَّا يسيرٌ مـن النـاس، فلـم يَستتِمَّ ابنُـهُ الجـوابَ؛ مَـا أتَـمَّ كَلِمَتَـه بقولـه: «القُـرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلـوق» حتـىٰ جـاء أصحـابُ السـلطانِ واحتمَلـوه واحتمَلـوا ابنَـهُ فأوقفـوه بيـن يـدي عَمـرو بـن مَسـعدة، وكان نائبًـا للخليفـة، قـدَ جـاء ليصلـيَ الجمعـة، فلمَّـا نظـرَ إلـىٰ وجهِـهِ وكان قـد سَـمِعَ كلامَـه الـذي سـمعه خلـقٌ وسَـمِعَ مسـألتَه لابنِـه، وسَـمِعَ جـوابَ ابنِـه إيَّـاهُ فلـم يَحتَـج أن يَسْـأَلَهُ، عـن قولِـه ولكنـه تعجَّـبَ لِتصرِيحِـه؛ لأنَّ المأمـونَ تَوَعَّـدَ مَـن يقـولَ بذلـك.

فقال له عَمرٌو: أمجنُونٌ أنتَ؟ أمُوَسْوِسٌ أنتَ؟ أَمَعْتُوهٌ أنتَ؟

يَسـأله؛ لأنَّـه لا يتجـرأُ علـىٰ هـذا القـول إلَّا المجنـونُ، أو المَعْتُـوهُ -ناقـصُ العقـلِ-[1]، أو المُوَسْـوِسُ!

فأجـابَ: لا، وقـال: إنِّـي لصَحِيـحُ العَقـلِ، جَيِّـدُ الفَهـمِ، ثَابِـتُ المَعرِفَـة، والحمـدُ لله؛ فمـا قلـتُ إلَّا مـا أعتقِـده.

فقال له: أفَمظلومٌ أنت؟ قال: لا.

فقال لأصحابهِ ورِجَالِهِ: مُرُوا بهما إلىٰ منزلي، يرِيدُ أنْ يَسْتَتِمَّ الكلامَ.

---

(١) المَعْتُـوهُ: النَاقـص العقـل، وقـد (عُتِـهَ): فهـو (مَعْتُـوهٌ) بَيِّـنُ العتـه. وعُتِـهَ الرجُـلُ: يُعْتَـهُ عُتْهًـا وعُتاهًـا فهـو مَعْتُـوهٌ، أي: مَدْهُـوشٌ مـن غيـر مَسٍّ وجُنُـونٍ. ينظـر: العيـن (١/ ١٠٤) بـاب (ع ت هـ)، ومختـار الصحـاح (ص٢٠٠): (ع ت هـ).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فحُمِلنا علىٰ أيدِي الرجال حتىٰ أُخرِجنا من المسجد ثم جعلوا يَتَعَادَونَ بنا سحبًا شديدًا وأيدِينا في أيدِي الرجال يمنَةً ويَسرَةً، وسائرُ أصحابِهِ خلفنا وقُدَّامَنا، حتىٰ صِرنَا إلىٰ مَنزلِ عَمرِو بن مسعدة علىٰ تلك الحال العَنيفة الغليظَة، فوَقفنا علىٰ بابِهِ حتىٰ دَخَلَ، وأَمَرَ بِنَا فأُدخِلنا عليه وهو جَالسٌ في صَحْنِ دارِهِ علىٰ كرسِيّ حديدٍ، ووسادة عليه، فلما صِرنَا بين يديه.

أقبل عليَّ فقال: من أين أنت؟

قلتُ: من أهلِ مكةَ.

فقال: ما حَملكَ علىٰ ما فعلتَ بنفسِك؟

قلتُ: طلبُ القُرْبَةِ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وطَلَبُ الزُّلْفَةِ(١) لديهِ.

قال: فَهلَّا فعلتَ ذلك سِرًّا من غير نداءٍ ولا إظهارٍ لمُخَالفةِ أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه-، ولكنكَ أردتَ الشُّهرَة والرياءَ والسُّوءَ، ولتأخذ أموالَ الناس!

فقلتُ: ما أردتُ مِن هذا شيئًا، ولا أردتُ إلَّا الوصولَ إلىٰ أميرِ المؤمنين والمُناظرةَ بين يديه لا غيرَ ذلك.

فقال: أو تفعلُ ذلك؟!

قلتُ: نعم.

ولذلك قصدتُ وبلغتُ بنفسي ما تَرَىٰ بعد خروجي من بلدي

(١) ينظر: تاج العروس (ز ل ف): (٢٣/ ٣٩٩، ٤٠٠).

وتَغرِيـرِي بنفسـي مـع سُـلوكي البـراري أنـا وولَـدِي؛ رجـاءَ تأديَـةِ حـقِّ الله عَزَّوَجَلَّ فيمـا اسـتودعنِي مـن الفَهـمِ والعلـم ومـا أُخِـذ علـيَّ وعلـىٰ العلمـاء مـن البيـانِ.

فقـال: إن كنـت إنمـا جعلـتَ هـذا سببًا لغيـره إذا وصلـتَ إلـىٰ أميـرِ المؤمنين فقـد حَـلَّ دَمُـك بمخالفتِـك أميـرَ المؤمنين.

فقلـتُ لـه: إن تكلمـتُ في شـيءٍ غيـرَ هـذا، أو جعلـتُ هـذا ذَرِيعَـةً إلـىٰ غيـرِه فدمـي حـلالٌ لأميـرِ المؤمنيـن].

الشَّرْحُ

قـال الكِنـانيُّ رحمـه الله تعالـىٰ: فَحُمِلنـا علـىٰ أَيـدِي الرجـال حتـىٰ أُخرِجنـا مـن المسـجد، وجعلـوا يَتَعَـادَوْنَ[١] بنـا، حيـث يَجُرُّونَهـم جـرًّا شـديدًّا، يقـول: وأيدينـا في أيـدي الرجـالِ الذيـن يَجُرُّوننـا يَمْنَـةً ويَسْـرَةً، وسـائرُ أصحـابِ عَمْـرِو بـن مسـعدة خلفنـا وقُدَّامنـا حتـىٰ صِرنـا إلـىٰ منـزلِ عمـرِو بـن مسـعدة علـىٰ تلـك الحـال العنيفـةِ الغليظـةِ، فـكُلُّ مَـن كان قَرِيبًـا منـه يُوبِّـخُ ويُنكـرُ مُخالفَتَـهُ أميـرَ المؤمنيـن والجماهِيـر.

يقـول: وقَفنَـا علـىٰ بابـهِ حتـىٰ دَخَـلَ وأَمَـرَ فأُدخلنـا عليـه وهـو جالـسٌ في صَحْـنِ داره -وسـطَ الـدار-، علـىٰ كرسِـيّ حديـد، عليـه وِسَـادةٌ.

قـال الكنانِـيُّ رحمـه الله تعالـىٰ: فلمـا صِرنَـا بيـن يـدي عَمـرِو أقبـل علـيَّ، وقـال لـي: مِـن أيـن أنـت؟

قلتُ: مِن أهلِ مَكَّةَ.

قال: فما حَمَلَكَ علىٰ ما فعلتَ بنفسكِ؟

---

(١) تَعَادَوْا: تبارَوْا وتنافَسُوا في الْعَدْوِ (الجَرْي) وأَسْرَعُوا. ينظر: المعجم الوسيط (ع د و).

قلتُ: طلبُ القُرْبَةِ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وطلبُ الزُّلْفَةِ لديهِ، فأريدُ أن أُظْهِرَ الحَقَّ وأُعْلِنَهُ.

قال: فهلَّا فعلتَ ذلك سِرًّا من غير نداءٍ ولا إظهارٍ لمُخالفةِ أميرِ المؤمنين أطال الله بقاءه؟! فلماذا لم تُخفِ نفسك؟ كأنَّك بهذا مُحَارِبٌ للخليفة ومخالفٌ له حيث أردتَ الشهرةَ والرِّيَاءَ والسوءَ ولتأخُذَ أموالَ الناس، فاتَّهمه عمرٌو بإرادته الشهرَة.

فقال: ما أردتُ مِن هذا شيئًا، إلَّا الوصولَ إلىٰ أميرِ المؤمنين، والمُناظرةَ بين يديهِ وأن أُظْهِرَ الحقَّ أمامَه لا غيرَ ذلك.

فقال عمرٌو: أوتفعلَ هذا؟!

قلتُ: نعم، ولذلك قصدتُ وبلَغتُ بِنفسي ما ترىٰ بعد خُروجي من بلدي من مكة وتَغرِيري بنفسي ومُخاطرتي مع سُلُوكِي البَرَارِي[1] وقَطْعِي الفَيَافِي[2] والقِفَارَ[3] أنا وَوَلَدِي، فما أردتُ إلا أنْ أُناظِرَ مَنْ يُخالِفُني بين يَدَيْهِ؛ رجاءَ تَأْدِيَةِ حقِّ الله عَزَّوَجَلَّ فيما استودَعنِي من الفَهْمِ والعلم.

وما أُخِذَ عليَّ وعلىٰ العلماءِ من البيانِ؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ قد أخذَ الميثاقَ علىٰ أهل العلم أن يُعَلِّمُوا وَيُبَيِّنُوا الكتابَ للناس ولا يَكتمونه، فقال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:١٨٧].

فكذلك نحنُ أُخِذَ علينا أن نُبَيِّنَ ذلك، وتَوعَّدَ الذين لم يفعلوا ذلك

---

(١) البراري -بتشديد الياء وتخفيفها- جمع الْبَرِّيَّة: الفلاة والصحراء. ينظر: تحرير ألفاظ التنبيه (ص٦٠).

(٢) جمع الفَيْفاء وهي: القَفْر من الأرض، والصحراء الملساء. ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٢٤٥)، ومختار الصحاح (ف ي ف).

(٣) القِفَار جمع قَفْرٍ: وهي مفازة لا نبات فيها ولا ماء. ينظر: مختار الصحاح (ق ف ر).

ويكتمـونَ -وهـم أَهـل الكتـاب- بقولـه تعالـىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴾[1] [البقـرة:١٧٤، ١٧٥].

فقد خاف الكِنانيُّ رحمه الله تعالىٰ من هذا الوَعيدِ في كتمان العلم.

فقـال عمـرٌو: إن كنـت جعلـتَ هـذا سـببًا لغيـرهِ إذا وصلـتَ إلـىٰ أميـرِ المؤمنيـن؛ فقـد حَـلَّ دمُـك؛ لأنـك خالفـتَ أميـرَ المؤمنيـن.

فقـال الكنـانيُّ: إن تكلمـتُ في شـيءٍ غيرَ هـذا، أو جعلـتُ هـذا ذرِيعَـةً[2] إلىٰ غيـرهِ، فدمـي حـلالٌ لأميرِ المؤمنيـن، فمـا قصـدتُ إلَّا إظهـارَ الحـق؛ فـلا أريـدُ مـالًا، ولا أريـدُ شُـهرَةً، ولا مَنْصِبًا.

---

(١) قـال ابـن عطيـة رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره (١/ ٢٤١): (وهـذه الآيـة وإن كانـت نزلـت في الأحبـار؛ فإنهـا تتنـاول مـن علمـاء المسـلمين مـن كَتَـمَ الحقَّ مختـارًا لذلـك لسـبب دنيـا يصيبهـا).

(٢) الذَّريعة إلىٰ الشيء: الطريقة إليه. ينظر: معجم الفروق اللُّغوية (ص٥٧٢).

وفي مشـارق الأنـوار (١/ ٢٦٩): (... ذريعـةً إلىٰ غيـره: سـببًا إليـه). وينظـر: لسـان العـرب (٨/ ٩٦)، وتـاج العـروس (٢١/ ١٢).

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: فَوَثَـب عَمـرٌو قائمًـا علىٰ رجليـه، وقـال: أخرجـوهُ بيـن يـديَّ إلىٰ أميـرِ المؤمنيـن.

قـال: فأُخرِجـتُ، وركِـبَ مـن الجانـب الغربـي، وأنـا بيـن يديـه وولَـدِي يُعـدىٰ بنـا علىٰ وجوهنـا، وأيدينـا في أيـدي الرِّجـالِ، حتىٰ صـار إلىٰ أميـرِ المؤمنيـن مـن الجانـب الشـرقي فدخـل، وأنـا في الدِّهْلِيـزِ[1] قائـمٌ علىٰ رجليَّ، فأطـالَ عنـد أميـرِ المؤمنيـن، ثـم خـرج فقعـد في حجـرة لـه، وأَمَـر بـي فأُدْخلـتُ عليـه.

فقـال لـي: قـد أخبـرتُ أميـرَ المؤمنيـن -أطـال الله بقـاءه- بخبـرك، وَمـا فعلـتَ، ومـا قلـتَ، ومـا سـألتَ مـن الجمـعِ بينـك وبيـن مُخالفيـكَ مـن المُناظـرة بيـن يدَيْـه، وقـد أمـرَ -أطـال الله بقـاءه- بإجابتـكَ إلىٰ مـا سـألتَ، وجمـع المُناظريـن علىٰ هـذه المسـألة إلىٰ مجلسـه -أعـلاهُ اللهُ- في يـوم الاثنيـن الآتـي، وتحضـر معهـم لتتناظـروا بيـن يديـه -أيـدهُ اللهُ- ويكـونُ هـو الحاكـم بينكـم].

الشَّرح

يقـول: فوثـب عَمـرو بـن مسـعدة، قائمًـا علىٰ رجليـه وكان جالسًـا علىٰ كرسـي، فقـال: أخـرِجوه بيـن يـديَّ إلىٰ أميـرِ المؤمنيـن فأُخرجـتُ وركِـب مـن الجانـب الغربـي، وأنـا وولَـدِي بيـن يديـه يُعـدىٰ بنـا علىٰ وجوهِنـا، وأيدينـا في أيـدي الرجـال، حتىٰ صـار إلىٰ أميـرِ المؤمنيـن في الجانـب الشـرقي، فدخـل عمـرٌو وَحْـدَهُ، وأنـا في الدِّهْليـز قائـمٌ علىٰ رجلـيَّ، فأطـالَ عَمـرو عنـد أميـرِ المؤمنيـن يتكلـمُ معـه، ثـم خَـرَجَ فَقَعَـدَ في حُجـرةٍ لـه، وأَمَـرَ بِـي فأُدْخِلْـتُ عليـه.

---

(١) الدِّهْليز -بالكسر-: ما بَيْنَ البَابِ والدَّار، فارِسِيٌّ مُعَرَّب. ينظر: الصحاح (٣/ ٨٧٨).

فقال لِي: قد أخبرتُ أميرَ المؤمنين خبركَ، وما فعلتَ، وما قلتَ، ومَا سألتَ من الجمعِ بينك وبينَ مُخالفيك للمُناظرةِ بين يديه، وقد وافَقَ علىٰ المُناظرةِ وأمر بإِجَابتكَ إلىٰ ما سألتَ، وجمع المُناظِرين عن هذه المقالةِ، وتَحضُر معهم إلىٰ مجلسه في يوم الاثنين؛ لتتناظروا بين يديه، ويكونَ هو الحاكم بينكم. وكان ذلك يوم الجمعةِ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأكثرتُ من حَمْدِ الله علىٰ ذلك، وشَكَرْتُهُ، وأظهرتُ الشّكرَ والدُّعاءَ لأميرِ المؤمنين.

فقال لِي عَمْرُو بن مسعدة: أعطنا كفيلًا بنفسِك؛ حتىٰ تحضُرَ معهم يوم الاثنين، وليس بنا حاجةٌ إلىٰ حَبسِك.

فقلتُ له: أعزَّكَ اللهُ أنا رجلٌ غريب، ولستُ أعرفُ في هذا البلد أحدًا، ولا يَعرِفنِي من أهله أحدٌ، فمِن أين لِي مَن يَكفلنِي وخاصَّة مع إظهارِ مقالتِي؟! لو كان الخلق يَعرفوننِي لتبرؤوا مني، وهربوا من قربي وأنكرُوا مَعرفتِي.

قال عمرٌو: فنوكِلُ بك مَن يكونُ معك حتىٰ يُحضرك في ذلك اليوم، وتنصرف فَتصلحَ من شأنك وتفكِّرَ في أمرك، فلعلك أن ترجعَ عن غَيِّك، وتتوبَ مِن فعلك فيصفحُ أميرُ المؤمنين عن جُرمِك.

فقلتُ: ذلك إليك -أعزك اللهُ- فافعل ما رأيت.

فَوَكَّلَ بي مَن يكونُ معي في مَنزلِي، وانصرفتُ].

الشّرحُ

لمَّا وَاعَدُوه بالمُناظرة أكثرَ من حمدِ الله وشُكرِه ودعا لأَميرِ المؤمنين؛ لأَنَّ هذا وسيلة وسببٌ لِظهورِ الحق، فقال له عَمرو بن مسعدة: أعطِنا كَفِيلًا بنفسك؛ حتىٰ يحضرَ معك يوم الاثنين، فلسنا بحاجةٍ إلىٰ حَبسِك، فقلتُ: أَعزك اللهُ أنا رجلٌ غَرِيبٌ عن هذه البلدةِ، ولا أعرفُ مِن أهلها أحدًا، ولا

يعرِفني أحدٌ، أَنَّىٰ لي من كفيل! خاصة بعد إظهار مقالتي، ولو كان أحدٌ يَعرِفني لأنكَروا مَعرفتي؛ مخافة أن ينالهم ما نال غيرهم من الحبسِ.

قال عمرو: سنوكلُ بك من يكون معك؛ حتىٰ يحضرَك في ذلك اليوم، فانصرفْ وأصلِحْ من شأنك، وتفكَّرْ في أمرِك، فلعلك أن ترجع عن غَيِّكَ، وتتوبَ مِن فعلك، فيصفح أميرُ المؤمنين عن جُرْمِك.

فقلتُ: ذلكَ إليكَ -أعزَّك اللهُ- فافعل ما رأيتَ، فوكَّلَ بي مَن يكونُ معي في مَنزلي، وانصرفتُ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فلمَّا كان يوم الاثنين، صليتُ الغداةَ في مسجدي الذي كان علىٰ بابِ منزلي، فلمَّا فرغتُ من الصلاة إذ بخليفة عمرو بن مَسْعَدَةَ قد جاء ومعه خلقٌ كثيرٌ من الفرسانِ والرجال فحَمَلوني مُكرَّمًا علىٰ دابةٍ حتىٰ صاروا بي علىٰ بابِ أميرِ المؤمنين فأوقفني حتىٰ جاء عمرُو بن مسعدة، فدخل فجلس في حُجرته التي كان يَجلسُ فيها، ثم أُذِنَ لِي بالدخول عليه فدخلت؛ فلما صرتُ بين يديه أجلسني.

ثم قال لي: أنت مقيمٌ علىٰ ما كنتَ عليه، أو قد رجعتَ عنهُ؟

فقلتُ: بل مقيمٌ علىٰ ما كنتُ، وقد ازدَدتُ -بتوفيق الله إياي- بصيرة في أمرِي.

فقال لي عمرُو: أيُّهَا الرجلُ قد حملتَ نفسك علىٰ أمر عظيم، وبلغتَ الغاية في مَكرُوهِها، وتعرَّضتَ لِمَا لا قِوامَ لك به، من مُخالفة أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه-، وادَّعيت ما لا يثبت لك به حُجَّةٌ علىٰ مُخالفيك ولا لأحدٍ غيرِك، وليس وراءك بعد الحُجَّة عليك إلا السيف، فانظر نفسك، وبادِر أمرَك قبل أن تقعَ المناظرة، وتظهر عليك الحُجَّةُ، فلا تنفعُك النَّدامةُ، ولا تُقْبَل لك مَعذِرةٌ، ولا تُقَال لك عَثْرَةٌ، فقد رحمتُك وأشفقتُ عليك مما هو نازلٌ بك، وأنا أستقبِلُ أميرَ المؤمنين -أَطال اللهُ بَقَاءه- وأسألُهُ الصّفحَ عن جُرمِك وعظيمِ ما كانَ منك، إن أظهرتَ الرجوعَ عنه، والندمَ علىٰ ما كان منك، وآخذ لك الأمانَ منه -أيدهُ اللهُ- والجائزةَ، وإن كانت لك ظُلَامة أزلتُها عنك، وإن كانت لك حاجةٌ قضيتُها لك، فإنما جلستُ رحمةً لك مما

هو نازلٌ بك بعد ساعة إن أقمتَ علىٰ ما أنت عليه، ورجوتُ أنْ يُخَلِّصَكَ اللهُ علىٰ يديَّ من عظيمِ مَا أوقعتَ بنفسكِ فيه.

فقلتُ له: ما ندمتُ -أعزك اللهُ- ولا رجعتُ، ولا خَرَجْتُ عن بلدي، وغرَّرتُ بِنفسي إلَّا في طلبِ هذا اليوم، وهذا المجلسِ؛ رجاء أن يُبلِّغَنِي اللهُ مَا أُؤَمِّل من إقامةِ الحقِّ فيه، وما تَوفِيقِي إلا بالله عليه توكلتُ، وهو حسبِي ونعم الوكيل.

قال مُحَمَّد بنُ الحسن: سمعتُ أبا عبد الله يقول: قال لي أبي: جاء عبدُ العزيز إلىٰ أبي عبد الله أحمدَ بنِ حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الحَبسِ.

فقال: إنَّ هذا الأمرَ الذي أنت فيه ليس تُطِيقه علىٰ دِقَّتِهِ، فاذكُرني، فبعثَ إليه أبو عبد الله أنا قد وقعتُ، وأخافُ أن أذكُرَك فأُشِيطَ بِدمِك، فيكون قتلك علىٰ يدي، فأُقتلُ أنا أحبُ إليَّ! فانصرِف بسلام].

الشرح

يقول الكنانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: يوم الاثنين صليتُ الغداةَ، بمسجدي الذي علىٰ بابِ مَنزِلي، لعلّهُ استأجرَ منزِلًا، فقال: لمَّا فرغتُ من الصَّلاةِ إذا بخليفة عَمرو بن مسعدة قد جاء، ومعه خلقٌ كثيرٌ من الفرسان والرجال، فحملونِي مُكرما علىٰ دابَّةٍ، حتىٰ صاروا بي إلىٰ باب أميرِ المؤمنين، فأوقفوني حتىٰ جاء عَمرو بنُ مسعدة فدخلَ في حُجرتِه التي كان يجلس فيها، ثم أَذِنَ لِي بالدخولِ فدخلتُ عليه، وكأنَّهُ يريدُ أن يَنصَحَهُ في نظرِهِ؛ حتىٰ يتراجعَ ولا يتعرَّضُ للقتل كما قُتِلَ غيرُه.

فلمَّا صِرتُ بين يديه، أجلسني.

ثم قال لي: أنت مُقيمٌ علىٰ ما كنتَ عليه أَوْ قد رجعتَ عنه؟

فقلتُ: بل مُقيمٌ علىٰ ما كنتُ، وقد ازددتُ -بتوفيق الله إياي- بصيرةً في أمْـرِي.

فقال لِي عَمرو: أيُّهَا الرجلُ، قد حَملتَ نفسك علىٰ أمرٍ عظيمٍ، وبلغتَ الغايةَ في مكروهها، وتعرضتَ لِمَا لا قِوامَ لك به مِن مُخالفةِ أميرِ المؤمنين، وادَّعِيتَ ما لا يثبتُ لك به حُجَّةٌ علىٰ مُخالفيك، فإنَّ حُجَّتَهُم أقوىٰ مِن حُجَّتِكَ، وإنَّهم سَيَغلِبونك، ولا يثبتُ لك به حُجَّة علىٰ مُخَالفيك ولا لأحدٍ غيرك، وليس وراءَك بعد الحُجَّة عليك إلا السيف، إذا أقاموا الحُجَّةَ عليك، فانظر لنفسك وبادر أمرَك قبلَ أن تقعَ المُناظرةُ، وتظهرَ عليك الحُجَّة، فلا تنفعُك النَّدامة ولا تُقْبلُ لك معذرة ولا تُقَالُ لك عثرةٌ إذا عثرتَ، فقد رحمتُك وأشفقتُ عليك مما هو نازلٌ بك، وأنا أستقبلُ أميرَ المؤمنين، وأسألُهُ الصَّفحَ عن جُرْمِك، وعظيمِ ما كان منك؛ إن أَظهرتَ الرُّجوعَ عنه والنَّدمَ علىٰ ما كان منك فأَذْهَب إليهِ وآخذُ لك الأمانَ منه وأعطِيك جائزةً وَإن كانت لك ظُلامَة أَزلتُهَا عنك، وإن كانت لك حاجةٌ قضيتُها لك؛ مساعدةً علىٰ رجوعك، وإنما جلستُ رحمةً لك مما هو نازلٌ بك بعد ساعة، إن أقمتَ علىٰ ما أنت عليه ورجوتُ أن يُخَلِّصَكَ اللهُ علىٰ يَدَيَّ من عظيمِ ما أوقعتَ فيه نَفْسَكَ، كأنه مُوقِنٌ بأنه سيُقْتَلُ.

فَقُلْتُ له: ما ندمتُ -أعزَّك الله- ولا رجعتُ عَمَّا أنا عليه، ولا خرجتُ من بلَدي وغرَّرْتُ بِنفسي إلَّا في طَلَبِ هذا اليومِ، وهذا المجلسِ؛ رجاءَ المُناظرة؛ حتىٰ يظهرَ الحقُّ، وَأَن يُبَلِّغَنِي اللهُ ما أُؤَمِّلُ من إقامةِ الحقِّ فيه، وما توفيقي إلَّا بالله، عليه توكلتُ، وهو حسْبي ونعم الوكيل.

ثم ذهب إلىٰ أحمدَ بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الحَبْسِ.

فقال: إنَّ هذا الأمرَ الذي أنتَ فيه لا تُطِيقه علىٰ دِقَّتِهِ، فاذكُرني، فبعثَ إليه أبو عبد الله: أنا قد وقعتُ، وأخافُ أنْ أذكُرَك فأُشِيطَ[1] بدَمِك، فيكون قَتْلُكَ علىٰ يدي، فأُقتل أنا أحبُّ إليَّ! فانصرف بسلامٍ.

(١) أشاط دمه وأشاط بدمه: إذا عرَّضَه للقتل. ينظر: تاج العروس (١٩/ ٤٣٣): (ش ي ط).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقامَ عَمرو بن مسعدة علىٰ رجليه، وقال: قد حَرَصْتُ في كلامِكَ جَهْدِي، وأنت حريصٌ مجتهدٌ في سَفْكِ دَمِكَ وَقتْلِ نفسك.

فقلتُ له: مَعونةُ الله أعظمُ، واللهُ عَزَّوَجَلَّ ألطفُ من أن يُسلِمَني ويَكِلني إلىٰ نَفسي، وعَدْلُ أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه- أوسَعُ من أن يَقصُرَ عني، وأنا أقول: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيمِ.

قال عبدُ العزيز: وأمر بي فأُخرجتُ إلىٰ الدهليز الأولِ، ومعي جماعةٌ مُوكلون بِي، وكان قد تَقدمَ إلىٰ سائر بني هاشم ممَّن يحضرُ مجلس أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، أن يركبوا، ووجَّه إلىٰ الفقهاءِ والقضاة والمُوافقين لهم علىٰ مذهبِهم وسائرِ المُتكلمين والمُناظرين أن يحضُروا دارَ أميرِ المؤمنين، فأمر القُوَّادَ والأُمراءَ أن يركبوا في السلاحِ كل ذلك ليُرهِبُوني بهم.

ومنع الناس من الانصرافِ إلىٰ أنْ ينقضي المجلس، فلمَّا اجتمعَ الناسُ وتأهَّبُوا ولم يتخلف منهم أحدٌ ممَّن يُعرفون بالكلام والجدال، أَذِنَ لي في الدخول، فلم أزل أُنقَلْ مِن دهليزٍ إلىٰ دهليزٍ حتىٰ صِرتُ إلىٰ الحاجِب صاحبِ السّترِ الذي علىٰ باب الصحن، فلما رآني أمرَ بي فأُدخِلت إلىٰ حُجرتِه، ودخل معي.

فقال لي: إن احتجتَ إلىٰ أن تُجدِّدَ طُهرًا فافعل.

فقلتُ: لا حاجةَ لي في ذلك.

فقال: صلِّ ركعتينِ قبلَ دخولِك.

فصليتُ أربع ركعاتٍ، ودعوتُ الله وتضرعتُ إليه، فلمَّا فرغتُ أَمَرَ من كان بحجرتِه فخرج من الحُجرة.

ثم تقدَّمَ إليَّ فقال لي -وهو يُسَارني-: يا هذا، إن أميرَ المؤمنين بَشرٌ مثلُك رجلٌ من ولدِ آدمَ، وكذلك كُلُّ من يُناظركَ بحضرته فهو بشرٌ مثلُك، فلا تتهَيَّبهُم، واجمع فَهمَك وعَقلك لمَناظرتِهم، وإيَّاك والجزعَ.

واعلم -علمًا يقينًا- أنه إن ظهرَت حُجَّتُك عليهم انكَسَروا وانقطعَ كلامُهم عنك، وأذلَلتَهُم وغلبتَهم ولم يقدِروا علىٰ ضُرٍّ ولا مَكروهٍ وصارَ أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- وسائرُ الأولياءِ والرَّعِيَّة معك عليهم، وإن ظهرت حجتُهُم عليك أذلُّوك وقتلوك وأشهَروك وجعلوك للخلقِ عِبرَة، فاجمعْ هِمَّتك ومَعرفَتكَ ولا تدع شيئًا مِمَّا تُحسِنه وتحتاجُ إليه أن تتكلمَ به خوفًا من أميرِ المؤمنين أو مِن أحدٍ غيرهِ وتوكل علىٰ الله واستخر، وقم فادخل.

قال عبد العزيز: فقلتُ له: جزاك اللهُ خيرًا؛ فقد أدَّيتَ النصيحةَ وسَكَّنتَ الرَّوعَة وآنستَ الوحشةَ، وخرج وخرجتُ معه إلىٰ بابِ الصَّحْن].

الشَّرح

لمَّا قام عمرو بنُ مَسعدة علىٰ رجليه قال لعبد العزيزِ: حَرَصتُ في كَلَامِكَ جُهْدِي، وأنت حريصٌ مُجتَهِدٌ في سَفْكِ دَمِكَ وتَتسببُ في قتلِ نفسِك.

فقال لهُ: مَعُونةُ اللهِ أَعْظَمُ، واللهُ عَزَّوَجَلَّ ألطفُ من أن يُسْلِمَنِي أو يَكِلَنِي إلىٰ نفسي، وعَدْلُ أميرِ المؤمنين أَوْسَعُ من أن يَقْصُرَ عَني، وأقول: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله.

ثم أُمِرَ بي فأُخرِجتُ إلىٰ الدهليز الأول، ومعي جماعةٌ مُوكلون بي

حتىٰ لا أهرب، وكان قد تَقدَّمَ إلىٰ سائر بني هاشم -أقارب الخليفة- ممَّن يحضر مجلسَ أميرِ المؤمنين أن يركبوا، ووجَّه إلىٰ الفقهاءِ والقضاةِ والمُوافقين لهم علىٰ مذهبهم -القولُ بخلق القرآنِ-، وسائرِ المُتكلمين، والمُناظرين أن يَحضروا دارَ أمير المؤمنين.

وأمرَ القُوَّادَ والأمراء أن يركبوا في السِّلاحِ، كُلُّ ذلك؛ ليُرهبُوني بهم فأخافُ، ومنع الناس من الانصرافِ إلىٰ أن ينقضِيَ المجلِس، فلما اجتمع الناس وتأهبوا ولم يتخلف أحدٌ منهم ممن يعرفون الكلام والجدال أُذِنَ لي في الدخول.

ولم أزلْ أُنقَلُ مِن دهليز إلىٰ دهليز حتىٰ صِرتُ إلىٰ الحاجبِ صاحب السّتْرِ الذي علىٰ باب الصحن، فلما رآني أمر بي فأدخِلتُ إلىٰ حُجْرَةِ ذلك الحاجبِ، ودخل معي فقال: إن احتجتَ إلىٰ أن تُجَدِّد طُهْرًا -يعني: تتوضَّأ- فافعل.

قلتُ: لا حاجةَ لِي بذلك، فقال: صَلِّ ركعتينِ قبل دخولك، كأنه يَشْعُرُ أني سأقتلُ، فصليتُ أربع ركعاتٍ، ودعوتُ اللهَ وتضرعتُ إليه، فلما فرغتُ، أمرَ الحاجبُ مَن كان بحُجرتِه فخرج من الحُجرَةِ ثم تقدَّمَ إليَّ، وقال لِي -وهو يُسَارُّنِي-: إنَّ أميرَ المؤمنين وكل مَن يُناظرُك بحضرته بَشرٌ مثلك؛ فلا تَتهيَّبْهُم -فكأنه من مُحِبي الخير-، فاجمع فهمَك وعقلك لمَناظرَتهم، وإيَّاك والجزعَ، واعلم علمًا يقينًا أنه إن ظهرت حُجَّتُك عليهم انكسروا وانقطعَ كلامُهم عنك، وأذللتَهُم وغلبتَهُم، وهذا صحيحٌ، ولم يقدِروا علىٰ ضُرٍّ ولا مَكروهٍ، وصارَ أَميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- وسائرُ الأولياءِ والرعِية

معك عليهم، وإن ظهرت حُجَّتُهُم عليك أذلّوكَ وقَتَلوك وأشْهَرُوكَ وجَعَلوك للخلقِ عِبرَةً، فتوكَّل علىٰ الله واستَخِرِ الله واجمع هِمَّتك ومَعْرِفَتك ولا تدع شيئًا ممَّا تُحسِنه وتحتَاج إليه من أن تتكلم به خوفًا من أميرِ المؤمنين، فلا تترُك شيئًا من الحُجَجِ التي تَحتجُّ بها، أو من أحدٍ غيرِه، وقم فادخل.

فقلتُ له: جزاكَ اللهُ خيرًا؛ فقد أَدَّيتَ النَّصِيحَةَ وسَكَّنتَ الروْعَةَ وآنستَ الوحشةَ وخرج وخرجتُ معهُ إلىٰ بابِ الصّحْنِ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فَشَالَ السّترَ، وأخذَ الرِّجالُ بِيديَّ وعَضُدِي وجعلَ أقوامٌ يَتعادُون بي، وأيديهم في ظهري وعلىٰ عنقي، فجعلتُ أسمعُ أميرَ المؤمنين وهو يقول: خَلُّوا عنه خَلُّوا عنه، وكَثُرَ الضجِيجُ من الحُجَّاب والأولياءِ بمثل ذلك، فَخُلِّيَ عني وقد كاد عقلي أن يَتغير مِن شدَّةِ الجزعَ، وعظيمِ ما رأيتُ من ذلك الصحن في ذلك من السِّلاحِ والرِّجالِ، وقد انبسطت الشمسُ عليهم، ومُلِيءَ الصحنُ صفوفًا، وكنتُ قليلَ الخبرة بدار أميرِ المؤمنين، ما رأيتها قبل ذلك ولا دخلتُها، فلما صِرتُ علىٰ بابِ الإيوان(١)، وقفت هناك فسمعته يقول: قَرِّبُوه قَرِّبُوه، فلما دخلتُ من باب الإيوَانِ وقعت عيني عليه، وقبل ذلك لم أتبيَّنهُ؛ لِمَا كان علىٰ باب الإيوان من الحُجَّاب والقُوَّادِ، فقلتُ: السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ اللهِ وبركاته.

فقال: أُدنُ مني، فدنوتُ منه، ثم قال: أُدنُ مني -زادهُ تكرارًا-، وأنا أدنو منه خُطوة خُطوة، حتىٰ صِرتُ في الموضعِ الذي يَجْلِسُ فيه المناظرون، ويُسمَع كلامهم، والحاجبُ معي يقدمُني، فلما انتهيتُ إلىٰ الموضعِ.

قال لي المأمونُ: اجلسْ فجلست.

فسمعتُ رجلًا من جلسائِه يقول -وقد دخلتُ من الإيْوَانِ-: يا أميرَ المؤمنين، يكفيك من كلامِ هذا قُبْحُ وجهِهِ، لا والله ما أريتُ خَلَقَ اللهُ قطّ أقبحُ وجهًا منه، فسمعته يقول هذا وفهمتُ كلامه كُله ورأيتُ شَخصَهُ علىٰ ما بي من الرَّوعَةِ والجزعِ والخوف.

(١) الإيوان: الصُّفَّة العظيمة كالأَزَجِ -والأَزَجُ: ضَرْبٌ من الأبنية، أو بيت يبنىٰ طولاً-. ومنه: إيوان كسرىٰ، كما في الصحاح. والجمع: إيوانات، وأواوين، مثل: ديوان ودواوين. ينظر: تاج العروس (٥/ ٤٠٤) (أ ز ج)، و(٣٤/ ٢١٨)، (أ و ن).

وجعلَ ينظرُ إليَّ وأنا أرتعِدُ وأنْتَفِضُ، فأحَبَّ أن يُؤنِسَنِي وأن يُسكِّنَ عني ما قد لحِقنِي وأن يُنَشطَنِي، فجعل يكثر كلامَ جُلسائِهِ، ويكلِّمُ خليفتَه عمرو بن مَسعدة، ويتكلم بأشياءَ كثيرةٍ مما لا يحتاجُ أن يتكلمَ بها؛ يريدُ بذلك كله: إينَاسِي، وجعلَ يطيلُ النَّظرَ إلىٰ الإيْوَانِ، ويُديرُ طَرْفهُ فيه، فوقعت عينُه علىٰ موضع مِن نقشِ الجَصِّ[1] قد انتفخَ، فقال: يا عمرُو، أمَّا ترىٰ هذا الذي قد انتفخَ مِن هذا النقشِ وسيقعُ؟! فَبَادِرهُ في يومنا هذا.

فقال عَمْرٌو: قطع اللهُ يدَ صانِعه؛ فإنه قد استَحَقَّ العقوبةَ علىٰ عملِهِ هذا].

الشرح

يقول: أزالَ السِّترَ الذي كان علىٰ البابِ، وأخذَ الرجالُ بِيديَّ وعَضُدِي وجعلَ أقوامٌ يَتعَادَون بي وأيديهم في ظهرِي، وعلىٰ عنقي، ولسانُ حَالِهم: هذا المُخَاطِرُ بنفسه!

فسمعتُ أمير المؤمنين يقول: خَلُّوا عنه خَلُّوا عنه، وكَثُرَ الضجِيجُ من الحُجَّابِ والْأَولِيَاءِ بمثل ذلك، فَخُلِّي عني.

وقد كاد عَقلي أن يتغير من شِدَّةِ الجَزعِ من عظيمِ ما رأيتُ في ذلك الصَّحنِ، من السِّلاح والرِّجال، وقد طلعت الشَّمْسُ وانبسطت عليهم وقد مُلِئَ الصَّحْنُ صفوفًا، وكنتُ قليلَ الخِبرَة بدارِ أميرِ المؤمنين؛ ما رأيتُها قبلَ ذلك ولا دخلتُهَا، فلما صِرتُ علىٰ بابِ الإيْوَانِ وهو محله، وقفت هناك فسمعته يقول: قرِّبُوهُ قرِّبُوهُ.

---

(١) الجِصُّ والجَصُّ: ما يُبْنَىٰ به، وهو مُعَرَّب. ينظر: الصحاح (٣/ ١٠٣٣).

فلمَّا دخلتُ من باب الإيْوَانِ وقعت عينِي عليهِ، قبل ذلك لم أتبيَّنْهُ؛ لِمَا كان على باب الإيْوَانِ من الحُجَّابِ والقُوَّادِ.

فقلتُ: السَّلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال: أُدنُ مني فدنوتُ ثم قال: أُدنُ مني زاده تِكرارًا، وأنا أَدنُو خُطوَةً خُطوَةً، حتى صِرتُ في الموضع الذي يجلسُ فيه المناظرون، ويُسمع كلامُهم، والحَاجِبُ معي يُقَدِّمُنِي، فلما انتهيتُ إلى الموضعِ، قال لِي المأمونُ: اجلس فجلست.

فسمعتُ رجلًا من جُلسَائِهِ قد دخل من الإيْوَانِ، فقال: يكفيك من كلامِ هذا قُبْحُ وجهِه، لا والله ما رأيتُ خَلَقَ اللهُ قطُّ أَقبْحَ وجهًا منه، أي: أنه دَمِيْمُ الخِلقَةِ ولم يكن عبدُ العزيز من الذين وهبَهُم اللهُ صَبَاحَةَ وَجْهٍ[1]، يقول: فسمعتُ قَوْلَه وفهمتُ كلامَه كُلَّه، ورأيتُ شَخصَ ذلك الذي قال هذه المَقالَةَ، على ما بي من الرَّوعة والجَزَع والخوفِ والمَأْمُونُ يَنظرُ إليَّ، وأنا أرتَعِدُ.

فأَحبَّ أن يُؤنِسَنِي وأن يُسكِّنَ عني ما لحقنِي، ويُنشطَنِي، وجعلَ يُكلِّمَ جُلساءه، ويكلمُ عمرَو بن مَسعدة، ويتكلم بأشياءَ كثيرةٍ مما لا يحتاجُ أن يتكلمَ بها يريدُ تَأْنيسي وجعلَ يُطِيل النَّظَرَ إلى الإيوان، ويُديرُ طَرْفه فيه، فوقعتْ عينُه على موضعٍ من نقشِ الجَصِّ قد انتفخَ، فقال: يا عمرُو ما هذا؟ أما ترى هذا الذي قد انتفخَ من هذا النقشِ، وسيقعُ، فبادِرهُ في يومنا هذا.

قال عَمْرٌو: قَطع اللهُ يد صَانعه، قد استحقَّ العقوبةَ على عملِهِ هذا.

وهذا من الخليفة لتَأْنِيس الكِناني.

---

(١) جاء في تاج العروس (٦/ ٥٢١): والصَّبَاحة: الجمال، هكذا فسره غير واحد من الأئمة، وقيَّده بعض فقهاء اللغة بأنه الجمال في الوجه خاصةً.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمونُ.

فقال لِي: الاسمُ؟

فقلتُ: عبدُ العزيز.

فقال لي: ابنُ مَن؟

فقلتُ: ابنُ يَحيىٰ.

قال: ابنُ مَن؟

قلتُ: ابن ميمون الكِنانيِّ.

قال: وأنت من كِنانة.

قلتُ: نعم، يا أميرَ المؤمنين، فتركني ولم يكلمني هُنَيْهَةً[1]، ثم أقبل عليَّ فقال: مِن أين الرجل؟

قلتُ: من الحِجَاز.

قال: من أي الحِجَازِ؟

قلتُ: من مَكَّةَ.

قال: ومن تَعرِف مِن أهلها؟

قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، كُلُّ مَن بها مِن أهلها أعرفه، إلا رجلًا ضَوَىٰ[2] إليها وَجَاوَرَ بها من الغرباءِ فإني لا أعرفهُ.

(١) أي: قليلاً من الزمان. ينظر: لسان العرب (١٥/ ٣٦٦).

(٢) ضَوَىٰ إليه يَضْوِي ضَيًّا وضُوِيًّا: انضم ولَجَأَ. ينظر: لسان العرب (١٤/ ٤٩٠).

قـال: فهـل تعـرفُ فلانًـا؟ هـل تعـرفُ فلانـا؟ حتـىٰ عـدَّ جماعـةً مِـن بنـي هَاشـمٍ كلهـم أعرفهـم حـقَّ مَعرِفتِهِـم.

فجعلتُ أقـول: نعـم، أعرفـه، وسـألني عـن أولادهِـم وأنسابِهم فأخبِرهُ مـن غيـر حاجـةٍ بـه إلـىٰ شـيءٍ مـن ذلـك، ولا ممـا تقـدَّمَ مـن مسـألتي وإنمـا يريـدُ بـه إيناسِـي وبسـطي للـكلامِ، وتسكينِ رَوْعَتي وجَزعِي، فقـوِي بهـا ظهـري، واشـتدَّ بهـا قلبي، واجتمـع بهـا فَهْمِـي، وعـلا بهـا جَـدِّي، وانشـرحَ بهـا صَـدرِي، وانطلـقَ بهـا لسـاني، ورجـوتُ بهـا النصـرَ علـىٰ عَـدُوي].

الشَّرحُ

أقبل عليه المأمونُ وسألهُ عن اسمهِ واسم أبيهِ ونَسَبِهِ.

فقال: أنت من كِنَانة.

قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، فتركهُ ولم يكلمهُ بُرْهَةً[١]، ثم أقبل عليه ثانيةً.

وقال: مِن أين الرجلُ؟

قال: من الحجاز.

قال: مِن أيِّ الحجاز؟

قال: مِن مَكَّةَ.

قال: مَن تعرف من أهلِهَا؟

قـال: أعـرِف كُلَّ مَـن بهـا مِـن أهلهـا إلَّا رجـلًا ضَـوَىٰ إليهـا وجـاورَ ولـم يكـن مـن أهلها.

---

(١) برهة -بفتح الباء، ويُضَمُّ-: المدة الطويلة من الزمان، أو أعمّ. ينظر: تاج العروس (ب ر هـ).

فقال: هل تعرفُ فلانًا؟

هل تعرفُ فلانًا؟

وعدَّ رجالًا من بني هاشم كُلُّهم أعرفُهُم حقَّ المَعرِفَة.

قال: نعم أعرفُهم.

وسألني عن أولادهِم وأنسَابِهم، فأُخبِرهُ مِن غير حاجةٍ به إلىٰ شَيءٍ من ذلك، ولا مما تقدَّمَ من مسألتي، وإنما يريدُ: إيناسِي وبسطي للكلام، وتسكِين روعَتي وجَزَعِي، فَقوِي بها ظهرِي، واشتدَّ بها قلبِي، واجتمع بها فَهمي، وعَلَا بها جَدِّي[١]، وانشرحَ بها صدري وانطلقَ بها لساني، ورجوتُ بها النَّصرَ علىٰ عَدُوِّي.

---

(١) فلان صاعد الجَدِّ؛ أي: البَخْت والحَظِّ في الدنيا. والجَدُّ: السعادة. والجَدُّ: العظمة. وخصَّ بعضُهم بالجَدِّ عَظَمَةَ الله عَزَّوَجَلَّ. ينظر: تاج العروس (٧/ ٤٧٣، ٤٧٤): (ج د د).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ.

فقال: يا عبدَ العزيز، إنه اتصلَ بي ما كان منك في قيامِك في المسجد الجامِعِ.

وقولِكَ: إنَّ القرآنَ كَلامُ اللهِ غيرُ مخلوق، وبحضرة الخلق على رُؤوسِ الأشهَادِ!

ومَسألتك بعد ذلك الجَمْعَ بينك وبين مُناظِريك على هذه المَقالةِ بحضرتي وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم؟

وقد جمعتُك والمُخالفين لك؛ لتتناظرُوا بين يدي، وأكون أنا الحكَم فيما بينكم فإن تكن لك الحُجَّةُ والحقُّ معك تَبِعناك، وإن تكن لهم الحُجَّةُ عليك والحقُّ معهم عَاقبناك.

ثم أقبل المأمونُ على بشرِ المَريسيّ، فقال: يا بشرُ، قم إلى عبدِ العزيز فناظرْهُ وأنصِفْهُ.

قال عبدُ العزيز: فوثبَ إليَّ بشرٌ من مَوضعهِ الذي كان فيه كالأسدِ يَثِبُ إلى فريستِه، فجاء فانحط عليَّ، فوضعَ فخذه الأيسرَ على فخذي الأيمنِ، فكادَ أن يَحْطِمَهَا، واعتَمد عليَّ بقوته كلِّها.

فقلتُ له: مَهلًا فإن أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- لم يأْمرك بقَتلِي ولا بظلمِي، وإنما أمرَك بمَناظرتي وإنصَافِي.

فصاح به المأمونُ: تنحَّ عنهُ، وكرَّرَ ذلك عليه حتى باعدَهُ مني.

قال عبدُ العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمونُ فقال: يا عبدَ العزيز، ناظرهُ على ما تُريد واحتج عليه، ويحتجُّ عليك، وسَلهُ ويَسألُك، وتنَاصَفا في كلامِكما، وتحفظا ألفَاظكُما، فإني مُستَمِعٌ إليكُما ومُتحفظ ألفاظكُما].

الشَّرحُ

قال المأمونُ: يا عبدَ العزيزِ، اتَّصَلَ بِي ما كان منك من قيامِك في المسجد الجامع، وقولك: إنَّ القرآنَ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، بحضرةِ الخلقِ على رُؤوسِ الأَشهَادِ، ومسألتك -بعدَ ذلك- الجَمْعَ بينك وبين مُناظِريك على هذه المقالةِ، بحضرتِي وفي مجلسي، والاستماع منك ومنهم؛ فقد جَمعتُك والمُخَالفين لك؛ لتَتناظروا بين يدي، وأكون أنا الحكم فيما بينكم، إن تكن لك الحُجَّة والحقّ معك تَبعناك، وإن تكن لهم الحُجَّةُ عليك والحقُّ معهم عاقبناك، ثم أقبل المأمونُ على بشرٍ وقال: يا بشرُ، قُم إلى عبد العزيز فناظرهُ.

فكان أولَ مَا فعله المَريسيُّ -عليه من اللهِ ما يَستحقه-، أنَّه وَثَبَ من موضعِه كالأسدِ إلى فَرِيستِهِ فانحطَّ على عبد العزيز ووضعَ فَخذَهُ الأيسر على فَخذِه الأيمن، وتَحامَلَ عليه فكادَ أن يَحْطِمَهَا؛ لأنه اعتمدَ عليه بكل قوتِهِ، فقال له: مَهْلًا، فإنَّ أميرَ المؤمنين لم يأمرْك بقتلِي ولا بظلمِي، وإنما أمرَك بِمَناظرتِي وإنصافِي، فصاحَ به المأمونُ: تَنَحَّ عنهُ وكرَّرَ عليه حتى باعدَه عنهُ، ثم أَذِنَ له المأمونُ في المُناظرةِ.

وقال: ناظرْهُ على ما تريدُ، احتجَّ عليه؛ أَدْلِ بالحُجَّةِ، وهو يُدْلِي بالحُجَّةِ، اسألهُ وهو يَسألك، تناصَفَا في الكلامِ، فلا يكونُ في ذلك شيءٌ من: النِّزَاع، ولا من الشَّتائِم، ولا غيرِ ذلك، إنما اذكُرَا الحُجَّةَ، وتَحَفَّظَا ألفاظَكُما التي تَتلفَّظَانِ بها، فإني مُستَمِعٌ إليكُما ومُتَحَفَّظ ألفَاظَكُمَا.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: السمعُ والطاعةُ يا أميرَ المؤمنين، ولكني أقول شيئًا فإن رأىٰ أمير المؤمنين -أبقاهُ اللهُ- أن يَأذَنَ لي في ذلك فعلتُ.

فقال: قل مَا تُريدُ.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إني رجل عربي، وفي كلامي دِقَّةٌ، ولم يَسمَع أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- من كلامي شيئًا قبلَ هذا الوقت، فجَليلُ كلامي في سَمْعِ أَمِير المؤمنين دقيقٌ، وبشرٌ يا أميرَ المؤمنين كثيرُ سَماع أميرِ المؤمنين دقيق كلامه، فصارَ في سمع أمير المؤمنين جَليلًا، فإن رأىٰ أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- أن يَأذن لِي فأقدِّم شيئًا من كلامي في هذا المجلس؛ لِيقيس ما يَدِقُّ بعده من كلامي علىٰ ما تقدَّمَ، ويعرفُ مَذهبي في كلامي، ثم يجمعني ومن أحبَّ لِمُنَاظرَتي بعدَ هذا في أي وقتٍ شاء.

قال المأمونُ: أنا مشغولٌ عن هذا بما يلزمُني من أمرِ المسلمين، وإنما جَمعتُك ومُخَالفيك؛ لمَا أظهرتَ مِن مُخالفتِك إيَّاهم وذمِّكَ لِمَذهبِهم، وادعائك الردَّ عليهم، ومسألتكَ الجمعَ بينك وبينهم، ولستُ أجمَعُك وإيَّاهم بعد هذا المجلس إلا عن مُناظرةٍ تجري بينك وبينهم فتحتَاجُون إلىٰ عودة لاسْتتمام ما بقي عليكما من المُناظرة فأجمعكُمَا لذلكِ].

الشرح

ابتدأ عبدُ العزيز الكلامَ بقوله: إني أقول شيئًا، فإن رأىٰ أميرُ المؤمنين -أبقاه الله- أن يأذن لِي في ذلك فعلت.

فقال له المأمونُ: قل ما تريدُ.

فقـال: إني رجـلٌ عربـي، في كلامـي دِقَّـةٌ، ولـم يَسـمَع أميـرُ المؤمنيـن مـن كلامـي شـيئًا قبـل هـذا الوقـت؛ أي: إني غريـبٌ فمـا سَـمعنِي ولا رآني قبـلَ هـذه الليلـةِ فجليـلُ كلامي في أميرِ المؤمنيـن دقيـقٌ في سـمعهِ فـإن تكلمـتُ كلامًا قويًّا فإنَّـه دقيـقٌ؛ لأنـه مـا عرفنـي قبـل هـذه الجَلسـةِ، أَمَّـا بشـرٌ فإنَّـه كثيـرُ الكـلام، كثيـرُ سـماع أميـر المؤمنيـن دقيـق كلامـه، بحيـث يجعـلُ كلامَـه الدقيـق كثيـرًا، وكلامِي الكثيـر دقيقًـا، فصـارَ في سَـمْعِ أميـرِ المؤمنيـن جليـلًا، فـإن رأىٰ أميـرُ المؤمنيـن، أن يـأذنَ لِـي فأقـدِّمَ شـيئًا مـن كلامـي في هـذا المجلـسِ، أراد أن يتكلـمَ بـكلام فصيـح، لِيَقِيـسَ مـا يـدقُّ بعـده مـن كلامـه علـىٰ مـا تَقـدَّمَ، وأن يدلـيَ بشـيءٍ مـن علمـه، وأن يذكـرَ شـيئا مـن مَحفوظاتـه، وأن يذكـرَ شـيئا ممـا وصلـت إليـه درجتـه ورتبتـه فيعـرف مذهَبـه في كلامـه، ثـم يَجمَعُـه ومـن أحـبَّ لِمَناظرتِـه بعـد هـذا.

فقـال لـه المأمـونُ: إني مشـغولٌ بمـا يلزمنـي مـن أمـر المؤمنيـن فـلا تـأت بشـيءٍ، فقـد جَمعتُـك ومَخالفيـك؛ لمَـا أظهـرتَ مـن مُخالفتِـك إيَّاهـم، وذَمِّـك لِمذهبهـم، وادِّعائـك الـردَّ عليهـم، ولسـتُ أجمعُـك وإيَّاهـم بعـد هـذا المجلـسِ إلَّا عـن مُناظـرةٍ تجـري بينـك وبينهـم، فقـد تَحتاجـون إلـىٰ عَـودَةٍ لاسـتكمالِ مـا بَقِـيَ عليكمـا مـن المُناظـرة، وقـدَّمَ الاعتـذارَ بأنـه مشـغولٌ بأمـر المسـلمين، وقـد فـرَّغ نفسـه يَـوْم الاثنيـن لهـذا المجلـس، وأرادَ أن تتِـمَّ المُناظـرةُ فليـسَ لـه إلَّا هـذا المجلِـس.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ في نفسي: هذا الذي سألتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنْ يُبَلِّغنيه، وعاهدتُه لئن بَلَّغَنِيه لأقومَنَّ بحقِّهِ، ولأَذُبَّنَّ عن دينه بما يُلهِمُنِي بتوفيقه صابرًا مُحتسبًا وإن عُرِضتُ علىٰ السيف والقتلِ؛ حتىٰ إذا بلَّغَنيَ اللهُ ما أَمَّلْتُه وأعطاني ما سألتُه، وأيَّدَنِي بالمَعونة، وكَفاني المَؤونةَ، وعطفَ قلوبَ عبادِهِ عليَّ، وصَرَفَ عني ما كنتُ أحاذرُ من سُوء بَادِرةٍ تكون قبل قيامِي بحقِّ الله تعالىٰ؛ أأَنقضُ عهدَه، وأُخلِفُ وَعْدَهُ، وأكْفرُ نِعَمهُ فيسخط عليَّ ويَخذلُني ويكِلُني إلىٰ نفسي؟! والله والله لا فعلتُ ولو تَلِفَتْ نفسي!].

الشَّرح

يقول: فقلتُ في نفسي: هذا الذي سألتُ الله أن يُبَلغنيهِ، فقد عاهدتُ الله لئن بَلَّغَنِي هذا المجلسَ لأقوَمَن بحقِّهِ، ولأَذُبَّنَّ عن دينهِ بما يُلهِمُنِي بتوفيقِه صابرًا مُحتسبًا، وإن عُرِضتُ علىٰ السيف والقتلِ؛ حتىٰ إذا بلَّغَنِيَ اللهُ مَا أَملتُه وأعطانِي ما سألتُه، وأيَّدَنِي بالمَعونة، وكَفَانِي المَؤُونَة، وعَطَفَ قلوبَ عبادِهِ عليَّ، وصَرَفَ عني ما كنتُ أحاذِرُ من سُوء بَادِرَةٍ تكون قبل قيامِي بحقِّ الله تعالىٰ، أَبَعْدَ ذلك أنقُضُ عَهدَهُ، وأُخْلِفُ وعدَهُ، وأَكْفُرُ نِعَمَهُ فيسخطُ عليَّ ويَخْذُلنِي ويكِلُنِي إلىٰ نفسي، والله لا فعلتُ ولو تَلِفَتْ نفسِي؟! فإنَّني تمنيتُ هذا المجلسَ؛ حتىٰ أُظْهِرَ الحقَّ. وأسألُ ربي أن يُعطيني ويبلِّغَنِي النَّصرَ والتَّأييدَ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين إني لم أتهَيَّب المُناظرةَ ولم أعجَز عنها، وإنما أحببتُ أن أُقدِّمَ في هذا المجلس شيئًا من كلامي؛ لِيقف من بحضرة أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه- ومن في مَجلسه على معنى كلامي ودقَّتِه فلا يخفى عليهم بعض ما يَجري بيننا.

قال: فقال أميرُ المؤمنين المأمونُ لبشرٍ: ناظر صاحبك على ما تريد.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إن رأيت أن تأْذنَ لِي أن أتكلمَ بشيءٍ قد شَغَلَ قلبي قبل مُناظرتي لبشرٍ.

فقال لي: تكلم بما شئتَ؛ فقد أذنتُ لك.

فقلتُ: أسألك بالله يا أميرَ المؤمنين من بلغك أنه كان أجملَ وَلَدِ آدمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فأطرقَ مَلِيًّا، ثم رفع رأسَه فقال: يوسُف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقلتُ: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين فو الله ما أُعطِي يُوسفُ على حُسنِ وجْهِهِ بَعْرَتَيْنِ، ولقد سُجِنَ وضُيِّقَ عليه من أجل حُسنِ وجهِه بعد أن وُقِفَ على براءتِهِ بالشَّاهِد الذي أنطقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بتصديقِهِ وبيانِ قوله، وبعدَ إقرارِ امرأةِ العزيز أنها هي رَاودتهُ عن نفسه فَاستعصَم فَحُبِسَ بعد ذلك كله لحُسنِ وجهِهِ، قال اللهُ تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾ [يوسف:٣٥].

فدلَّ بقوله عَزَّ وَجَلَّ إنه سُجِنَ بغير ذنب لِعلَّةِ حُسنِ وجْهِهِ وليُغَيِّبُوهُ عنها وعن غيرها، فطالَ في السجنِ حَبسُه حتى إذا عبَّرَ الرؤيا ووقف المَلِكُ على

علمِه ومعرفتِه اشتاقَ إليه، ورَغِبَ في صُحبتِه فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف:٥٤].

فكان هذا القول من المَلِك عندما وقف عليه من علمِ يُوسُفَ ومعرفتِه قبل أن يَسمَع كلامه، فلمَّا دخل عليه وسمع كلامه وحُسنَ عبارته صيَّرَهُ على خافِي خَزائن الأرضِ، وفوَّضَ إليه الأمورَ كُلَّها وتبرَأ منها وصار كأنه من تحتِ يده، فكان هذا الذي بلغهُ يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بكلامِه وعلمِه لا بجماله، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٤- ٥٥]، ولم يقل: إني حسن جميل، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ [يوسف:٥٦]؛ فو الله يا أميرَ المؤمنين ما أبالي لو كان وَجهي أقبحُ مما هو، وأني أُحسنُ من الفهمِ والعلم أكثرَ مما أحسن].

الشرح

قال: يا أميرَ المؤمنين إني لم أتهيب المُناظرةَ، ولم أَعجَز عنها، ولكن الذي أريده وأحببتُ أن أقدِّم بهذا الكلام لِيقفَ مَن بحضرةِ أميرِ المؤمنين، ومن في مجلِسه علىٰ معنىٰ كلامي، ودقَّتِهِ، فلا يخفَىٰ عليهم بعض ما يجرِي بيننا، فأَذِنَ له المأمونُ بالمناظرة.

فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أسألك يا أميرَ المؤمنين: من بلغك أنه أجملُ بني آدم، فأطرق المأمونُ مَلِيًّا وسكت.

ثم قال: يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقال: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين، والله ما أُعطيَ يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ حُسنِ وجهِهِ بَعْرَتيْنِ، بل سُجِنَ وضُيِّقَ من أجل حُسنِ وجهِهِ، وذلك بعد أن أُوقِفَ علىٰ براءتِهِ بالشاهِد الذي أنطقه اللهُ عَزَّوَجَلَّ بتصديقِهِ وبيانِ قولِهِ، وإقرار امرأةِ العزيزِ أَنها هي التي رَاودته عن نفسه فاستَعصمَ، فَحُبِسَ بعد ذلك كله لِحُسن وجهِهِ قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾[يوسف:٣٥]، فدلَّ قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنه سُجِنَ بغير ذنبٍ، وإنما لِعِلّةِ حُسنِ وجهِهِ، لِيُغَيِّبُوهُ عنها وعن غَيرِها، فقد طالَ في السجنِ حَبسُهُ، ولبِثَ في السجنِ بِضعَ[1] سنين، فلما عَبَّرَ الرؤيا، وقفَ المَلكُ علىٰ علمِهِ ومعرفتِهِ، اشتاقَ إليه ورَغِبَ في صُحبتِهِ وقال: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾[يوسف:٥٤].

كان هذا القولُ من المَلكِ عندما وقفَ عليه من عِلمِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَعرِفته، قبل أن يَسمع كلامَه، فلمَّا دخل عليه وسَمِعَ كلامَه وحُسْنَ عبارتِهِ صيَّره علىٰ خزائِنِ الأرضِ، وفوَّضَ إليه الأمورَ كلها، وتبَرَّأَ منها وصار كأنه تحت يَدهِ، وهذا إنما بلغه يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بكلامِه وعلمِهِ لا بجماله[2]، قال اللُّه تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[يوسف: ٥٤-٥٥]، فلم يَقل: إني حَسَنٌ جميل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾[يوسف:٥٦]، فوالله يا أميرَ المؤمنين ما أُبالي أنَّ وَجهِي أقبحُ مما هو وأني أُحْسِنُ من الفَهمِ والعلمِ أكثر مما أُحسِنُ! فليسَ المدحُ بجمالِ الوجهِ ولا بقبحِهِ.

---

(١) والبِضعُ من العدد ما بين الثلاثة إلىٰ العشرة. ينظر: العين (١/ ٢٨٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٣/ ٢٥٥).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقال لي المأمونُ: وأيُّ شَيْءٍ أردت بهذا القول، وما الذي دعاك إلىٰ ذكرِ هذا؟

فقلتُ: سمعتُ بعض مَنْ هاهنا يقول لأميرِ المؤمنين: يكفيك من كلامه قُبْحُ وجهِهِ، فما يضرُّني قُبْحُ وجهي مع ما رَزقنِيَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِن فهمِ كتابه، والعلمِ بِسُنَّةِ نبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فتبسَّمَ المأمونُ حتىٰ وضعَ يده علىٰ فيه.

ثم قلت: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- فقد رأيتُك تنظرُ إلىٰ هذا النقشِ وانتفاخِ الجصِّ، وتذكُرهُ، وسَمعتُ عَمْرًا يَعِيبُ ذلك ويدعو عَلىٰ صانِعِه، ولا يَعيبُ الجصَّ، ولا يدعو عليه؟

فقال المأمونُ: العيبُ لا يقعُ علىٰ الشَّيءِ المصنوعِ، وإنما العيبُ علىٰ الصَّانعِ.

قال: قلتُ: صدقت يا أميرَ المؤمنين، ولكن هذا يَعِيبُ ربي لِمَ خَلَقَنِي قبيحًا.

فازدادَ تبسُّمًا حتىٰ ظهرت ثنايَاه].

الشَّرحُ

لمَّا ذكر عبدُ العزيزِ ما مضىٰ من استدلالِهِ بِقِصَّةِ يوسفَ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، فقال له المأمونُ: أيَّ شيْءٍ أردتَ بهذا القول، وما الذي دعاك إلىٰ ذكر حُسنِ الوجهِ؟

يقول: سمعتُ بعض مَن هاهنا يقول: يكفيك من كلامهِ قُبْحُ وجهِهِ! ما

يَضُرُّنِي مِن قُبحِ وجهي، مع مَا رَزقَنِيَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ من فَهْمِ كتابه، والعلمِ بِسُنَّتِه؛ فالشَّرَفُ يكونُ بِالعِلمِ، فتبسَّمَ المأمونُ حتىٰ وضع يدهُ علىٰ فَمِه.

قلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- قد رأيتُك تنظر إلىٰ هذا النَّقش وانتفاخِ الجَصِّ وتَذكرهُ، وسمعتُ عَمْرًا يعيبُ ذلك، ويعيبُ علىٰ صانعِهِ، ولا يعيبُ الجَصَّ ولا يدعو عليه؟

قال المأمونُ: فالعيبُ لا يقعُ علىٰ الشَّيْءِ المصنوعِ، وإنما يقعُ علىٰ الصانعِ.

قلتُ: صدقت يا أميرَ المؤمنين هذا يَعِيبُ ربي الذي خلقني قبيحًا! وكذلك عمرُو بن مَسْعَدَةَ يعيبُ الصانعَ، ما عابَ الصَّنْعَةَ، فالعيبُ إنما يقعُ علىٰ الصانعِ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ، وقال: يا عبدَ العزيز، نَاظر صاحِبَك فقد طالَ المَجلسُ بغير مُناظرة.

فقلتُ: أمير المؤمنين -أطال الله بقاءك-، كُلُّ مُتَناظِرَيْنِ على غير أصلٍ يكون بينهما، يَرْجِعانِ إليه إذا اختلَفَا في شيءٍ من الفُرُوعِ؛ فهما كالسَّائِرِ على غيرِ طريق، وهو لا يعرفُ المحجة فيتبعها ويسلكها، ولا يعرفُ الموضعَ الذي يريدُ فيقصدَه، ولا يدري من أين جاء فيَرجعُ يطلبُ الطريقَ؛ فهو على ضلالٍ أبدًا.

ولكننا نؤصِّلُ بيننا أصلًا، فإذا اختلفنا في شيءٍ من الفروعِ رددنَاهُ إلى الأصلِ، فإن وجدناه فيه وإلّا رمينا به ولم نَلتفِت إليه.

قال عبدُ العزيز: فقال لي المأمونُ: نِعمَ ما قلتَ، فاذكر الأصلَ الذي تريد أن يكونَ بينكما، ويَذكرُ -أيضًا- هو مثله حتى تتفقا على الأصل فتؤصلاه بينكما.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك-، أؤصل بيني وبينه ما أمرنا اللهُ به واختاره لنا وأدَّبنا به وعلَّمنا ودلَّنا عليه عند التنازعِ والاختلافِ، ولم يكِلنَا إلى أنفسنا ولا إلى اختيارِنا].

الشَّرحُ

يقول الكنانيُّ: فأقبل عليَّ المأمونُ، وقال: ناظر صاحِبَك؛ فقد طالَ المجلسُ بغير مُناظرة.

فقلـتُ: كل متناظِريـنِ علـىٰ غيـرِ أصـل بينهمـا يرجعـانِ إليـه إذا اختلفـا في شـيءٍ مـن الفـروعِ فهمـا كالسَّـائِرِ علـىٰ غيـر طريـق، والمسـافرُ الـذي أخطـأ الطريـق، لا يعـرفُ الموضـعَ الـذي يريـده فيقصـده، ولا يـدري مـن أيـن جـاء، ولا يعـرفُ المحجـة فيتبعهـا ويسـلكها؛ فهـو علـىٰ ضـلالٍ أبـدًا.

فنريـدُ أصـلًا نرجـعُ إليـه -وهـو القـرآن- فـإن وجدنـاه فيـه، وإلَّا لـم نَلْتَفِـتْ إليـه.

قـال المأمـونُ: نِعْـمَ مـا قلـتَ! فاذكُـر الأصـلَ الـذي تريـد أن يكـون بينكمـا، ويذكـرُ هـو مثلـه؛ حتـىٰ تتفقـا علـىٰ أصـلٍ تؤصّـلاه بينكمـا، فاجعـلاهُ مَرجِعًـا ترجعـانِ إليـه.

قلـتُ: يـا أميـرَ المؤمنيـن -أطـال الله بقـاءك- أؤصِّـلُ بينـي وبينـه مَـا أمرنـا اللهُ تعالـىٰ بـه، واختـارهُ لنـا، وأدَّبَنـا بـه، وعلَّمَنَـا، ودَلَّنـا عليه عنـد التنـازعِ والاختلافِ، ولـم يَكِلنـا إلـىٰ أنفسِـنا، ولا إلـىٰ اختيارنـا. هـذا هـو الأصلُ.

قال راوي المناظرة:

[فقال المأمونُ: وذلك موجود عن الله عَزَّوَجَلَّ؟

قلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]، وهذا تعليمُ الله عَزَّوَجَلَّ وتأديبه واختياره لعبادهِ المؤمنين وهو خيرٌ وأحسنُ ما أَصَّلَهُ المُتَنَازعونَ بينهم، وقد تنازعتُ أنا وبِشرٌ يا أميرَ المؤمنين فنحنُ نؤصّلُ بيننا كتابَ الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّةَ نبيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أمرنا فإن اختلفنا في شيءٍ من الفرُوعِ رددناهُ إلىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، فإن وجدناهُ فيه وإلَّا رددناهُ إلىٰ سُنَّة نبيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن وجدناها فيها وإلا ضَرَبْنَا به الحائطَ ولم نلتفت إليه].

الشَّرحُ

قال المأمونُ: هل هذا الأصلُ موجود عن الله؟

قلتُ: نَعم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾، أي: ردوه إلىٰ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وإلىٰ سُنَّة نبيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩].

فهذا تعليمٌ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وتأديبه واختياره لعباده المؤمنين، وهو خيرٌ وأحسن ما أصَّلهُ المتنازِعونَ بينهم، وقد تنازعتُ أنا وبشرٌ فنحنُ نؤصلُ بيننا كتابَ الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة نبيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما أمرنا، وإن اختلفنا في شيءٍ من الفروعِ رددناهُ إلىٰ كتابِ الله فإن وجدناه فيه رددناه إليه، وإلَّا رددناه إلىٰ سُنَّة نبيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن وجدناه فيها وإلا ضربنا به الحائطَ، ولم نلتفت إليه.

قال راوي المناظرة:

[فقال بشرٌ: وأين أمرنا الله أن نَرُدَّ ما اختلفنا فيه إلىٰ كتابِ الله وإلىٰ سُنَّة نبيِّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

قلتُ: كأنك لم تسمع ما جرىٰ وما ابتدأتُ به! قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩].

قال بشرٌ: فإنما أمرَ اللهُ أن يُرَدَّ إليه وإلىٰ الرسول، ولم يأمرنا أن نرُدَّه إلىٰ كتابه العزيز وإلىٰ سُنَّة نبيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

قال عبدُ العزيز: هذا مما لا خلاف فيه بين المؤمنين وأهلِ العلم؛ إن رَددناهُ إلىٰ الله فهو إلىٰ كتاب الله، وإن رَددناهُ إلىٰ رسولِه بعد وفاتِه رَددناهُ إلىٰ سُنَّتِه؛ وإنما يَشك في هذا الملحدون، وقد رُوي هذا بهذا اللفظ عن ابن عباسٍ وعن جماعةٍ من الأئمةِ الذين أُخِذَ العلمُ عنهم -رحمة الله عليهم-.

قال عبدُ العزيز: فقال لي المأمونُ: فافعلا وأصِّلا بينكما يا عبدَ العزيزِ أصلًا واتفِقا عليه، وأنا الشاهدُ بينكما إن شاء اللهُ تعالىٰ].

الشرح

قال بشرٌ المَرِيسيّ: فأين أمرنا اللهُ أن نرُدَّ ما اختلفنا فيه إلىٰ كتابِ الله وإلىٰ سُنَّة رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

فقال له الكنانيُّ: كأنك لم تسمع ما جَرىٰ بيننا فقرأ عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ

إن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، فالآية دَلالتها ظاهرة.

فقال بشرٌ منكرًا: أمرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أن يُرَدَّ إليه وإلىٰ الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يأمرنا أن نَردَّه إلىٰ كتابه العزيز وإلىٰ سُنَّة نبيِّه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهذه حَيْدَةٌ مِنْهُ-.

فردَّ عليه الكِنَانِيُّ بأن الرَّدَّ إلىٰ الكتاب والسُنَّة لا خلاف فيه بين المؤمنين وبين أهلِ العلم[١]، فإنَّ الرَّدَّ يكونُ إلىٰ القُرآن كتاب الله، وإلىٰ النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياتِه وإلىٰ سُنَّته بعد وفاتِه[٢]، ولا يَشُكُّ في هذا إلا المُلحدونَ[٣]، وكأن بشرًا هذا مِن المُلحدين.

وقد روي تفسيرُها بالرَّدِّ إلىٰ الله تعالىٰ والرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ابنِ عباس[٤] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو جَدُّكَ يا أميرَ المؤمنين! وعن جماعةٍ مِنَ الأئمة[٥] الذين أُخِذَ العلمُ عنهم -رحمة الله عليهم-.

فوافق المأمونُ وقال: افعَلَا، وأصِّلا بينكما أصلًا تتفقان عليه وأنا الشاهدُ بينكما.

---

(١) ينظر: غريب القُرْآن لابن قتيبة (ص١٣٠).
(٢) ينظر: إعلام الموقعين (٢/ ٩٢).
(٣) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ١٨٥)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٦).
(٤) ينظر: تاريخ دمشق (١٦/ ٢٣٥، ٢٣٦)، وموسوعة التفسير المأثور (٦/ ٥٢٥).
(٥) ينظر: الدر المنثور (٤/ ٥١٣).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّه من ألحَدَ في كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ جاحدًا أو زائدًا؛ لم يُنَاظَرْ بالتأويل، ولا بالتَّفسيرِ، ولا بالحديثِ. فقال المأمون: وبأي شيء تُناظِره؟!

قُلْت: بنصِّ التنزيل كما قال عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد:٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام:١٥١]، **وقال حين ادَّعتِ اليهودُ تحريم أشياءَ لَمْ تُحرَّم عليهم:** ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل:٩٢].

فإنما أَمَرَ اللهُ نبيَّهُ بالتلاوةِ، ولم يأمره بالتأويل، وإنما يكونُ التأويل لمن أقرَّ بالتنزيل، وأما من ألحَدَ في التنزيل فكيفَ يُناظَرُ بتأويلِهِ؟!

فقال لي المأمونُ: ويخالفُكَ في التنزيل؟

قلتُ: نعم لِيُخَالفني، أو ليدع قوله ومذهبَه ويوافقَني].

الشَّرح

لمَّا اعترَف أنَّه لا بُدَّ أن يكون التحَاكمُ بالكتابِ وَالسُّنَّة، عند ذلك خافَ الكنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من بِشْرٍ أن يُؤَوِّلَ الآياتِ ويُحَرِّفَها؛ فقال المأمونُ: فبأيِّ شيء تناظرهُ يا عبدَ العزيز؟

قلتُ: بنصِّ التنزيل -يعني: القُرآن-.

واستدلَّ بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد:٣٠].

تَتْلُوَ، يعني: تَقْرَأَ[1]. هكذا: لتتلوَ، ما قال: لِتُؤَوِّلَ.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾[الأنعام:١٥١]، مَا قال: أُؤَوِّلْ، بل قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَتْلُ﴾.

وكذلك لمَّا ادَّعَت اليهودُ تحريمَ الأشياء، قال الله عَزَّ وَجَلَّ لهم: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[آل عمران:٩٣]، لم يقل: فتَأَوَّلُوها.

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لنبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾[النمل:٩٢]، لم يقل: أَنْ أَتَأَوَّلَ.

فأَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتِّلاوةِ لا بالتأويلِ الذي هو التَّحْرِيفُ، وإنَّما التأويلُ لمن أقرَّ بالتنزيلِ، وأمَّا مِن أَلْحَدَ في التنزيلِ فكيف يُنَاظَرُ بتأويلِه؟!

قال المأمون: ويُخالِفكَ في التنزيلِ؟

قلتُ: نعم، ليُخَالفني، أو لِيدَع قوله ومذهبَه ويوافقني.

---

(١) ينظر: أحكام القُرْآن للجَصَّاص (١/ ٦٣)، وتفسير البغوي (٤/ ٣١٨).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: ثم أقبلتُ على بشرٍ فقلتُ: يا بشرُ، ما حُجَّتُك أنَّ القرآنَ مخلوقٌ؟! وانظر إلى أَحَدِّ سهمٍ في كنانتِك فارمنِي به، ولا تحتاجُ إلى مُعاوَدتِي بغيره؛ فقال: تقول القُرآن شيءٌ أم غيرُ شيءٍ؟ فإن قلت إنه شَيءٌ أقررتَ أنَّه مخلوق؛ إذ كانت الأشياءُ مَخلوقة بنصِّ التنزيل، وإن قلت: إنَّه ليس بشيءٍ فقد كفرتَ؛ لأنَّك تزعُمُ أنَّه حُجَّةُ الله على خلقه، وأن حُجَّةَ الله ليسَ بشيء].

الشَّرحُ

قال عبدُ العزيز: يا بشرُ، ما حُجَّتُكَ في أَنَّ القرآن مخلوقٌ؟! وانظر إلى أحَدِّ سِهَمٍ في كنانتِك؛ أي: أقوى حُجَّة عندك، وارمني به ولا تحتاج إلى مُعاودتِي بغيره، فأتِ بأقوى شيءٍ عندك تحتجُّ به، فكانت أَوَّل حُجَّةٍ احتجَّ بها بشرٌ، قَوْل الله تبارك تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد:١٦]!

فهل القرآنُ شيءٌ أمْ غيرُ شيءٍ؟ فإن قلتَ: إنَّه شيءٌ فقد خَصَمْنَاك؛ لأن كُلَّ شيءٍ مخلوقٌ، فيكون القرآنُ مخلوقًا؛ لأنه من الأشياءِ.

وإذا قلتَ: إنه ليس بشيءٍ فقد كفرتَ؛ لأنه حُجَّةُ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وإن قلتَ: إن حُجَّةَ الله ليست بشيءٍ؛ فإنَّك بذلك لم تَجْعَلْ للهِ حُجَّةً على خَلْقِهِ، وهذا تَقرِيرُ هذه الشُّبهةِ، وهي أوَّلُ شبهَةٍ تعلَّقَ بها بِشْرٌ والجهميةُ، بقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد:١٦]، ومثلها قوله تبارك تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان:٢].

قالوا: اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، والقرآنُ شيءٌ[1]!

(١) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٧٨).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ لبشر: ما رأيتُ أعجبَ من هذا؛ تسألني وتجيبُ نفسك عني وتُكَفِّرُنِي ولم تَسْمَعْ كلامي ولا قَوْلي! فإن كنت سألت لأُجِيبك، فاسمَعْ مني؛ فإني أُحسِنُ أن أُجِيبَ عن نفسي وأحتجَّ عن مقالتِي ومَذهبِي، وإن كنتَ إنما تريد أن تُخطئَني وتتكلم لتدهشني وتُنْسِيَنِي حُجَّتِي فلن أزدادَ -بتوفيقِ اللهِ إيَّايَ- إلَّا بَصِيرةً وفَهْمًا، وما أحسبُك إلا وقد تعلمتَ شيئًا، أو سمعتَ قائلًا يقولُ هذه المقالة التي قلتَها، أو قرأتَها في كتابٍ فأنت تكرَه أن تقطعَها حتىٰ تَأتيَ علىٰ آخرها].

الشَّرْحُ

أجاب الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بجوابٍ مُجملٍ: تسألني وتجيب نفسك عني، فكيف تُكَفِّرُني وأنت لم تسمع كلامي ولا قَوْلِي؟!

ثُمَّ فَصَّلَ بعد ذلك فقال له: إن كنت سألت لأُجِيبكَ، فاسمع مني؛ فإني أُحْسِنُ أَنْ أُجِيبَ عن نَفْسِي، وأَحْتَجَّ عن مقالتِي ومذهبِي.

وإن كُنْتَ تريد أن تُخطّئني أو تتكلم فتدهشني[1] وتُنسِيني حُجَّتِي؛ فلن أزدادَ -بتوفيقِ اللهِ إيايَ- إلَّا بَصِيرَةً وفَهْمًا، وما أَحْسَبُكَ إلَّا وقد تعلمتَ شيئًا، أو سمعتَ قائلًا يقول هذه المقالة، أو قرأتَها في كتابٍ، فتريد أن تأْتِيَ بها وتُبيِّنَ دَلالتَها فأنت تَكْرَهُ أن تقطعَها حتىٰ تأتيَ علىٰ آخرها.

---

(١) الدَّهْشُ والدَّهَشُ: التَّحَيُّر أو ذَهاب العقل. ينظر: العين (٣/ ٣٩٨)، وتاج العروس (١٧/ ٢٠٩): (د هـ ش).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبل المأمونُ علىٰ بشرٍ.

فقال: صدق عبدُ العزيز، اسمع منه جوابَهُ، ورُدَّ عليه بعد ذلك بما شِئتَ من الكلام.

ثم قال لي: تَكَلَّمْ يا عبدَ العزيزِ وأجبْ عمَّا سألك عنه.

فقال عبدُ العزيز: سألتَ عن القرآن: أهو شيءٌ أم غيرُ شيءٍ؟ فإن كنت تريد: هو شيء إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم، فهو شيءٌ، وإن كنت تريد: أنَّ الشيء اسمٌ له وأنه كالأشياءِ، فلا.

فقال له بشرٌ: ما أدري ما تقول ولا أفهمه ولا أعقِلهُ ولا أسمَعه! ولا بُدَّ من جوابٍ يُفهَمُ ويُعقلُ أنَّه شَيءٌ يُعقَلُ أو غيرُ شَيءٍ.

فقال عبدُ العزيز: صدقتَ فإنك لا تفهمُ ولا تعقلُ ولا تسمعُ ما أقول، ولقد وصفتَ نفسكَ بأقبحِ الصفاتِ، واخترتَ لها أذمَّ الاختياراتِ، ولقد ذَمَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كتابه من قال مثل ما قلتَ، أو كان بمثل ما وصفتَ به نفسكَ، فقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٢-٢٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الزخرف:٤٠]

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [البقرة:١٦- ١٨].

ومثـلُ هـذا في القـرآن كثيـرٌ جـدًّا، ولقـد امتـدحَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كتابـه أقوامًـا بحُسـن الاسـتماع وأثنـىٰ عليهـم أحسـن الثنـاء فقـال: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:١٨].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:٢٩- ٣٠].

ومثلُ هذا في القرآنِ كثير.

فمـا اختـرتَ لنفسـك مـا اختـاره الرَّسـولُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولا مـا اختـاره المؤمنـون، ولا مـا اختـاره أهـلُ الكتـاب، ولا مَـا اختـاره الجـنُّ لأنفسـهِم!].

الشَّرْحُ

أراد المأمـونُ أن يسـمع، وقـال لبشـرٍ: اسْـمع جوابَـه عـن هـذه الشـبهةِ التـي ذكرتهـا، وبعـدَ ذلـك تكلـم بمـا شـئتَ.

فـأَوْرَدَ الكنـانيُّ هـذا السـؤالَ: إن كنـت تريـد أنـه شـيءٌ -بمعنـىٰ: موجـود- فهـو شـيءٌ مـن الموجـوداتِ، أو أن الشـيء اسـمٌ لـه، فليـسَ كذلـك، فـلا نقـول للقـرآنِ مـن مسـمَّياته شـيء، ولكـن باعتبـار أنـه موجـودٌ فتحيَّـر بشـرٌ لـمَّـا أوردَ عليـه هـذا السـؤال، وَادَّعَـىٰ عـدم الفهـمِ فقـال: لا أعقـلُ كلامَـك ولَابُـدَّ مـن جـوابٍ أفهمُـه أو تقـولَ إنَّـه شـيءٌ أو غيـرُ شـيء.

فاعترفَ بشرٌ بأنه لا يفهمُ! فقاسه الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآياتِ بالبهائم الذين لا يَسْمَعُون، وقال له: قد اعترفتَ بأنك لا تَفهمُ ولا تَعقِلُ ولا تَسمعُ ما أقول، ووصفتَ نَفْسَكَ بأقبحِ الصفات واخترتَ لها أذمَّ الاختياراتِ، فاللهُ ذمَّ في كتابه من هو مثلُك، ومن كان بمثل ما وصفتَ به نَفْسَكَ، فقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ﴾ [الأنفال:٢٢]، أي: كأنَّ الكفار صمٌّ بكمٌ[١].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣]، فدلَّ علىٰ أنهم لمَّا كانوا لا يَسمعون ولا يُنصتون ولا يَفهمون صاروا كالبهائمِ.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزخرف:٤٠]، وَصَفَهُم بأنهم صمٌّ أو عُمْيٌ مع أنهم يُبْصرون[٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾، إلىٰ قوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٦-١٨].

هذه صفاتُ المنافقين: لهم أسماعٌ وأبصارٌ ويَنْطقون، ولكن لم ينتفعوا بذلك، هكذا يقول، ومثلُ هذا في القرآنِ كثير.

ثم بيَّن أنَّ اللهَ تعالىٰ مَدَحَ أولياءهُ، في كتابه بحسن الاستماعِ، وأثنىٰ عليهم أحسنَ الثناء، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٨].

هذا مدحٌ لهم، أنهم يستمعونهُ ويَعْقِلونه[٣].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٩٩-١٠٢).
(٢) ينظر: اللُّباب في علوم الكِتَابِ (١٧/ ٢٦٨).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٩٠).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ هؤلاء من أهل الكتاب الذين امتثلوا، إذا سمعوا ما أُنْزِلَ إلىٰ الرسول: ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣]، أي: عَرَفُواْ الحقَّ وأَقَرُّوا به(١).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[البقرة:٢٨٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[الأحقاف:٢٩]، وفي قولهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[الأحقاف:٣٠].

وقالت الجِنُّ لقومِهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾[الأحقاف:٣١].

فهكذا أثنىٰ علىٰ المؤمنين أنهم يتبعون أحسنه، وأثنىٰ علىٰ النَّصارَىٰ القِسيسين المؤمنينَ أنها تَفيضُ أعينهم ممَّا عَرَفُوا من الحق.

وأثنىٰ علىٰ الرسول وعلىٰ صحابتِه أول الآية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ...﴾، آخرها: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[البقرة:٢٨٥].

وكذلك أثنىٰ علىٰ مؤمني الجنِّ أنهم قالوا: ﴿سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[الأحقاف:٣٠].

أَمَّا أنت يا بشرُ ما اخترتَ لنفسك ما اختاره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾[البقرة:٢٨٥]، ولا ما اختاره المؤمنون الذين يتبعون أحسنه، ولا ما اختاره أهل الكتاب الذين امتثلوا والذين تفيضُ أعينُهُمْ من الدَّمعِ مِمَّا عَرفوا، ولا ما اختاره الجِنُّ لأنفسهم الذين قالوا: ﴿سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾[الأحقاف:٣٠].

(١) ينظر: تفسير الطبري (٨/ ٦٠٣).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: قال المأمونُ: دع هذا يا عبد العزيز، وارجع إلىٰ ما كنت فيه، وبيِّن ما كنت فيه، واشرحْهُ، واحتجّ لنفسك.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إن الله عَزَّوَجَلَّ أجرَىٰ علىٰ كلامه ما أجراه علىٰ نفسه؛ إذ كان كلامُه من صفاتِه، فلم يَتسمَّ بِالشَّيءِ ولم يجعل الشيءَ من أسمائِه، ولكنه دَلَّ علىٰ نفسه أنه شيء وأكبرُ الأشياءِ إثباتًا للوجودِ ونفيًا للعدمِ، وتكذيبًا منه للزنادِقَةِ، والدَّهريَّةِ، ومن تقدَّمهم ممن جحد مَعرفته وأنكرَ رُبُوبيَّتِهِ من سائر الأمم فقال عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩]، فدلَّ علىٰ نفسه أنه شَيءٌ ليس كالأشيَاء، وأنزل في ذلك خبرًا خاصًّا مُفردًا لعِلمه السَّابِقِ أنَّ جَهمًا وبِشرًا ومن قال بقولهما سَيُلحِدون في أسمائِهِ ويُشَبِّهُونَ علىٰ خَلقِه، ويُدخلونَه وكلامه في الأسماء المخلوقة.

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ:١١] فأخرجَ نفسه وكلامه وصفاتِه من الأشياء المخلوقة في هذا الخبر تكذيبًا لمن أَلحَد في كتابه، وافتَرىٰ عليه، وشبَّهَهُ بِخَلقِهِ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠-١٨٢].

ثم عدَّدَ أسماءَهُ في كتابه ولم يتسمَّ بالشيءِ ولم يجعلهُ اسمًا من أسمائِه، ثم قال النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنَّ لِلَّـهِ تعالىٰ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مَنْ أَحْصَاهَا

دَخَلَ الْجَنَّةَ»(١)، ثم عدَّها فلم نَجِدْهُ جعلَ الشيءَ اسمًا لله عَزَّوَجَلَّ، ثم ذكر جل ذكرُه كلامه نفسه، ودل عليه بمثل ما دَلَّ علىٰ نفسه؛ ليُعلمَ الخلقَ أنه من ذاته وَأنهُ صفةٌ من صفاته، فقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ٩١].

فذمَّ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اليهودي حين نفىٰ أن تكونَ التوراة شيئًا، وذلك أن رجلًا مِن المسلمينَ ناظر رجلًا من اليهود بالمدينة، فجعلَ المسلمُ يَحتجُّ علىٰ اليهودي مِن التوراة بما عَلِمَ من صفةِ النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذكرِ نبوّته فيها حتىٰ أثبت نبوَّتَهُ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التوراةِ فضحك اليهودي وقال: ما أنزل اللهُ علىٰ بَشَرٍ من شيءٍ(٢).

فأنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ تكذيبه، وذمَّ قولَه، وأعظمَ فريَتَه حين جحد أن يكون كلام الله شيئًا، ودل بذلك علىٰ أَنَّ كلامه شيءٌ ليس كالأشياء، كما دَلَّ علىٰ نفسه أنه شيءٌ ليس كالأشياء ثم قال في موضعٍ آخر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فدلَّ بهذا الخبر أيضًا علىٰ أَنَّ الوحي شيءٌ بالمعنىٰ، وذم مَن جحد أنَّ كلامَ اللهِ شيء فلما أظهرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ اسم كلامَه لم يُظهره باسم الشَّيءِ فيُلحد المُلحدونَ في ذلك ويدخلونَهُ في جُملة الأشياء المَخلوقة، ولكنه أظهرهُ عَزَّوَجَلَّ باسمِ الكتاب والنورِ والهُدَىٰ ولم يَقل قل: «من أنزل الشيء الذي جاء به

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: إن لله مئة اسم إلاَّ واحدًا، حديث رقم (٧٣٩٢)، ومسلم، كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالىٰ، وفضل من أحصاها، حديث رقم (٢٦٧٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) كان اسمه مالك بن الصيف، وقيل: فِنْحاصُ. ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٩٣). وسيأتي شيء من ذلك (ص٨٤-٩٥).

موسىٰ»، فيَجعلُ الشّيءَ اسمًا لكلامِه، وكذلك سمىٰ كلامه بأسماء ظاهرة يُعرَفُ بها، فسمَّىٰ كلامه نورًا وهدىً، وشفاءً، ورحمةً، وحقًّا، وقرآنًا، وأشباهَ ذلك لِعلمِه السَّابِقِ في جَهمٍ وبِشر ومن يقول بقولِهِمَا أَنَّهم سيُلحدونَ في أسمائه وصفاته التي هي مِن ذاته وسيدُخِلونها في الأشياء المَخلوقة].

الشَّرح

قرَّرَ الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا أنَّ كلام الله تعالىٰ شيءٌ، ولكن ليس كالأشياء التي تدخلُ في المخلوقاتِ كما أنَّ ذاته تعالىٰ شيءٌ لدلالةِ هذه الآياتِ.

لمَّا سمِعَ المأمونُ عبدَ العزيزِ وهو يُعِيبُ علىٰ الذين لا يفهمون، قال له: ارجع إلىٰ ما كنت فيه وبيِّنه واشرحه.

فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أجرىٰ علىٰ كَلامِهِ ما أجْرَاهُ علىٰ نفسه، حيث وَصَفَ كلامَه بأنه شيءٌ، ووصفَ نفسه بأنه شيءٌ، إذ كان كلامُه من صفاته، ومع ذلك ما تَسَمَّىٰ بِالشيءِ، فلم يجعل الشيءَ اسمًا من أسمائِهِ الحسنىٰ، ولكن دلَّ علىٰ نفسه أنه شيءٌ، وأكبرُ الأشياء إثباتًا للوجود ونفيًا للعدم، يعني أنه شيء لأجل الإثبات ونفْي العدم، وهذا تكذيب للزنادقة والدهرية(١) ممَّن جَحَدَ معرفته، وأنكَرَ رُبُوبِيَّتَهُ، وأنكَرَ وجودَه من سَائِرِ الأُمَمِ، وفي قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:١٩].

استدل بها البخاريُّ في (صحيحه)(٢) علىٰ أَنَّ اللهَ شيءٌ، ولكن ليسَ كالأشياء.

---

(١) ينظر: الفرق بَيْنَ الفرق (ص٢٧٨، ٣٤٦)، والفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٢٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾، (٩/ ١٢٤).

وأَنزلَ في ذلك خبرًا خاصًّا مُفردًا لِعِلمِهِ السَّابِقِ أنَّ جهمًا وبِشْرًا، ومن قال بقولهما سَيلحِدُون في أسمائِهِ.

والإلحادُ(١) هو الميلُ بها، حيث يُشبهونه على خلقِهِ بهذا التشبيه، فيدخلونَ كلامه في الأشياءِ المَخلوقة تعالى اللهُ وتقدَّس حيث استدل بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ففيها نفْي لتشبيهِ الأشياءِ به، فأخرج نفسَه وكلامه وصفاته من الأشياء المَخلوقة بهذا الخبر؛ تكذيبًا لمن ألحد في كتابه، وافترى عليه، وشبَّههُ بخلقه، ثم استدل بقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠-١٨٢].

فأخبرَ سُبحانه أنَّ أسماءهُ حُسنىٰ، وعدَّد اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أسماءَه الحسنىٰ في كتابه الكريم، ولم يتسمَّ بالشَّيء، ولم يجعلْه اسمًا من أسمائِه الحسنىٰ، مع أنه أخبرَ بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

أثبت «الشيء» لأجل الإثبات والوجود، فلم نجد في أسمائِه الحسنىٰ اسمَ «الشيءِ»، وكذلك ذكر القرآن كلامه سُبحانه ودل عليه بأنه شيءٌ بمثل ما دَلَّ علىٰ نفسه ليُخبرَ الخلقَ أنَّ كلامَه سُبحانه من ذاته فالقرآنُ من كلامه، وكلامُه وسائرُ صفاتِه ليست مخلوقة، بل صفةٌ من صفاتِه.

واستدل بهذه الآية في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ٢٤٤).

﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾، قال: ﴿مِّن شَيْءٍ﴾؛ مع أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنزل على رُسُلِه الكُتُبَ، وهذا إثباتٌ أنَّ كتب الله شيءٌ، يعني: في الوجودِ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [الأنعام:٩١].

وقيل في هذه الآية أنَّ يهوديًّا يُقالُ له: مَالِكُ بنُ الصَّيْفِ[1] جاء يُخاصم النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْشُدُكَ بالذي أنزلَ التَّوْرَاة علىٰ موسىٰ، أما تجدُ في التوراةِ أنَّ الله يُبغِضُ الحَبْرَ السَّمِينَ؟**»، وكان حَبْرًا سَمِينًا، فَغَضِبَ فقال: واللهِ مَا أنزل اللهُ علىٰ بَشَرٍ من شيءٍ! فقال له أَصْحَابُهُ الذين معه: وَيْحَكَ، ولا مُوسَىٰ؟ فقال: واللهِ ما أنزل اللهُ علىٰ بَشَرٍ من شيءٍ، فأنزل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ الآية [الأنعام:٩١]»[2].

فالنبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحتجُّ علىٰ اليهودي بما في التوراة من قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فيغضبُ اليهودي، ويَنفِي أَن يَكونَ القرآنُ شيئًا، وأن تكونَ التوراةُ شيئًا، وكَذَبَ، فكذَّبه اللهُ عَزَّوَجَلَّ فدلَّ علىٰ أَنَّ كلامه شيءٌ، ولكنه ليس كالأشياء كما أن ذاته شيءٌ لا كالأشياء، ثم استدل بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام:٩٣].

فدلَّ علىٰ أَنَّ كُلَّ الوَحْي يُسمَّىٰ شيئًا، ولكن لا كالأشياءِ، بهذا الخبر، فالوَحي شيءٌ بالمعنىٰ؛ وذَمَّ مَنْ جَحَدَ أَنَّ كلامَ اللهِ شيء، ولمَّا أظهرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ اسمَ كلامه لم يُظهره باسم الشيءِ، فيلحدُ الملحدون في ذلك، ويدخلونه في

---

(١) من أحبار اليهود. ينظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١/ ١٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٩٤)، وتفسير القرطبي (٧/ ٣٧).

جُملة الأشياء المَخلوقة، ولكنه أظهرهُ باسم الكتابِ والنُّور والهُدىٰ والفرقان والقُرآن، فلم يقل: «قل من أنزل الشيء الذي جاء به موسىٰ»، يجعل الشيءَ اسمًا لكلامِه، وكذلك سمَّىٰ نَفْسَهُ بأسماءٍ حُسنىٰ ظاهرةٍ يُعْرَفُ بها، وسمَّىٰ كلامَه -أيضًا- بذلك في آياتٍ كثيرةٍ، سَمَّاهُ نُورًا وهدًىٰ وشفاءً ورحمةً وحقًّا وقرآنًا وأشباه ذلك؛ لِعلمِه سُبحانه السَّابِقِ في جَهْمٍ وبِشْرٍ، ومن يقول بقولهما؛ أنهم سيُلحدون في أسمائهِ الحُسنىٰ وصفاته التي هي من ذاتِهِ يُدخلونَها في الأشياء المَخلوقة، فاللهُ سُبحانه سَمَّىٰ نَفسَه بأسماءٍ ولم يدخل فيها اسمَ الشيءِ مع إثباتهِ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام:١٩].

وكذلك القرآن يُسمَّىٰ شيئًا؛ ففي هذه الآيات رَدٌّ علىٰ الذين يقولونَ: ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١]، **فهو شيءٌ إثباتًا لا شيء مخلوق.**

قال راوي المناظرة:

[فقال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين، قد أقرَّ عبدُ العزيز أنه شيءٌ، وأنه لا كالأشياء؛ فليأت بنصِّ التنزيل، كما أَخَذَ عليَّ وعلىٰ نفسه، أنه ليسَ كالأشياء، وإلَّا فقد بَطَلَ ما ادَّعَاهُ وَصَحَّ قولي: إنه مخلوقٌ، إذ كُنَّا قد أَجمعنا واتَّفقنا أنه شيءٌ.

وقلت أنا: هو شيءٌ كالأشياء، وداخِلٌ في الأشياء.

وقال هو: ليس هو شيءٌ كالأشياء، ولا داخلٌ في الأشياء، فليأت بنصِّ التنزيل علىٰ ما ادَّعَاهُ، وإلَّا فقد ثبتت الحُجَّة عليه بخلقِه؛ إذ كان اللهُ عَزَّوَجَلَّ قد أخبرنا بنصِّ التنزيل أنه خَالِقُ كُلِّ شيءٍ].

الشَّرح

يقول بشرٌ: أقرَّ عبدُ العزيز أنَّه شيء، ولكن يقول لا كالأشياء، ما الدَّلِيلُ علىٰ أنه لا كالأشياء؟ فليأتنا بِنَصٍّ من القرآن، فقد أَخَذَ علىٰ نفسه وعلينا أنه ليس كالأشياء، وإلَّا بَطلَ ما ادَّعَاهُ أنه لا كالأشياء، إذن فيصحُّ قولنا: إنه مخلوق، فقد أجمَعنا واتَّفقنا أنه شيءٌ، وقلتُ أنا: هو شيءٌ كالأشياء داخل في المخلوقاتِ، وقال هو: ليس كالأشياء، ولا داخل في الأشياء، فليأتنا بِنَصٍّ علىٰ ما ادَّعَاهُ، وإلَّا بَطَلَتْ حُجَّتُهُ وثبتت الحُجَّة عليه؛ فاللهُ أخبرنا في التنزيل أنه خَالِقُ كُلِّ شيءٍ[1].

هذا تقريرُ شُبْهةِ بِشْرٍ.

(١) كما في آية سورة الرعد: ١٦، وغيرها.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقال لي المأمونُ: هذا يلزمك يا عبدَ العزيز.

وجعلَ مُحَمَّدُ بن الجَهمِ وغيرُه يَصِيحونَ يقولونَ: ظهرَ أمرُ الله وهم كَارهونَ، جاء الحقُّ وَزَهَقَ الباطلُ. وطمِعُوا في قَتْلِي، وجَثَا بِشْرٌ علىٰ ركبتيه، وجَعَلَ يقولُ: أقرَّ -واللهِ يا أميرَ المؤمنين- بخلقِ القرآن.

فأمسكتُ فلم أتكلم حتىٰ قال لي المأمونُ: ما لك لا تتكلمُ يا عبدَ العزيزِ؟!

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك-، قد تكلمَ بشرٌ، وَطالبنِي بنَصِّ التنزيلِ علىٰ ما قُلْتُ، وهو المناظرُ لي، فضَجِيْجُ هؤلاء أيُّ شيءٍ هو؟! وأنا لم أنقطع ولم أَعْجِزْ عن الجوابِ وإقامةِ الحُجَّةِ بنصِّ التنزيل، كما طالبني، ولستُ أتكلمُ في هذا المجلس ويتكلمُ فيه غيرُ بشر، إِلَّا أن ينقطع بشرٌ عن الحُجَّةِ، فيعتزل، ويتكلم غيرُه في مكانِه.

فصاح المأمونُ بمُحَمَّدِ بنِ الجَهْمِ وغيرِه، فَأَمْسَكُوا].

الشرح

لمَّا تكلمَ بشرٌ بهذا الكلام ظن من كان موجودًا أنَّه حُجَّة قويةٌ وكان منهم مُحَمَّد بن الجهم، ولعله ابن الجهم بن صفوان، فصاحوا يقولونَ: ظهرَ أمرُ الله وهم كَارِهُونَ، يصيحونَ: جاءَ الحق وَزَهَقَ الباطلُ. وَطَمِعُوا في قتلي؛ أنني خالفتُ الحقَّ. وَجَثَا بشرٌ علىٰ رُكبتيه يقول: أقرَّ -والله يا أميرَ المؤمنين- بخلقِ القرآن.

يقول عبدُ العزيز: فأمسكتُ ولم أتكلمْ.

فقالَ لي المأمونُ: ما لك لا تتكلمُ؟!

قلت: -أطال الله بقاءك- تكَلَّمَ بشرٌ، وطَالبني بنصِّ التنزيل، وهو المُنَاظِرُ لي، ضجيجُ هؤلاء أيُّ شيءٌ هو؟! وأنا لم أنقطع ولم أَعْجِزْ عن الجوابِ، وإقامةِ الحُجَّةِ بنصِّ التنزيل، ولستُ أتكلمُ في هذا المجلس ويتكلمُ فيه غير بشر، إذا انقطعَ بشرٌ فَليتكَلم غيرُهُ؛ فأَمَرَهُم أن يُمْسِكوا.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقال لي المأمونُ: تكلم يا عبدَ العزيز؛ فليسَ يُعَارِضُكَ أحدٌ غير بشرٍ.

قال عبدُ العزيز: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[البقرة:١١٧].

فدلَّ عَزَّوَجَلَّ -بهذه الأخبارِ كُلِّها، وأشْبَاهٍ لها كثيرةٍ- على أَنَّ كلامَه ليس كالأشياء، وأنه غيرُ الأشياءِ، وأنه خارجٌ عن الأشياء، وأنه إنما تكونُ الأشياءُ بقولِه وأمْرِه، ثم ذَكَرَ خلق الأشياء كلِّها فلم يدع منها شيئًا إلَّا ذَكَرَهُ، وأخرج كلامَه وقولَه وأمرَه منها؛ لِيَدُلَّ على أَنَّ كلامَه غيرُ الأشياءِ، وخارجٌ عن الأشياءِ المخلوقة، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف:٥٤].

فجمع في هذه اللفظةِ الخلقَ كلَّه، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾، يعني: الأمرَ الذي كان به هذا الخلق، فَفَرَّقَ عَزَّوَجَلَّ بين خَلْقِهِ وبين أَمْرِه، فَجَعَلَ الْخَلْقَ خَلْقًا والأَمْرَ أَمْرًا، وجَعَلَ هذا غيرَ هذا، وهذا غيرَ هذا.

فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾[القمر:٥٠]، يقولُ: إذا أردتُ شيئًا فإنما هو كلمحِ البصرِ، يقول له: «كُنْ» كما أُرِيدُ؛ فيكون كلمحٍ بالبصَر.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الروم:٤]، يقولُ: من قبلِ الخلق ومن بعدِ الخلق.

ثـم جَمَـعَ عَزَّوَجَلَّ بيـن الأشـياء المخلوقـة في آيَـاتٍ كثيـرةٍ مـن كِتابـه، وأخبـرَ عـن خلقِهـا بقولـه وكلامِـه، وأنَّ كَلامَـه وقَوْلَـه غيرُهـا وخَـارِجٌ عنهـا فقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأنعام:٧٣]، وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر:٨٥].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٤٤]، وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الأحقاف:١-٣]، وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩].

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ [الروم:٨]، وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثيـة:٢٢].

الشَّرحُ

أَذِنَ المأمـونُ للكنانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالـكلام؛ فأخـذَ في الاسـتدلالِ، واحتـجَّ بقـول الله تعالـىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[النحل:٤٠].

والقـولُ غيـرُ المخلـوق، قَولنـا لشـيءٍ، يعنـي: لشـيءٍ مخلـوقٍ، فـدلَّ علىٰ أَنَّ الأشـياءَ تُخْلَـقُ بقولـه: «كُـنْ»(١).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٦٣).

كذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

إذا قضىٰ أمرًا فإنما يقول له: «كن فيكون»، فالحُجَّة في هذه الآية: أنَّ المخلوقاتِ كُلَّها خُلقت «بكُن»، حتىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خلقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بـ: «كُنْ»، وسمَّاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: «كلمة الله»، يعني: خُلِقَ بكلمةِ الله، لا أنَّه عَيْنُ الكلمةِ كما تقولهُ النصارىٰ! ولذلك قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]؛ أيْ: خُلِقَ «بِكُن».

فدلَّ بهذه الأخبارِ -وأشباهها كثيرة- علىٰ أَنَّ كَلامَه ليس كالأشياء؛ لأن الأشياء خُلقت بكلامِه، ولو كان كلامُه مخلوقًا، فيقالُ: بِأَيِّ شيءٍ خُلِقَ كلامُه؟ فيلزمُ من ذلك: أنَّ كلامَه خُلِقَ بكلامٍ آخرَ! فَيَحْدُثُ بذلك التَّسَلْسُلُ[١]، ونحو ذلك.

فإنما تكون الأشياءُ بقولٍ، يعني: بكلامِه وبأمرِهِ، وذكرَ أنَّ اللهَ خلقَ الأشياءَ كُلَّها، مَا تركَ منها شيئًا إلَّا ذَكَرَهُ.

أَخْرَجَ كلامَه وقَوْلَه وأَمْرَه منها؛ لِيَدُلَّ علىٰ أَنَّ كلامَه غيرُ الأشياء، وأنه خَارجٌ عن الأشياءِ المَخلوقةِ؛ فدلَّ علىٰ أنها خُلِقَتْ بكلامِه فلا تكون مَخلوقةً.

وكذلك ذَكَرَ هذه الآيةَ التي في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ١٠٥)، والتَّسلسل هُوَ: ترتيب أمور غير متناهية، كما في التعريفات (ص٥٧).

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾، هذه كُلُّها مخلوقاتٌ، بعد ذلك قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فرَّقَ بين الخَلْقِ والأَمْرِ، الخَلْقُ هو: المَخْلوقاتُ كُلُّها.

والأمرُ هو: كلامُه الذي يَخْلُقُ بهِ المَخلوقاتِ؛ فهو غيرُ مخلوقٍ.

جَمَعَ في هذه اللفظة -الخلقَ والأمرَ- الخَلقَ كله، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾، الأمر الذي كانت به هذه المخلوقات.

فَرَّقَ عَزَّوَجَلَّ بين خَلْقِهِ وبين أَمْرِهِ، جَعَلَ الخَلْقَ خَلْقًا والأَمْرَ أَمْرًا، ففرَّقَ بينهما، وجعلَ هذا غيرَ هذا، وهذا غيرَ هذا.

ثم استدل بهذه الآية التي في سورة القَمرِ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر:٥٠]، يقولُ سُبحانه: إذا أردتُ شيئًا فهو كلمحِ البصرِ[1]، يقول: «كُنْ كما أُرِيدُ»، فيكون كلمحِ البصرِ.

وكذلك في سورة الروم: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم:٤]؛ أي: ومن بعد الأمرِ -أيضًا-، فدلَّ علىٰ أنَّ الأمرَ غير الخلقِ يقول: من قبلِ الخَلقِ، ومن بعدِ الخَلقِ.

جَمَعَ عَزَّوَجَلَّ بينَ المخلوقاتِ في آياتٍ كثيرةٍ من كتابه أَخْبَرَ عن خلقِها بكلامِه وبقَوْلِه، كلامُه وقولُه غيرُهَا، خارجٌ عَنهَا، فدلَّ علىٰ أنها مخلوقةٌ بكلامِه.

وذكرَ كذلك قَوْلَه تعالىٰ في سورة الأنعامِ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام:٧٣].

---

(١) ينظر: التفسير البسيط (٢١/ ١٢٦).

دَلَّ علىٰ أنه يقولُ: «كن» بقولِه الذي هو «الحقُّ»(١).

وكذلك استدلَّ بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ [الحجر:٨٥]. الحقُّ هنا يعني: الذي هو كلامُه.

كذلك هذه الآية: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [العنكبوت:٤٤] فيعني بالحقِّ: خلقها بالحقِّ، دَلَّ علىٰ أنها خُلِقت بالحقِّ.

وكذلك قوله تعالىٰ في سورة الأحقاف: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف:١-٣] بِأَيِّ شَيءٍ خُلِقت؟ بكلامِه، وكلامه غيرُ مخلوق.

كذلك قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩].

وكذلك قوله سُبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم:٨].

قوله سبحانه: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾.

كذلك: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الجاثية:٢٢].

فكُلُّ المخلوقاتِ ذَكَرَ أنه خَلقهَا بِالحَقِّ، فبأيِّ شيءٍ خلق الحقّ، إذا كانوا يقولونَ: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ؟! بِأَيِّ شيء خَلَقَهُ؟! فالحقُّ هو كلامُه؛ فلا يَكونُ مَخلوقًا(٢).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٣٣٦).

(٢) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٧٥).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقال لي المأمونُ: بعض هذا يجْزِيكَ فاختَصرهُ.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين قد أخبرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن خلقِ السمواتِ والأرضَ وما بينهما، فلم يدع شيئًا من الخلقِ إلا ذكرَه، وأخبر عن خلقِه، وأنه إنما خَلقه بالحق، وأن الحَقَّ قوله وكلامُه الذي به خلق الخلقَ كُله، وأنه غيرُ الخلقِ، وخارِجٌ عن الخلق، وهذا نصُّ التنزيل علىٰ أَنَّ كلَامَ اللهِ غَيرُ الأشياءِ المَخلوقةِ، وليس هو كالأشياء، وإنما به تَكُونُ الأشياءُ.

فقال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- فقد ادَّعَىٰ أن الأشياءَ إنما تكونُ بقَوْلِهِ، ثم جاء بأشياءَ مُتُباينات مُتَفرقاتٍ، فزعمَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَخلقُ بها الأشياءَ فأكذبَ نفسه، ونقضَ قولَه، ورجع عَمَّا ادَّعَاهُ من حيث لا يدري، وأَمِيرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- الشاهدُ عليه، الحاكمُ بيننا!].

الشَّرحُ

لمَّا أكثرَ من هذه الآياتِ؛ قال المأمونُ: بعضُ هذا يجْزِيكَ اختصِر.

فقال عبدُ العزيز: أخبرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنه خَلَقَ السمواتِ وَالأَرضَ وما بينهما، ولم يدع شيئًا من الخَلق إلَّا ذَكَرَه.

أخبرَ عن نفسه أنه إنَّما خَلَقَ هذه الأشياءَ بِالحَقِّ، وأن الحقَّ قوله وكلامُه الذي به خَلَقَ الخلقَ كلَّه، وأن كلامَه غيرُ الخلقِ، خارجٌ عن الخلق، في هذه الآياتِ نَجِدُ قوله سُبحانه: ﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾[الروم:٨] هذا نصُّ التنزيل علىٰ أَنَّ كلامَ اللهِ غيرُ الأشياءِ المَخلوقة، ليس هو كالأشياء، إنما تَكُونُ به الأشياءُ.

فقال بشرٌ: إنَّ الكنانيَّ ادَّعَىٰ أن الأشياء إنما تكونُ بقَوْلِهِ، ثم جاء بأشياءَ متبايناتٍ متفرِّقاتٍ! وما جاء[1] إلا بآياتٍ واضحاتٍ!

ثم يقول بشر: إن الكناني زَعَمَ أنَّ اللهَ يخلقُ بها الأشياء، فدلَّ علىٰ أنها غير المخلوقاتِ؛ فيكون قد أكذبَ نَفْسَهُ، ونَقَضَ قولَه، وَرَجَعَ عمَّا ادَّعاهُ من حيثُ لا يَدْرِي، وأمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- الشاهدُ عليه، الحاكمُ بيننا.

هذه شبهةُ بشرٍ!

(١) أي: الإمام الكناني.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبَل عليَّ المأمونُ فقال: يا عبدَ العزيز، قد قال بشرٌ كلامًا قد قلته، وتحتاجُ أن تُصحِّحَ قولَك ولا ينقضُ بعضُه بعضًا.

وجعلَ بشرٌ يصيحُ ويقول: لو تركناهُ يتكلمُ لجاءنا بألف لون مما خلق اللهُ عَزَّوَجَلَّ بها الأشياءَ!

قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك-، ذهبت الحُجَجُ، وانقطعَ الكلامُ، وَرَضِيَ بشرٌ وأصحابُه بالضَّجيجِ والترويجِ إلىٰ الباطل، وقطع المجلس، وطلب الخلاص، ولا خلاصَ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

قال: فصاح المأمونُ: يا بشرُ، أقبِل علىٰ صاحبك، واسمع منه، ودَعْ هذا الضجيج.

وكان قد قَعَدَ منَّا مقعَد الحاكمِ من الخصوم].

الشَّرحُ

أَقْبَلَ المأمونُ علىٰ عبد العزيز وقال: يا عبدَ العزيز، قد قال بِشْرٌ كلامًا قد قلته، وَادَّعَىٰ أنك أكثرتَ، وأنَّ الكلام الذي ذكرتَهُ كله ليس بدليلٍ، فَتَحتاجُ أن تصحِّحَ قولك لا ينقضُ بعضُهُ بعضًا، فجعل بِشْرٌ يصيحُ ويقول: «لو تركناهُ يتكلمُ لجاءَ بألفِ لَوْنٍ ممَّا خَلَقَ اللهُ بها الأشياء».

وفي الحقيقةِ: ما جاء عبدُ العزيز إلَّا بأدلةٍ صحيحةٍ، وهو: أنَّ اللهَ خلقَ الأشياءَ بكلامِه، وإذا كانت الأشياءُ مخلوقةً بكلامِه فبأيِّ شيءٍ خَلقَ كلامَه؟!

هنا قال عبدُ العزيز: يا أميرَ المؤمنين، ذهبت الحُجج، وانقطعَ كلامهم،

ورَضِيَ بشرٌ وأصحابُه بالضجيجِ والترويجِ إلىٰ الباطلِ، ما يريدون أن يُظهِروا أنَّهم خُصِمُوا[١]، يريدون قَطْعَ المجلس، وطَلَبَ الخلاصِ، ولا خَلاصَ من اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

فصاح المأمونُ: يا بشرُ، أقبِلْ علىٰ صاحبك، واسمع كلامَه، ودع هذا الضجيج.

فقال عبد العزيز: وكان قد قَعَدَ منَّا مَقْعَدَ الحاكمِ من الخصوم.

---

(١) أي: غُلِبُوا. ينظر: تاج العروس (٣٢/ ١٠٠): (خ ص م).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمونُ فقال: تكلَّم يا عبدَ العزيز.

فقلتُ: يا بشرُ، زعمتَ أني قد جئت بأشياءَ متباينات متفرقات! فزعمتُ أنَّ اللهَ خَلَقَ بها الأشياءَ؛ فما قلتُ إلَّا ما قال الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، وما جئتُ بشيءٍ غير كلامِ اللهِ، ولا قلتُ ولا أقول إلا أنَّ اللهَ خَلَقَ الأشياءَ بكلامِه.

قال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين، قد قال: «إنَّ الله خلقَ الأشياءَ بقولِه وبأمرِه، وبكلامِهِ، وبالحقِّ»؟

فقال المأمونُ: بلىٰ، قد قلتَ هذا يا عبدَ العزيز.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد قلتُ هذا، وما قلته إلَّا علىٰ صحتِه، ولا خرجتُ عن كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، ولا قلتُ إلَّا ما قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ، ولا أَخبرتُ إلَّا بما أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ به أنه خَلَقَ، ممَّا يوافِقُ بعضُهُ بعضًا، ويُصدِّقُ بعضُهُ بعضًا، وكُلُّ ما ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنه خلق ويخلُق به الأشياءَ فهو شَيءٌ واحدٌ، وله أسماءٌ متعددةٌ، وهو كَلامُ الله، وهو قولُ الله، وهو أَمْرُ الله، وهو الحقُّ، فقولُ الله هو كلامُه، وكلامُه هو الحقُّ، والحقُّ هو أَمْرُه، وأَمْرُه هو قَوْلُه، وقَوْلُه هو الحقُّ، وهي أسماءٌ شتىٰ لشيءٍ واحدٍ، وكما سمَّىٰ كلامَه: نورًا وهدًىٰ وشفاءً ورحمةً وقرآنًا وفرقانًا، فهذا مثلُ ذلك، وذلك مثلُ هذا.

وإنما أجرىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مثلَ هذا علىٰ كلامِه، كما أجراهُ علىٰ نفسه؛ لأنه من ذاته، فسمَّىٰ كلامَه بأسماءٍ كثيرةٍ، وهي شيءٌ واحدٌ، كما سمَّىٰ نفسه

بأسماءٍ كثيرةٍ، وهو واحدٌ أحدٌ صمدٌ فردٌ، وإنما يُنكرُ بشرٌ هذا ويَستعظِمُه؛ لقلَّة فهمِه، ومعرفته باللُّغة، ومعنىٰ كلامِ العرب وألفاظها].

الشَّرح

قال عبدُ العزيز: هكذا يا بشرُ زعمتَ بأني أتيتُ بأشياءَ متبايناتٍ متفرقاتٍ، زعمتُ أنَّ اللهَ خَلَقَ بها الأشياءَ! أنا ما قلتُ إلَّا كلامَ الله وما قالهُ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كتابه، ما جئتُ بشيءٍ غير كلامِ الله، ولا أقول إلَّا أنَّ اللهَ خلقَ الأشياءَ بكلامه، وإذا كان خَلَقَ الأشياءَ! بكلامِه فبأيِّ شيء خلقَ كلامه؟!

يقول المَريسيُّ: إنَّ عبدَ العزيز الكناني قال: (إنَّ اللهَ خلقَ الأشياءَ بقولِه وبأمرِه وبكلامِه وبالحقِّ)؟

فقال المَأْمُون: صحيحٌ، أنت قلتَ هذا يا عبدَ العزيز.

كلامُ عبد العزيز رَحِمَهُٱللَّهُ صحيحٌ؛ حيث قال: ما قلتُهُ إلَّا علىٰ صحتهِ، ما خرجتُ عن كتابِ الله، ما قلتُ إلَّا ما قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وما أَخبرتُ إلَّا بما أخبرَ اللهُ به، أنَّه خَلَقَ، ممَّا يوافقُ بَعضُهُ بعضًا، ويُصَدِّقُ بَعضُهُ بعضًا، كلُّ ما ذَكَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنه خَلَقَ ويَخلُقُ به الأشياءَ في الآياتِ، كُلُّهُ صحيحٌ، وهو شيءٌ واحدٌ، القرآنُ كلامُ الله، نسميه: (كلام الله)، نسميه (قول الله)، نُسَمِيهِ (أمر الله)، نسميه (الحَقّ)، قولُ الله كلامُه، وكلامُه هو الحقُّ، الحقُّ هو أمْرُه، وأمرُه هو الحقُّ، قولُه هو الحقُّ.

هل نقول: إننا مُتناقِضون؟! هذا كله ممَّا أخبرَ اللهُ، وليس مخلوقًا، هي أسماءٌ شَتَّىٰ لشيءٍ واحدٍ، سَمَّىٰ نفْسه، وسَمَّىٰ كلامَه، سَمَّىٰ كلامَه -الذي هو القرآنُ- نُورًا في آياتٍ كثيرةٍ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾

[التغابن:٨]، سَمَّاهُ: هُدًىٰ وشفاءً في قوله: ﴿جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[يونس:٥٧]، سمَّاه قرآنًا وفرقانًا.

فهذا مثلُ ذلك، وذلك مثلُ هذا، ولم يَقُل: إنه مَخلوقٌ.

أَجْرىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مثل هذا علىٰ كلامِه، يعني: كما أَجْراه علىٰ نفسه؛ لأنه مِن ذاته، فكَلَامُهُ مِن ذاتِه، سمَّىٰ كلامَه بأشياءَ كثيرةٍ، وهو شيءٌ واحدٌ، وسمَّىٰ نَفْسَهُ بأسماءٍ كثيرةٍ؛ التسعة والتسعين وغيرها، وهو واحدٌ، أحدٌ، صَمَدٌ، فَرْدٌ.

إنَّمَا يُنْكِرُ بشرٌ هذا؛ لقلة فَهْمِهِ -يعني: يَعِيبُهُ لَمَّا لَمْ يَفْهَمْ- وقِلَّةِ معرفتِه باللُّغة، ومعنىٰ كلامِ العرب وألفاظِها.

قال راوي المناظرة:

[قال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين، قد أصَّلَ بيني وبينه كتابَ الله عَزَّوَجَلَّ وسُنَّة رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وزعم أنَّه لا يقبلُ إلَّا نَصَّ التنزيل، فمَا لنا ولذكر لغةِ العرب وغيرِها؟! لستُ أقبل منه إلا نصَّ التنزيل بما قال: «إنَّ كلامَ اللهِ هو قوله، وهو أمره، وهو الحق»؛ فقال المأمونُ: ذلك يلزمُك يا عبدَ العزيز؛ لِمَا عقدتَ علىٰ نفسِكَ مِن الشرطِ؛ قال عبدُ العزيز: فقلتُ: صدقت يا أميرَ المؤمنين، إنَّ ذلك يلزمُنِي، وعليَّ أن آتي به مِن نَصِّ التنزيل.

قال: هاته].

الشَّرح

يقول بشر: قد أصَّل بيني وبينه القرآن وَالسُّنَّة، وأنه لا يقبلُ إلَّا نصَّ التنزيل، فلماذا نحتاجُ إلىٰ لغةِ العربِ وغيرِها؟ فلا أقبل إلَّا نصَّ التنزيل أنَّ كلامَ اللهِ هو قوله، وهو أمرُه، وهو الحقُّ، سبحان اللهِ! مَا قَنِعَ[(١)] بتلك الآياتِ التي فيها وَصْفُ القرآن أنَّه هو الحقُّ، ونَحوه!

تقدَّم أنه قال: أجعل بيني وبينك حَكَمًا وهو كتاب الله.

فيقول المأمونُ له: يلزمُك ذلك؛ لِمَا عقدتَ علىٰ نفسِك مِن الشَّرْط.

قال عبدُ العزيز: صدقت يا أميرَ المؤمنين يلزمُني، عليَّ أن آتي به مِن نَصِّ التنزيل.

(١) قَنِعَ من باب تَعِبَ: رَضِيَ. ينظر: المصباح المنير (ق ن ع)، ومختار الصحاح (ق ن ع).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ -وقد ذَكَرَ كلامَه- فقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، يعني: حتىٰ يسمعَ القرآنَ؛ لأنه لا يَقدِرُ أن يسمعَ كلامَ اللهِ مِنَ اللهِ، وإنَّما عنَىٰ: القرآنَ، لا خلافَ بين أهلِ العلم واللغةِ في ذلك.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح:١٥]؛ فسمَّىٰ اللهُ القرآن كلامَه، وسمَّاه قولَه، وأخبر أن قوله هو كلامُه، بقوله عَزَّ من قائلٍ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح:١٥].

وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١]؛ فهذا خَبَرُ الله عن القرآن أنَّه الحق.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنعام:٦٦]؛ فأَخْبَرَ عن القرآن أنه الحقُّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس:٩٤]؛ فهذا خبرُ الله عن القرآن أنه الحق.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود:١٧]؛ فهذا خبرُ الله عن القرآن أنه الحق.

وقال عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ﴾ [يونس:١٠٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الرعد:١]، وقال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [السجدة:١-٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٨٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ ﴾ [القصص:٥٣]، فهذه كُلُّها وأمثالُها في القرآن كثير، أخبارُ الله عن القرآن أنه الحق، فسماه باسم الحق.

ثم ذكر عَزَّوَجَلَّ أَنَّ القرآن قوله، وأن قولَه هُوَ الحقُّ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [الأحزاب:٤].

فهذا خبرُ الله عن قولِه: أنه الحق وأن الحقَّ قولُه.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾ [سبأ:٢٣].

فهذه أخبارُ الله كُلُّها عن الحق أنه قوله، وأن قولَه هو الحقُّ، ومثل هذا في القرآن كثير.

ثم ذَكَرَ أن الحقَّ كلامُه، وأن كلامَه الحقُّ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:٣٣]؛ فأخبرَ عن كلامِه أنه الحقُّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس:٨٢]؛ فأخبرَ عَزَّوَجَلَّ عن الحقِّ أنه كلامُه، وأن كلامَه هو الحقُّ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر:٧١].

فهذه أخبارُ الله عَزَّوَجَلَّ عن الحقِّ أنه كلامُه، وأن كلامَه هو الحق.

ثم ذكر عَزَّوَجَلَّ أَنَّ القرآن أمرُهُ، وهو كلامُه، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ﴾ [الدخان:١-٥] يعني: القرآن.

فأخبرَ اللهُ أَنَّ القرآن أمرُهُ؛ وأن أَمْرَهُ القرآن.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق:٥]، يعني: القرآنَ؛ فهذا خبرُ الله أَنَّ القرآن أمرُهُ، وأن أمرَهُ القرآن.

وأن هذه أسماءٌ شتَّىٰ لشيءٍ واحدٍ، وهو الشيءُ الذي به خَلَقَ الأشياءَ، وهو غيرُ الأشياءِ، وخارجٌ عن الأشياءِ، وغير داخل في الأشياءِ، ولا هو كالأشياء، وبه تكون الأشياء، وهو: كلامُه، وهو قولُه، وهو أمرُه، وهو الحقُّ؛ وهذا نصُّ التنزيل بلا تأْوِيل ولا تفسِيرٍ.

قال عبدُ العزيز: فقال المأمونُ: أحسنت أحسنت يا عبدَ العزيز!].

الشرح

قرَّرَ عبدُ العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يدَّعِيه وما يقولُ به، فيقول: ذَكَرَ اللهُ كلامَه في هذه الآية: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، لم يقل: خَلْقَ اللهِ.

مِنْ أين؟ يسمَعُه منك يا مُحَمَّدُ، أو يسمَعُه مِن القُرَّاء، لا يقدرُ أحدٌ أن يسمعَ كلامَ اللهِ مِن اللهِ إلَّا المَلَك الذي يُوحِي إليهِ اللهُ، فقد عنىٰ القرآن في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾.

هـذا باتفـاقِ أهـلِ العلـم؛ لا خـلافَ بيـن أهـلِ العلـم واللغـةِ في ذلـك أنَّ المُـرادَ: القـرآن(١).

وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ [الفتح:١٥]، فذكـرَ في الآيـة كلامَ اللهِ، وكان اللهُ تعالـىٰ قـد مَنَعهـم مِـن الخُـروج معـه في سـورة التوبـة، يقـولُ تعالـىٰ: ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾ [التوبـة:٨٣].

فيريـدونَ أنْ يبدلـوا هـذا الـكلامَ الـذي هـو كلامُ الله، فأخـبرَ بـأن هـذا كلام الله الـذي هـو قولـه تعالـىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا ﴾ فسـمَّاهُ كلامَ الله، وسـمَّاهُ قـولًا في هـذه الآيـة: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ ﴾؛ لـم يقـل: كذلكـم خلَـقَ اللهُ.

في هاتين الآيتين أَنَّ القرآنَ كلامُ الله.

ومثلُهَـا قولـه تعالـىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ ﴾ [البقرة:٧٥]، الـذي يسـمعونه هـو القـرآن فلـم يقـل: يسـمعون خلْـقَ الله، أَثْبـتَ أَنَّـهُ كلامُ الله.

وفي القرآن آياتٌ كثيرةٌ يَذْكُرُ فيها القَوْلَ مثل:

قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١١٦].

وقولـه: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائـدة:١١٩]. ﴿ قَالَ ٱللَّهُ ﴾ أفيكـونُ القـولُ إلَّا بـكلام؟! لَا بُـدَّ أنـه كلامُ الله.

كذلـك قولـه: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ ﴾ [الأحزاب:٤] جـاء بالفعـلِ المُضـارع ﴿يَقُولُ

(١) ينظر: الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (٥/ ٥).

ﵟٱلۡحَقُّﵞ، وجاء بالماضي كما في قوله تعالىٰ: ﵟقَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡﵞ [المائدة:١١٩]، أفيكونُ القولُ إلَّا بكلام؟! دَلَّ علىٰ أَنَّ اللهَ تعالىٰ تكلَّمَ به حقًّا.

وسمَّىٰ اللهُ القرآن كلامًا، وسَمَّاهُ قوله، أخبرَ بأن قولَه هو الحق، وأخبرَ بأنه هو كلامُه كما في هذه الآية: ﵟيُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُﵞ [الفتح:١٥]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﵟوَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡﵞ [البقرة:٩١].

الشاهدُ تَسميته أنَّه ﵟٱلۡحَقُّﵞ، وأنه: ﵟمُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡﵞ؛ أي: مُصدقًا للكتبِ التي معهم[1]، فدلَّ علىٰ أَنَّ كلامَ اللهِ يُصدِّقُ بَعْضُهُ بعضًا، فعندَهُم كتبهم التي أنزلها اللهُ علىٰ أَنبيائهم هذا خبرٌ عن القرآن أنه الحق لم يقل: إنه مخلوقٌ.

كذلك قوله تعالىٰ: ﵟفَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّﵞ، هذا وصفٌ للقرآنِ أنه ﵟٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَﵞ [يونس:٩٤].

فأَخبر عن القرآن أنَّه الحق في آياتٍ كثيرةٍ كما تقدَّم، ولم يقل في موضع: إنه مَخلوقٌ، بل قال: إنَّه الحقُّ.

كذلك هذه الآية: ﵟوَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَﵞ [هود:١٧]، أخبرَ بأنه الحقُّ؛ يعني أنَّ هذا القرآنَ الحق مِن ربك، خبرٌ عَن القرآن أنه الحقُّ.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٥٦)، وتفسير ابن كثير (١/ ٣٢٨).

وكذلك في هذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ [يونس:١٠٨] فقوله هنا: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ وَصَفَهُ بأنه الحقُّ.

وكذلك هذه الآية: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد:١].

الشاهد من هذه الآياتِ: وَصْفُ الله تعالىٰ القرآنَ بأنه الحقُّ، والحقُّ هو ضدُّ الباطلِ، فليسَ فيه شَيءٌ ممَّا يكونُ باطلًا، أو ممَّا يكون لَاغِيًا(١)، أو نحو ذلك.

كذلك هذه الآية: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة:١-٣].

لَمَّا كان المُشركونَ يقولونَ: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾ [القصص:٣٦].

أو يقولون: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الأحقاف:٨]، افتراه مُحَمَّدٌ؛ أي: اخْتَلَقَه.

أو يقولونَ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣].

أو يقولونَ: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢]، ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان:٦].

هكذا قال: ﴿نَزَّلَهُۥ﴾، نزَّله ربُّ العالمين.

---

(١) لغَا في القول لَغْوًا: أخطأ وقال باطلاً. لسان العرب (١٥/ ٢٥١): (ل غ و). وينظر: العين (٤/ ٤٤٩).

كذلك الآياتُ قد تقدمت: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣].

كل هذه الآياتِ أثبت اللهُ فيها أَنَّ القرآن هو الحقُّ؛ لِيَدُلَّ علىٰ أنَّه ليس بباطلٍ.

كذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص:٥٣].

هذه كلُّها وأمثالها في القرآن كثير، إخبارٌ عن القُرآنِ أنه الحَقُّ، فدلَّ علىٰ أنَّه حَقٌّ من اللهِ؛ يعني: أنه صحيحٌ، وأنه منزلٌ من اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، سَمَّاهُ باسم الحقِّ؛ لِيَدُلَّ علىٰ أنَّه حقٌّ من اللهِ.

ذَكَرَ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ القرآنَ قولُه، وأن قَوْلَهُ هو الحقُّ؛ في هذه الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤] فيها: أنَّ اللهَ تعالىٰ (يقول) بلفظِ المضارعِ؛ ﴿يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾، يعني: ما يَقُولُ إلَّا الحَقَّ.

وجاء ذلك -أيضًا- في تفسيرِ الآية من سورة سبأ، قول الله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣][(١)]، وَرَدَ في الحديثِ: إِذَا أَرَادَ اللهُ أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ، تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ، أَخَذَتِ السَّمَاوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ -أَوْ قَالَ: رِعْدَةٌ- شَدِيدَةٌ؛ خَوْفًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جبريلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جبريلُ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جبريلُ؟ فَيَقُولُ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٢٧٤- ٢٨٢).

جبريـل: قَـالَ الْحَـقَّ وَهُـوَ الْعَلِـيُّ الْكَبِيـرُ، قَـالَ: فَيَقُولُـونَ كُلُّهُـمْ مِثْـلَ مَـا قَـالَ جبريـلُ[(١)]. (قَـالَ الْحَـقَّ).

المـرادُ بالحـقِّ: ضـدُّ الباطـلِ، أن القـرآن كلَّـه حـقٌّ، وأنَّ اللهَ لا يقـولُ إلَّا مـا هـو حـقٌّ.

هذا خبرٌ من اللهِ تعالىٰ أنَّه الحقُّ، وأن الحقَّ قولُه.

وكذلـك قولـه تعالـىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣]. ﴿حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾.

كذلـك قولـه تعالـىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٢٣].

هذه أخبارُ الله كلُّها عن الحقِّ أنَّه قوله، وأن قولَه هو الحق.

ومثلُ هذا في القرآن كثيرٌ، ذَكَرَ أنَّ الحقَّ كلامُه، وأن كلامَه الحقّ.

وكذلـك قولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٣٣]، ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ لـم يقـل: خَلْـقُ ربِّـك.

أخبرَ عن كلامِه أنه الحقُّ.

كذلـك قولـه: ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس:٨٢] ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لـم يقـل: بخَلْقِـه، فأخـبرَ عـن الحَـقِّ أنَّـه كلامُـه، وأن كلامَـه هـو الحـقُّ.

كذلـك في قولـه تعالـىٰ: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾[الزمر:٧١]، لـم يقـل: خَلْـقُ العـذابِ. اللهُ تعالـىٰ هـو الـذي يَخْلُـقُ كُلَّ شَـيءٍ، ولكـن يَحِـقُّ ذلـك بكلامِه.

---

(١) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢١٦)، والطبري في تفسيره (١٩/ ٢٧٨)، وغيرهما، من حديث النَّوَّاس بن سمعان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

فهذه أخبارُ الله عَزَّوَجَلَّ عن الحق أنَّه كلامُه، وأن كلامَه هو الحق.

ثم ذَكَرَ عَزَّوَجَلَّ أَنَّ القرآن أمرُه، وهو كلامُه؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ﴾ [الدخان:١-٥].

لم يقل: كُلُّ خَلْقٍ، بل قال: كُلُّ أَمْرٍ، وأَمْرًا؛ وهو القرآن.

أَخْبَرَ أَنَّ القرآن أمرُهُ، وأن أمرَهُ القرآن.

وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الطلاق:٥] لم يقل: خَلْقُ اللهِ.

القرآن هو كلامُ الله.

هذا خبرُ الله أَنَّ القرآنَ أَمْرُه، وأنَّ أمرَه القرآن، وأن هذه أسماءٌ شَتَّىٰ لشيءٍ واحدٍ، يعني: القرآن هو: كلامُ الله، والحقُّ، ونحوُ ذلك.

الشيءُ الذي خَلَقَ به الأشياءَ هو غيرُ الأشياءِ، الكلامُ غيرُ المخلوقاتِ، خارجٌ عن الأشياءِ، غَيرُ داخلٍ في الأشياءِ، ما هو كالأشياءِ، به تكون الأشياءُ، الذي هو كلامُه، أمرُه، قولُه، الحقُّ. هكذا نصّ التنزيل بلا تأويلٍ ولا تفسيرٍ.

كلامٌ واضحٌ!

قال راوي المناظرة:

[قـال بشـرٌ: يـا أميـرَ المؤمنيـن -أطـال الله بقـاءك-، إنَّـه يُحِـبُّ أنْ يَخْطُـبَ ويَهْـذِيَ بمـا لا أَعْقِلُـهُ، ولا أسـمعُه، ولا ألتفِـتُ إليـه، ولا أَتـىٰ بحُجـةٍ، ولا أقبـلُ مـن هـذا شـيئًا!].

الشَّرْحُ

هـذه شُـبْهَةٌ، تـدلُّ علىٰ قِلَّـةِ فَهْـمِ بِشـرٍ؛ يقـول: إنَّـه يُحـبُّ أنْ يَخْطُـبَ ويَهْذِيَ، جَعَـلَ هـذا الـكلامَ الـذي هـو مـن الآيـاتِ جَعَلَـهُ هُـذَاءً[1]، وقـال: لا أَعْقِلُـه؛ فـدلَّ علىٰ عَـدَمِ أو قِلَّـةِ عَقْلِـهِ.

كذلك قوله: لا أَسْمَعُه، دَلَّ علىٰ أنه لا يَفْهَمُ.

يقول: ولا أَلْتَفِتُ إليه، ولا أَتَىٰ بِحُجةٍ، ولا أَقْبَلُ من هذا شيئًا.

سبحَان اللهِ! هذه كُلُّها ما أَقْنَعَتْهُ!

(١) هَذَىٰ يَهْذِي هَذْيًا وهَذَيانًا: تكلم بِكَلَامٍ غيرِ مَعْقُول لمرضٍ أو غيره. وذلك إذا هَذَرَ بكَلام لا يُفْهَم ككَلامِ الْمُبَرْسَمِ والمَعْتُوه. والاسْمُ الهُذَاءُ كدُعاءٍ. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم (٤/ ٣٧٨، ٣٧٩)، وتاج العروس (٤٠/ ٢٩٧، ٢٩٨): (هـ ذ ي).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك-، من لا يَعْقِلُ عن الله مَا خاطَبَ به نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وما علَّمَهُ لعبادهِ المؤمنينَ في كتابه، ولا يَعْلَمُ ما أراد اللهُ بكلامه وقولِه- يَدَّعِي العلمَ، ويحتج للمقالات والمذاهب ويدعو الناس إلىٰ البدعِ والضلالات؟!].

الشرح

هذا جوابه لما قال بشرٌ مقالتَه، أجابه عبدُ العزيز بقوله: من لا يَعقِل عن الله ما خاطبَ بهِ نبيَّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وما علَّمَهُ لعبادهِ المُؤمنينَ في كتابه، ولا يَعْلَمُ ما أراد الله بكلامِه وقولِهِ، ومع ذلك يدَّعي العلمَ، وهو لا يَعْقِلُ عن الله، يَحتجُّ للمقالات والمذاهب، يَدعُو الناس إلىٰ البدعِ والضلالَاتِ، وهو مع ذلك لا يَعْقِلُ كلامَ الله!

قال راوي المناظرة:

[فقال بِشْرٌ: أنا وأنت في هذا سواءٌ؛ أنت تَنْتَزِعُ بآياتٍ من القرآن[١] لا تعلمُ تفسيرَها ولا تأوِيلَها، وأنا أرُدُّ ذلك، وأدفعُهُ حتىٰ تأتيَ بشيءٍ أفهمُه وأعقِلُه!].

الشَّرح

لا شكَّ أنَّ هذا -أيضًا- دليلٌ علىٰ عَدَم فَهْمِه! حيث يقولُ: تَنْزِعُ بآياتٍ، ولا تعلمُ تَفْسيرَها، مع وضُوحِها! معلومٌ أنَّ اللهَ تعالىٰ سمَّىٰ كلامَه: «حقًّا»، ولم يسمِّه «خَلْقًا»!

كيف لا تعلمُ تفسيرَها ولا تأويلَها؟! وأنا أرُدُّ ذلك وأدفعُهُ حتىٰ تأتِيَ بشيءٍ أفهمُهُ وأعقِلُهُ! هَل أَخْلُقُ لك عَقْلًا؟! اللهُ تعالىٰ هو الذي قَسَّمَ العقولَ بين خَلْقِهِ، فأنت عقلُك ناقصٌ!

---

(١) انتزَعَ بالآيةِ والشِّعر: تَمَثَّل. ينظر: تاج العروس (٢٢/ ٢٤٨): (ن ز ع). ونَزَعَ بالآيةِ مستعملٌ -أيضًا-؛ كما استعمله الشارحُ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (تَنْزِعُ بآياتٍ).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد سمعتَ كلام بِشر، وتَسويتَه فيما بيني وبينه، ولقد فرَّق اللهُ فيما بيني وبينه، وأخبرَ أنَّا علىٰ غير السَّواءِ!

قال المأمونُ: وأين ذلك لك من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؟!

قلتُ: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩].

فأنا -واللهِ يا أميرَ المؤمنين- أعلمُ أنَّ الذي أُنزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحق، وأومنُ به، وبشرٌ يشهدُ علىٰ نفسه أنَّه لا يعلمُ ذلك، ولا يَعقله، ولا يقبلهُ، ولا هو ممَّا يقومُ لي به عليه حجة، فلم يقل كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، ولا كما علَّمَ نبيَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولَه، ولا كما قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا كما قالتِ الملائكةُ، ولا كما قال المؤمنون، ولا كما قال أهل الكتاب.

ولقد أخبر اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن جَهْله، وأزالَ عنه التذكرة، وأخرجه عن جملة أُولي الألباب، لكنَّ أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- لما خَصَّهُ اللهُ به من الفضل والسُّؤْدُدِ[1]، ورَزَقَهُ من دقةِ الفهم، وكثرة العلم، والمعرفة باللُّغة؛ عَقَلَ عن الله عَزَّوَجَلَّ قَوْلَه، وعَرَفَ ما أراد به، وما عَنىٰ به؛ فَقَبِلَهُ واستحسنه ممَّن انتزع به بين يديه، وأظهر قَبُولَه والرِّضا بقوله].

الشرح

يقول عبدُ العزيز للمأمون: سمعتَ كلامَ بِشر، وتسويته بيني وبينه، وقد فرَّق اللهُ تعالىٰ بيني وبينه، أخبر سُبحانه أنَّا علىٰ غيرِ سواءٍ!

(١) السؤدد: المجد والشرف. ينظر: تاج العروس (٨/ ٢٢٤): (س و د).

قال: أين ذلك في كتاب اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟!

قلت: هذه الآية: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾؛ هل هما سواءٌ؟! الذي يَعلمُ أنه الحق، والذي هو أعمىٰ؟! ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩].

أنا واللهِ يا أميرَ المؤمنين أعلمُ وأعتقدُ أنَّ الذي أُنزل عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحَقُّ، وأؤمنُ بهِ؛ وبِشرٌ يشهد علىٰ نفسه أنَّه لا يعلم ذلك ولا يَعْقِله ولا يَقبله، أعوذ باللهِ! ولا هو ممَّا يقومُ لي به عليه حُجَّة، هذه الآياتُ دَلالتُها صريحة، ومع ذلك لَم يقل كما قال الله عَزَّوَجَلَّ، ولا كما علَّمَ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقولَه: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة:٢٨٥]، ولا كما قال موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا كما قالتِ الملائكَة: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، ولا كما قال المؤمنونَ، ولا كما قال أَهلُ الكتاب في الآياتِ السابقة.

أخبر اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن جَهْله، وأزالَ عنه التذكرة، كمن لَا يَعْلَمُ.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩]، أخرجه من جملة أولي الألبابِ(١)!

لكنَّ أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه-، لما خَصَّهُ اللهُ تعالىٰ بالفضل وَالسُّؤْدد، ورزقه دِقة الفهم، وكثرةِ العلم، والمعرفة باللُّغةِ(٢)؛ عَقَلَ عن الله عَزَّوَجَلَّ كلامَه، وعَرَفَ ما أراد به، وما عنَىٰ به؛ فَقَبِلَه واستحسنه، ممَّن انتزع به بين يديه، وأظهرَ قبولَه والرِّضَا به.

يَمْدَحُ المأمونَ!

---

(١) ينظر: الإبانة الكبرىٰ (٦/ ١٩٣).

(٢) قال الذهبي في تاريخ الإسلام (٥/ ٣٥١) -عن المأمون-: برع في الفقه والعربية وأيام الناس.

قال راوي المناظرة:

[فقال بِشرٌ: يا أميرَ المؤمنين، قد أقرَّ بين يديك أَنَّ القرآن شيء، فليكن عنده كيف شاء، فقد اتفقنا على أنه شيءٌ، وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ بنصِّ التنزيل: إنه ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:١٠٢].

وهذه لفظةٌ لم تدع شيئًا من الأشياء إلَّا أَدخلته في الخلقِ، ولا يخرج عنها شيءٌ يُنسب إلى الشيء؛ لأنها لفظةٌ استقصت الأشياء، وأتتْ عليها، ممَّا ذكره الله تعالى وممَّا لم يذكرها؛ فصارَ القرآن مخلوقًا بنصِّ التنزيل بلا تأويل ولا تفسيرٍ!].

الشَّرْحُ

هذه يردِّدُها بِشرٌ دائمًا؛ ليحتجَّ بها.

أقرّ بين يديك أنَّ القُرآنَ شَيءٌ، نعم شَيءٌ لا كالأشياء، فليكن عنده كيف شاء، يقول: اتفقنا على أنَّه شيْء، اللهُ تعالى يقول: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الأنعام:١٠٢]، لفظة: ﴿كُلِّ شَيۡءٖ﴾ لم تدع شيئًا إلَّا أَدخلتهُ في الخَلقِ، ولا يخرجُ عنها شيءٌ يُنسبُ إلى الشَّيءِ، لَفظةٌ استقصتِ الأشياءَ، وأتتْ عليها، مما ذَكرَ اللهُ وممَّا لم يذكرها، فصارَ القرآنُ مخلوقًا، هكذا عنده! بنصِّ التنزِيلِ بلا تأويل، نعوذ بِاللهِ! ولكنه لم يَفهم.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، عليَّ أن أكسِرَ قولَه وأكذبَه فيما قال بنصِّ التنزيل؛ حتىٰ يرجع أو يقفَ أميرُ المؤمنين علىٰ كَسْرِ قوله وكذبِه وبُطلان مَا ادَّعاه.

فقال: هاتِ ما عندك يا عبدَ العزيز!

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥]، يعني: الريحَ التي أُرسلت علىٰ عادٍ، فهل أبقت الريحُ يا بشرُ شيئًا لم تدمرهُ؟

قال: لا، لم يبق شيءٌ إلَّا دمرته، وقد دمرت كُلَّ شيءٍ كما أخبر اللهُ تعالىٰ؛ لأنه لم يَبْقَ شيءٌ إلا وقد دَخَلَ في هذه اللفظة!

قلتُ: قد أكذَبَ اللهُ مَن قال هذا؛ بقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥]؛ فأَخْبَرَ عنهم أنَّ مساكنهم كانت باقيةً بعد تدميرهم، ومساكنهم أشياءُ كثيرة.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات:٤٢]، وقد أتت الريحُ علىٰ الأرضِ والجبالِ والمساكنِ والشجرِ، وغيرِ ذلك؛ فلم يَصِرْ شيء منها كالرميمِ!

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٢٣]، يعني: بِلْقِيسَ، فكان يجب بقولك يا بشرُ؛ ألَّا يبقىٰ شيءٌ يقعُ عليه اسمُ الشيءِ إلَّا دَخَلَ في هذه اللفظة، وَأُوتِيَتهُ بِلْقِيسُ، وقد بقي مُلكُ سليمان -وهو مئةُ ألف ضِعْفٍ ممَّا أُوتيَته- لم يَدْخُلُ في هذه اللفظة!

فهـذا كلـه ممـا يَكسِـرُ قولـك، ويَدْحَـضُ حُجتـك، ومثـلُ هـذا في القـرآن كثيـر ممـا يُبْطِـلُ قولَـك، ولكنـي أبـدأ بمـا هـو أشـنعُ مـن ذلـك، وأظهـرُ فضيحـةً لمذهبِـك، وأَدْفَـعُ لبدعتـك؛ قـال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقـرة:٢٥٥].

وقـال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦]، **وقـال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هـود:١٤]، **وقـال** عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١].

فأخبرَنـا اللهُ عَزَّوَجَلَّ **بأخبـارٍ كثيـرةٍ في كِتَابِـهِ أنَّ لـه عِلمًـا؛ أَفتُقِـرُّ يـا بِشـرُ أنَّ لله عِلْمًـا كمـا أخبرنـا أو تخالـف التنزيـل؟!].**

الشَّرحُ

قـرَّرَ عبدُ العزيـزِ مـا تقـدَّم مـن الـكلام، فقـال: أنـا أكسِـرُ قولَـه وأكذبـه بمـا قـال، بنـصِّ التنزيـل أَنَّ القـرآن شـيء، لا كالأشـياء حتـىٰ يرجـعَ أو يقـفَ، أو يقـفَ أَميـرُ المؤمنيـن علـىٰ كَسْـرِ قولـه وكذِبـه وبطـلانِ مـا ادَّعـاهُ.

قـال المأمـونُ: هـاتِ مـا عنـدك يـا عبدَ العزيـز، فاحتـجَّ بهـذه الآيـة: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقـاف:٢٥] الريـحُ التـي أُرسِـلت علـىٰ عـادٍ، هَـل أبقـت شـيئًا يـا بِشـرُ مـا دمرتـهُ؟ فيقـول: لا، لـم يَبـقَ شـيءٌ إلَّا دمرتـه، أخبرَ اللهُ أنهـا تدمـرُ كُلَّ شـيء فلـم يبـقَ شَـيءٌ إلَّا وقـد دخـل في هـذه اللفظـة، هكـذا يقولـه بِشـرٌ!

قـال عبدُ العزيـز: أكـذَبَ اللهُ مَـن قـال بهـذا، قـال تعالـىٰ: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقـاف:٢٥]. فأَخـبرَ عنهـم أنَّ مسـاكنهم باقيـةٌ بعـد تدميرهـم، ومسـاكنُهم أشـياء.

اللهُ تعالىٰ قال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ومع ذلك المساكنُ باقية! ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾، دَلَّ علىٰ أنَّها ما دَمَّرَتِ المساكنَ، مبنية وقد تكون مَبنيةً مُحكمَةً، ومع ذلك ما دمرتها الريحُ، إنَّما تدمِّرُ كُلَّ شيءٍ يقبلُ التدميرَ.

كذلك في سورة الذاريات: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ﴾ [الذاريات:٤٢]. (مِن شَيْءٍ).

أتتْ الرِّيحُ علىٰ الأرضِ، وعلىٰ الجبالِ، وعلىٰ المساكن والشجر، وغيرِ ذلك؛ ما صار شيءٌ منها كالرميم، إنَّما أتت الريحُ عليهم أَنْفُسِهم.

وكذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قِصَّة بِلْقِيسَ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[النمل:٢٣]، فعَلَىٰ قولك يا بِشرُ، يجبُ ألَّا يبقىٰ شيءٌ يقعُ عليه اسم الشيءِ إلَّا دَخَلَ في هذه اللفظة، وأُوتِيَتْهُ بِلْقِيسُ! فهل أوتيتْ مثل مُلك سُليمان: الريح التي سخرها اللهُ، والشياطين الذين سخرهم اللهُ لسليمانَ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧]؟![1].

ما أوتيَتْ ذلكَ؛ لأنه قال: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص:٣٥].

ما أوتيت مِن كُلِّ شَيءٍ[2]. وقرأتُ في «فتح الباري» لابنِ حَجَرٍ أنَّه

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٧٣).

(٢) قال سماحة الشيخ ابن جبرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الرياض الندية (٢/ ٢٩): (قوله تعالىٰ في قصة بلقيس ملكة اليمن: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾[النمل:٢٣]، معلوم أن هناك أشياءَ لم تؤت مِنْهَا كالذي أُوتي سليمان، فإنه أُوتي ذلك الصَّرْح، وأُوتيَ الرِّيح الَّتِي غُدوّها شهر ورَواحها شهر، وسُخِّرَتْ لَهُ الشياطينُ كلّ بنَّاء وغوَّاص؛ ومع ذلك ما أُوتيتْ مثل ذلك، وهي في زَمَنِه، وما تجاوز ملكها جهتها الَّتِي هي بِهَا؛ فإذًا قوله تعالىٰ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ عامٌّ، وَلَكِنَّهُ مخصوصٌ بما يؤتاه مِثْلها).

يقـولُ: مـا أوتيَـتْ مثـل مـا أوتيَ الرجـالُ، يعنـي: ليـس لهـا ذَكَـرٌ، وليـس لهـا لِحْيـةٌ(١).

هَل أوتيت من كُلِّ شيءٍ؟! فاتَ عليها أشياءُ.

يقولُ: مئة ألف ضِعْف ما أوتيَته، لم يدخل في هذه اللفظة.

هـذا كُلُّهُ مما يَكْسِرُ قَوْلَـك، ويَدْحَـضُ حُجَّتك، مثلُ هـذا في القرآن كثير، يُبطـلُ قولـك، ولكنـي أبـدأ بمـا هـو أشـنعُ وأظهـرُ، وأشـدُّ فضيحـةً لمذهبِـك، وأدْفـعُ لبدعتِك، فقـد أثبـتَ اللهُ تعالـىٰ لنفسِـه عِلْمًـا كمـا في قولـه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقولِـه: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦]، وقولِـه: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هـود:١٤]، وقولِـه: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر:١١].

أخبرَ تعالىٰ بأخبارٍ كَثيرةٍ أنَّ له عِلْمًا.

أفتقولُ يا بِشرُ: إنَّ لله عِلْمًا كما أخبرَنا، أو تخالفُ التنزيل؟!

لا شـكَّ أَنَّ القـرآنَ مـن عِلْـمِ الله تعالـىٰ، لمَّـا جادَلـوا الإمـامَ أحمـدَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ احتـجَّ عليهـم بـأنَّ الْقُرْآنَ مـن عِلْـمِ الله، وأنَّ عِلْـمَ الله صفـةٌ مِـن صفاتـه(٢)، جـاءَه بعـض المُتشـددينَ -نعـوذ بِـاللهِ!- فقـال: وأنـا أقـول: إنَّ علـمَ الله مخلـوقٌ! فقـال الإمـامُ أحمـدُ: قَـدْ كَفَـرَ مَـنْ قـال ذلـك؛ عِلْـمُ الله صفـةٌ مـن صِفاتِـهِ، وصِفاتُـه ليسـتْ مخلوقـةً(٣).

---

(١) لم نقف عليه من قول ابن حجر. وينظر: الخصائص (٢/ ٤٥٨)، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٧٢).

(٢) ينظر: السُنَّة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٢).

(٣) ينظر: الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٦/ ٢٤٩).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فحَادَ بشرٌ عن جوابي! وأَبَىٰ أن يُصرِّحَ بالكفر فيقول: «ليس لله عِلْمٌ»، فيكون قد رَدَّ نصَّ التنزيل فتتبيَّن ضلالَتُه وكفره، وأَبىٰ أن يقول: «إنَّ لله عِلْمًا»، فأَسْأَلُهُ عن عِلْمِ الله: هل هو داخلٌ في الأشياء المَخلوقة أم لا؟ وعَلِمَ ما أُرِيدُ به، وما يَلْزَمُهُ في ذلك مِن كَسْرِ قَوْلِه وإبطالِ حُجَّتِه، فاجْتَلَبَ كلامًا لَمْ أسأله عنه.

فقال: معنىٰ عِلْمِهِ أن لا يجهل.

فأقبلتُ علىٰ المأمونُ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا يكونُ الخبرُ عن المعنىٰ قبل الإقرارِ بالشيءِ، وإنما يكونُ الإقرارُ بالشيءِ، ثم الخبرُ عن معناهُ، فليُقِرَّ بشرٌ أنَّ لله علمًا كما أخبَرَنا في كتابه، فإن سألتُه عن معنىٰ العلم -وهذا مما لا أسأله عنه- فليجبني أنَّ اللهَ لا يجهَلُ، وقد حَادَ بشرٌ يا أميرَ المؤمنين عن جوابِي].

الشرح

لقد حادَ بِشرٌ عن جوابي، وهذا سببُ تسميتِهَا: «الحَيْدَة»[1].

أَبىٰ وامتنع بشرٌ أن يُصرِّح بالكفرِ؛ فيقول: ليس لله علمٌ، ولكن قال: اللهُ لا يَجْهَلُ! رَدَّ نصَّ التنزيل في هذه الآياتِ، فتبيَّنتْ ضلالتُه وكفرُه، وأَبَىٰ أن يقولَ: إنَّ لله علمًا! أَسألهُ عن علم الله، هَل هو داخل في الأشياء المَخلوقة أم لا؟ عَلِمَ ما أريدُ وَفَطِنَ وما يلزمه في ذلك من كَسْر قوله، وإبطالِ حُجّته،

(١) حاد عن الشيء حَيْدَةً: مالَ وعَدَلَ. ينظر: تاج العروس (ح ي د): (٨/ ٤٧).

فاجْتلَبَ كلامًا ما سألتُه عنه؛ فقال: معنىٰ علمِه: أنه لا يَجْهَلُ! لأنَّ الْجَهْمِيَّةَ ونحوَهم يُبنىٰ كلامهم علىٰ النَّفْيِ المُفَصَّلِ والإثباتِ المُجْمَلِ، وهذا خِلافُ ما جاء في القرآن(١).

فأقبلتُ علىٰ المأمون، وقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا يكونُ الخبرُ عن المعنىٰ قبل الإقرارِ بالشيء؛ أي: لَا بُدَّ أن تُقِرَّ؛ إنما يكونُ الإقرارُ بالشيء، ثم الخبرُ عن معناه، فليُقِرَّ بِشرٌ أنَّ لله علمًا كما أَخْبَرَنا اللهُ تعالىٰ في كتابه.

فإن سألتُهُ عن معنىٰ العلم -وهذا ممَّا لا أسألهُ عنه- فليجبني أنَّ اللهَ لا يجهلُ، فقد حادَ بِشرٌ عن جوابي!

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٦٩)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٢٠).

قال راوي المناظرة:

[فقال بِشرٌ: وهل تَعرِفُ الحَيدَة؟

قلتُ: نعم، إني لأعرفُ الحَيدة في كتاب اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وهي: سبيلُ الكفارِ التي اتَّبَعْتَهَا! فقال لي المأمونُ: يا عبدَ العزيزِ، هل تُعرفُ الحَيدة في كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟ قلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين؟! وفي سُنَّة المسلمينَ، وفي لغة العرب؛ فقال: وأين هي من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؟! فقلتُ: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ في قصة إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قال لقومِه: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء: ٧٢-٧٣]، وإنما قال لهم إبراهيمُ هذا؛ لِيُكَذِّبَهُم ويعيبَ آلهتَهم، ويُسفِّه أحلامَهم، فعرفوا ما أراد، وأنهم بين أمرين:

١- إمَّا أن يقولوا: نعم يسمعوننا حين ندعو، وينفعوننا ويضروننا، فيشهدُ عليهم بلغة قومِهم أنهم قد كَذبُوا.

٢- أو يقولوا: لا يسمعوننا حين ندعو، ولا ينفعوننا، ولا يضروننا؛ فينفوا عن آلهتِهم القُدرة!

وعلِموا أن الحُجة لإبراهيمَ -في أيِّ القولين أجابوه- عليهم قائمة، فحَادوا عن كلامه واجتلبُوا كلامًا من غير ما سألهم عنه فقالوا: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]! ولم يكن هذا جوابًا لمسألة إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ!

وأمَّا الحَيدة في سُنَّةِ المسلمين: فيُروىٰ عن عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لمُعاوية بنِ أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد قدِمَ عليه، فنظرَ إليه يكاد يَتفقأُ شَحْمًا[1].

فقال: يا معاويةُ، ما هذه الشحمة لعلَّها من نومةِ الضحىٰ وردِّ الخصوم؟

(١) أي: سَمِنَ. ينظر: أساس البلاغة (ف ت ق). وقد فَسَّرَهُ الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ بِرَكِبَهُ اللَّحْمُ. والمعنىٰ واحد. وفي الأثر: (أتىٰ رجلٌ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو ينهج قد ركبه اللحم). ينظر: الزهد (ص٣٢٣).

فقال لهُ معاويةُ: يا أميرَ المؤمنين، رحمك اللهُ، علِّمني وفهِّمني[(١)].

ولم يكن هذا جوابًا لقَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإنما حادَ عن جوابه؛ لِعِلْمِهِ بما فيه، واجتلبَ كلامًا غيره، فأجاب به!

وأمَّا الحَيدة في كلامِ العرب فقول امرِئ القيس[(٢)]:

تَقُولُ وقد مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعًا: عَقَرْتَ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ!
فقُلْتُ لها: سِيرِي وأَرْخِي زِمَامَهُ ولا تُبْعِدِينِي من جَنَاكِ المُعَلَّلِ!

ولم يكن هذا جوابًا لكلامها، وإنَّما حادَ عن جوابها، واجْتلب كلامًا غيرَه!

قال: فأقبل المأمونُ على بشرٍ، فقال: يَأَبَى عليك عبدُ العزيز إلَّا أن تُقِرَّ أنَّ لله علمًا فأجِبْه، ولا تَحِدْ عن جوابِه.

فقال بِشرٌ: قد أجَبْتُهُ وأن معنى العلمَ: أنه لا يجهلُ. وهذا جوابه، ولكنَّه يتعنتُ[(٣)]].

الشَّرْحُ

قال بِشرٌ: وهل تَعرِفُ الحَيْدَةَ؟ قال عبدُ العزيز: نعم، أعرفُ الحَيدة في كتاب الله، وهي سبيلُ الكفار التي اتبعتها.

فقال المَأْمُونُ لِعبدِ العزيز: هل تعرفُ الحَيدة في كتابِ الله؟

(١) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٦/ ٢٢٥).

(٢) ديوان امرئ القيس (ص٢٩). والمعلّل قد رُوِيَ في البيت بكَسْرِ اللاَّم وفَتْحِها.

(٣) تعنته تَعَنُّتًا، إذا سأله عن شيءٍ أراد به اللَّبْسَ عليه والمَشقةَ. ينظر: مقاييس اللغة (٤/ ١٥٠): (ع ن ت)، وتاج العروس (٥/ ١٢): (ع ن ت). قال المُنَاوِيُّ في التوقيف (ص١٠٢): (التَّعَنُّت: إدخال المشقة والأذى على الغير).

قلتُ: نعم، وفي سُنَّةِ المسلمين، ولغةِ العرب:

* أَوْرَدَ في القرآنِ الآيةَ من سورة الشعراءِ قولَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء:٧٢-٧٣]؟!

هذه الكلماتُ يريدُ ليُكذبَهم، يَعِيبُ بذلك آلهتَهم، ويسفِّه أحلامَهم، عَرَفوا ما أراد، فلو قالوا: يَسمعوننا أو ينفعُوننا ويَضرونَنا، لكَذَبوا، فيشهدُ عليهم بلغة قومِهم أنَّهم كَذبوا، ولو قالوا: لا يسمعوننا، ولا ينفعوننا، ولا يضروننا، نَفَوا عن آلهتِهم القُدرة.

فيقالُ: ما فائدتُهم؟ علموا أنَّ الحُجَّة لإبراهيمَ، فلذلك حَادُوا عن كلامه، واجتلبوا كلامًا غيره، وهو قوله تعالىٰ عنهم: ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء:٧٤]، هل هذا جوابٌ؟ ليس هذا جوابًا بل هذه حَيْدَةٌ.

* وأمَّا الحَيدة في سُنَّةِ المسلمين: ففي قصَّة عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين قدِمَ عليه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد رَكِبَه اللحمُ، يكاد يتفقأُ شَحْمًا، قال: يا معاوية، ما هذه الشحمة؟ لعلها من نومةِ الضحَىٰ وردِّ الخصومِ. يعني: رَكِبكَ هذا اللحمُ بسبب هذا.

فقال معاويةُ: رحمك اللهُ علمني وفهمنِي.

فهل هذا جوابٌ؟ ليس جوابًا لكلام عُمَرَ، ولكن حَاد عن الجوابِ؛ لِعلمه بما فيه!

* أوردَ أيضًا ما يدلُّ علىٰ الحَيدة من كلامِ العربِ في هذه القصيدةِ المشهورةِ بمُعَلَّقَةِ امرئ القيس:

تقـول وقـد مَـالَ الْغَبِيـطُ بِنَـا مَعًـا: عَقَرْتَ بَعِيـرِي يَـا امْـرَأَ الْقَيْسِ فَانْزِلِ!
فقُلْـتُ لهـا: سِـيرِي وأَرْخِـي زِمَامَـهُ ولا تُبْعِدِينِـي مِـن جَنَـاكِ المُـعَلَّلِ!

كأنه راكبٌ علىٰ الجَمَلِ ويَميل من جهتِه. والغبِيط الذي تَرْكبُ فيه[١].

هـذا حَيـدة؛ لأنهـا قالـت: عقـرتَ بعيـرِي فَانـزِل، ليـس هـذا جوابًـا لكلامِهـا! وإنمـا حَـادَ عـن جوابِهـا، واجتلـبَ كلامًـا غيـره.

يقـول: فأقبَـل المأمـونُ علـىٰ بشـرٍ، فقـال: يَأْبَـىٰ عليـك عبدُ العزيـز إلَّا أن تُقِـرَّ أنَّ لله عِلْمًـا، فأجِبْـهُ، ولا تَحِـدْ عـن جوابِـهِ، لكـنَّ بِشـرًا أصـرَّ وحَـادَ.

يقول: أجبته أن معنىٰ العلمَ: لا يجهلُ! وهذا جوابه، ولكنَّه يتعنت.

وهذا كَذِبٌ منه علىٰ عبد العزيز.

(١) الغبيـط: ضـرب مـن الهـوادج. ينظـر: شـرح المعلقـات للـزوزني (ص٤٢). قـال في التحريـر والتنويـر (٨/ ٢٢٥): وعقـرت بعيـري، أي: جرحتـه باحتـكاك الغبيـط في ظهـره مـن ميلـه إلـىٰ جهـة.

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: فقلـتُ: يـا أميـرَ المؤمنيـن، صـدق؛ إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يجهـلُ، ولـم تكـن مسـألتي إيَّـاه عـن هـذا! إنمـا سـألته: أن يُقِـرَّ بِالعلـمِ الـذي أخبـرَ اللهُ تعالـىٰ عنـه في كتابـه، وأَثْبَتَـهُ لنفسِـه، ولـم أسـألهُ عـن الجهـلِ فينفِـي الجهـلَ عن الله تعالـىٰ! فليُقِـرَّ أنَّ لله علمًـا، ولينـفِ أنَّ اللهَ لا يجهـلُ].

الشرح

يقـول عبدُ العزيز: صَدَقَ في قولـه: (إنَّ الله لا يجهـل)، ونحـن نُقِـرُّ أنَّ اللهَ لا يجهـلُ، ولكـن هـل للهُ عِلـمٌ؟ هـل اللهُ تعالـىٰ يَعْلَـمُ؟ ولـم تكـن مسـألتي إيَّـاه عـن الجَهْـلِ، سـألته أن يُقِـرَّ ويعـترفَ بِالْعِلْـمِ الـذي أخـبرَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بـه في كتابـهِ، وأثبتَـه لنفسِـه، مـا سـألتُه عـن الجهـلِ، حتـىٰ ينفِـيَ الجهـلَ عـن الله، هـل يُقِـرُّ أنَّ لله عِلْمًـا؟ ثـم بعـد ذلـك يَنفِـي أنَّ اللهَ لا يجهـلُ.

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: ثـم التفـتُّ إلـىٰ بشـرٍ فقلـتُ: لَا بُـدَّ مـن أن تقـولَ إنَّ لله علمًـا كمـا أخبـرَ، أو تـردَّ أخبـارَ الله بنـصِّ التنزيـل، أو يقـف أميـرُ المؤمنيـن علـىٰ حَيْدَتِـكَ عـن جوابـي.

فجعـل يقـول: يـا أميـرَ المؤمنيـن، إن نَفْـيَ الجهـل عنه هـو جَوَابُه، وهـو الذي عنَـاهُ اللهُ في كتابـه، وهـو والـذي يُطالبني به واحـدٌ، إلا أنَّ اللَّفظيـنِ مختلفان!].

الشَّرْحُ

يعتـذرُ عبدُ العزيـز، ويقـول: لَا بُـدَّ أن تقـول: إنَّ لله علمًـا، كمـا أخـبرَ اللهُ، أو تـردَّ الأخبـارَ الكثيـرةَ الـواردةَ في صفـةِ العلـمِ، أو يقـف علـىٰ حَيدتـك؛ جعـلَ بشـرٌ يقـول: إنَّ نَفْـيَ الجهـلِ عنـه هـو جوابُـه، إذا قلنـا: لا يجهـلُ، هـذا هـو الـذي عَنَـاهُ اللهُ في كتابـه، وهـو والـذي يطالبنـي بـه واحـدٌ، إلا أنَّ اللَّفْظيـنِ مختلفـانِ، وهـذا حَيْـدَةٌ وكَـذِبٌ مِـن بِشْـرٍ.

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: فقلـتُ: يـا أميـرَ المؤمنيـن، إنَّ نَفْـيَ السُّـوء لا تَثْبُـتُ بـه الْمِدْحَـةُ!

قال بشرٌ: وكيف ذلك؟!

قلت: إن قولي: هذه الأسطوانةُ لا تَجْهَلُ؛ ليس هو إثباتَ العِلْمِ لها!].

الشَّرح

قـرَّرَ عبدُ العزيـز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ نَفْـيَ السُّـوء لا يلـزمُ منـه المَـدْحُ[1]، يعنـي: أنَّ الإنسـانَ إذا نُفِيَـتْ عنـه النقائـصُ لـم يَثْبُـتْ لـهُ الْمَـدْحُ، إذا قِيـلَ: فـلانٌ لا يجهـلُ، هـل يلـزم أنَّـه عالـمٌ؟ لا يلـزمُ، إذا قيـل: إنَّ فلانًـا لا يبخـلُ، هـل يلـزمُ أنَّـه سَـخِيٌّ؟ لا يلـزمُ ذلـك.

نَفْيُ السوء لا تثبتُ به الْمِدْحَةُ[2]، كيف ذلك؟

أجاب: إنَّ قولي: هذه الأُسطوانة لا تجهلُ؛ ليس هو إثبات العلمِ لها!

---

(١) ينظر: التدمرية (ص٥٧، ٥٨)، وشرح الطحاوية (١/ ٦٩).

(٢) مَدَحَه مَدْحًا ومِدْحةً: أَحْسَنَ الثناءَ عليه، ووَصَفَهُ بالجميل. ينظر: تاج العروس (٧/ ١١١): (م د ح).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: ثم أقبلتُ على المأمونِ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إن اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يمدح في كتابه مَلَكًا ولا نبيًّا ولا مؤمنًا بنفْي الجهلِ لِيَدُلَّ على إثباتِ العلم، وإنما مدَحهم بِالعلمِ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١١،١٢].

ولم يقُل: لا يجهلونَ!

وقال عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[التوبة:٤٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[فاطر:٢٨].

ولم يقُل: الذين لا يجهلونَ!

فهذا قول اللهِ تعالى ومِدْحَتُهُ للملائكةِ، وللنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وللمؤمنينَ، فَمَنْ أَثْبَتَ العلمَ نَفَى الجَهْلَ، ومَنْ نَفَى الجهلَ لم يُثْبِتِ العِلْمَ، وعلى الخلق جميعًا أن يُثْبِتُوا ما أَثْبَتَ اللهُ، ويَنفوا ما نفَى اللهُ، ويُمْسِكُوا عمَّا أمسَكَ اللهُ، فما اختارَ بِشرٌ يا أميرَ المؤمنين من حيثُ اختارَ اللهُ لنفسه، ولا من حيث اختارَ للملائكةِ، ولا من حيث اختارَ لنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من حيث اختارَ لعباده المؤمنين، فَمَنْ أَجْهَلُ ممَّن اختارَ لنفسه غير ما اختارَ اللهُ لنفسِه، ولملائكتِه، ولأنبيائِه، ولعباده المؤمنين؟!].

الشَّرحُ

يقول عبد العزيز: إنَّ اللهَ تعالى لم يمدح في كتابه مَلَكًا ولا نبيًّا ولا مؤمنًا بنفْي الجهل، لِيَدُلَّ على إثبات العلمِ، مَدَحهم بالعلم:

* في الملائكة: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٢].

لم يقل: لا يجهلونَ، بل أثبت أنهم يعلمون.

* وكذلك قال لنبيِّه: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة:٤٣]، لم يقل: ولا تَجْهَل.

* كذلك: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، لم يقل: الذين لا يجهلون، هذا مدحٌ بإثبات العلم، مَدَحَ اللهُ تعالىٰ ملائكتَهُ ونبيَّه والمؤمنينَ.

مَنْ أثبَت العلمَ نَفَىٰ الجهلَ، ومَنْ نَفَىٰ الجهلَ لم يُثْبِتِ العِلْمَ، فعَلَىٰ الخَلق جميعًا أن يُثْبِتُوا ما أثبتَهُ اللهُ، ويَنفُوا ما نفىٰ اللهُ، وأن يُمْسِكُوا عَمَّا أمسكَ اللهُ؛ فاللهُ تعالىٰ أَثْبَتَ لنفسه العلمَ.

فما اختارَ بِشرٌ مِن حيث اختارَ اللهُ لنفسِهِ، ولا من حيث اختارَ للملائكةِ، ولا من حيث اختار لنبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ما اختار لِعبَادِهِ المؤمنينَ العلماء!

مَنْ أَجْهَلُ ممَّن اختارَ لنفسه غير مَا اختاره اللهُ تعالىٰ لِنَفْسِهِ؟! فاللهُ تعالىٰ أثبَت لنفسه العلمَ، وأثبته للملائكةِ، وأثبته للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأثبته للعُلماءِ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقال لي المأمونُ: فإذا قال بِشرٌ: «إنَّ لله عِلْمًا»، وأقرَّ بذلك؛ فيكون ماذا؟

قلتُ: اسألْهُ يا أميرَ المؤمنين عن عِلْمِ الله: هل هو داخلٌ في الأشياءِ المَخلوقةِ؟ حين احتجَّ بقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الأنعام:١٠٢]؛ فزَعَمَ أنه لم يبقَ شيء إلا وقد أتَىٰ عليه هذا الخبرُ، فإن قال: نعم؛ فقد دَخَلَ في الأشياءِ المَخلوقة؛ فشبَّه اللهَ عَزَّوَجَلَّ بخَلْقِهِ الذين أخرجهم من بطونِ أُمهاتِهم لا يعلمون شيئًا، وكل مَنْ تقدَّمَ وُجُودهُ قبل عِلْمِه فقد دَخَلَ عليه الجهلُ فيما بين وُجودِهِ إلىٰ حُدوثِ علمِه، وهذه صفةُ المخلوقين. واللهُ عَزَّوَجَلَّ أعظمُ وأجلُّ مِن أن يوصفَ بذلك أو يُنْسَبَ إليه، ومَن قال ذلكَ فقد كَفَرَ وحلَّ دَمُه وَوَجَبَ علىٰ أميرِ المؤمنين قَتْلُهُ.

وإن قال: إنَّ عِلْمَ الله خارج عن جملة الأشياء، وغيرُ داخل فيها، كما أن قوله خارج عن الأشياءِ وغَير داخل فيها؛ (فمن ثَمَّ تَرَكَ قَوْلَهُ، وضَلَّ يا أميرَ المؤمنين، وثبتت عليه الحُجةُ فيها)(١)].

فقال المأمونُ: أحسنت أحسنت يا عبدَ العزيز، وإنما فَرَّ بِشرٌ أن يُجيبك في هذه المسألة لهذا!

ثم أَقْبَلَ عليَّ المأمونُ، وقال: يا عبدَ العزيزِ، تقول: إنَّ اللهَ عالمٌ؟

فقلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين.

---

(١) في طبعة المجمع العلمي ما بين القوسين: (فقد رجع عن قوله، وأكذب نفسه). والمعنىٰ واضح علىٰ أية حالٍ. ولله الحمد.

قال: فتقول: إنَّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ؟

قال: قلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين.

قال: فتقول: إنَّ لله سمعًا وبصرًا، كما قلت: إنَّ له علمًا؟

فقلتُ: لا أُطْلِقُ هذا هكذا يا أميرَ المؤمنين.

فقال: أيُّ فرقٍ بين هذَين؟!

فأقبَل بشرٌ يقول: يا أميرَ المؤمنين، يا أفقهَ الناس، ويا أعلمَ الناس! يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[الأنبياء:١٨]!].

الشَّرح

قال المأمونُ: إذا قال بشرٌ: إنَّ لله علمًا، وأقرَّ بذلك، فماذا يكونُ؟ فقال عبدُ العزيز: اسأله عن علمِ الله: هل هو داخلٌ في الأشياء المَخلوقة؟ حين احتجَّ بقوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[الأنعام:١٠٢]، فزَعَمَ أنَّه لم يَبقَ شيء إلا وقد أتىٰ عليه هذا الخبرُ، هل علمُ الله تعالىٰ مَخلوقٌ؟ إذا قال: نعم، دَخَلَ في الأشياء المَخلوقة؛ فيكون شَبَّهَ اللهَ بخَلْقِه الذين أَخْرَجَهم في قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٨].

فكُلُّ من تقدَّمَ وجودُهُ قبل علمِهِ، دَخَلَ عليه الجهلُ قبل وجودِهِ إلىٰ حدوثِ علمِه؛ معنىٰ ذلك: أنَّ اللهَ كان لا يَجهلُ.

الإنسانُ خرج إلىٰ الدنيا وهو لا يعلم شيئًا، ثم تعلم بعد ذلك، فصارَ عنده علمٌ.

يقول: من تقدَّمَ وجودُه قبلَ علمِه فقد دخل عليه الجهلُ فيما بين

وُجُودِهِ إلىٰ حُدوثِ عِلْمِه؛ بين وِلادتِهِ إلىٰ أن يَحْدُثَ لهُ عِلْمٌ، وهذه صفة المخلوقينَ، واللهُ أعظم وأجلُّ مِن أن يوصف بذلك، أو يُنسبَ إليه.

فمن قال: إنَّ اللهَ كان جاهلًا ثم تعلم -تعالىٰ اللهُ عن ذلك-؛ فقد كَفَرَ، وحلَّ دمُه، ووجبَ علىٰ أميرِ المؤمنين قَتْلُهُ، إن قال: إنَّ عِلْمَ الله خارجٌ عن جُملة الأشياء، غير داخلٍ فيها، كما أنَّ كَلامَه خارجٌ عن الأشياءِ غيرُ داخلٍ فيها؛ فمن ثم تَرَكَ قوله، وضلَّ يا أميرَ المؤمنين، وثبتت عليه الحُجة.

قال المأمونُ: أحسنت يا عبدَ العزيز، إنَّما فَرَّ بِشرٌ أن يُجيبك في هذه المَسألة؛ لهذا.

ثم أقبل المأمونُ علىٰ عبدِ العزيزِ فقال له: تقول: إنَّ اللهَ عالمٌ؟

قلتُ: نعم.

تقول: إنَّ اللهَ سميعٌ بصيرٌ؟

قلتُ: نعم.

تقول: إنَّ لله سمعًا وبصرًا كما قلتَ: إنَّ له علمًا؟

قلتُ: لا أُطلقُ هذا هكذا، يا أميرَ المؤمنين، يعني: لا أطلق أنَّ لله سمعًا وبصرًا مثل بصرِ المخلوق.

قال: أيُّ فرقٍ بين هذين؟

فأقبَل بِشرٌ يقولُ: يا أمير المؤمنين، يا أفقهَ الناس، يا أعلمَ الناس[1]! يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ [الأنبياء:١٨].

هكذا يريدُ أن يَدْحَضَ هذه الحُجةَ بهذه الآيةِ!

(١) كذب المريسي؛ فليس المأمون أفقه الناس ولا أعلمهم.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد قدَّمتُ إليك فيما احتججتُ به أنَّ على الناس كلهم جميعًا أن يثبتوا ما أثبتَ اللهُ، وينفوا ما نفى اللهُ، ويُمْسِكُوا عمَّا أمسك اللهُ عنه، فأخبرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّ له علمًا بقوله: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود:١٤]؛ فقلتُ: إنَّ له علمًا كما قال، وأخبرنا أنه سميعٌ بصيرٌ بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]؛ فقلتُ: إنَّه سميعٌ بصيرٌ كما قال، ولم يخبرنا أنَّ له سمعًا وبصرًا، فقلتُ كما قال، وأمسكتُ عند إمساكِهِ.

فأقبل عليهم المأمونُ فقال: ما هو بمشبه، فلا تكذبُوا عليه.

فقال بشرٌ: قد زعمتَ أنَّ لله علمًا، فأيُّ شيءٍ هو علمُ الله، وما معنى علمُ الله؟

فقلتُ له: هذا مما تفرَّدَ اللهُ بعلمه ومعرفتِه وحَجَبَ عن الخلق جميعًا علمَهُ، فلم يُخبِر به مَلَكًا مُقرَّبًا ولا نَبِيًّا مرسلًا ولا عَلِمَه أحدٌ قبلي، ولا يَعلمُه أحدٌ بعدي؛ لأن عِلْمَ الله أكبرُ وأوسعُ وأعظمُ من أن يَعْلَمَه أحدٌ من خلقِه؛ ألم تسمعْ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٦-٢٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩]، وقال: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان:٢٧].

أتدري يا بِشرُ، ما معنىٰ هذا؟

قال: وأيُّ شَيءٍ هذا مما نحنُ فيه؟

فقال المأمونُ: قل يا عَبد العزيزِ أنت ما معنىٰ هذا؟

قلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- يقول: ولو أنَّ ما في الأرضِ من جميعِ الشَّجر والخشبِ والقَصَبِ أقلامٌ يُكتبُ بها والبحرُ مِدادٌ يَمُدُّه من بَعدِه سبعة أبحر بالمِداد، والخلائقُ كُلُّهم يكتبونَ بهذه الأقلامِ من هذا الشَّجرِ ما نَفِدَتْ كلماتُ الله، فمن يبلغُ عَقْلُهُ أو فَهْمُهُ أو فِكْرُهُ كُنْهَ عظمةِ الله عَزَّوَجَلَّ وسَعَة علمِه وكثرة كلامه؟!

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

فمَن يَحُدُّ هذا أو يصفهُ أو يدعي علمَه؟! وقد عجزت الملائكةُ المقربون عن علمِ ذلك واعترفوا بالعجز: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:٣٤].

فقال بشر: لا بُدَّ أن تقول أيّ شيء هو علمُ الله، أو يقفُ أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- علىٰ حَيْدَتك عن الجواب فأكونُ أنا وأنت في الحَيدة سواء!

فقلتُ: إنما تأمرُني بما نهانِيَ اللهُ عنه، وحرَّمَ عليَّ القولَ به، وتأمرني بما أمرني به الشيطان، ولستُ أعصِي اللهَ عَزَّوَجَلَّ وأرتكب نَهْيَه، وأُطيعُ الشيطانَ، وأتبعُ أمره وأمرَك، إذ قد أمرتماني بمعصية اللهِ وارتكابِ نهْيه!].

الشرح

يقول عبد العزيز الكناني: يا أميرَ المؤمنين، قدَّمتُ إليك فيما احتججتُ به، أنَّ على الناس كلهم جميعًا أن يثبتوا ما أثبتَ اللهُ، وينفوا ما نفى اللهُ، ويُمسكوا عمَّا أمسَك اللهُ عنه، أخبرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّ له عِلْمًا، كما في هذه الآية: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود:١٤]، فَأَثْبَتَ أنه أُنْزِلَ بعلم الله، فقلتُ: إنَّ لهُ عِلْمًا كما قالَ سُبْحَانه، وأَخْبَرَ أنَّه سميعٌ بصيرٌ بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

فقلتُ: إنَّه سميعٌ بصيرٌ كما قال، ولم يُخبرنا أنَّ له سمعًا وبصرًا فقلتُ كما قال، وأمسكتُ عند إمساكه.

قد يُقال: كيف يكونُ سميعًا ولا يكون له سَمْعٌ، وبصيرًا ولا يكونُ له بَصَرٌ؟!

الصحيحُ: أنَّ اللهَ سميعٌ بسَمْعٍ، وبصيرٌ ببصرٍ(١)، وقد أثبتَ اللهُ لنفسه العَيْنَ ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩]، وقال: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤]، وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور:٤٨]، وأثبت له البصرَ بقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، وأثبت أنه يَسْمَعُ، قال تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]، فَذَكَرَهُ بلفظ الماضي: ﴿سَمِعَ ٱللَّهُ﴾، وبلفظ المُضارعِ: ﴿وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ﴾، وبالاسم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾، وأثبتَ لنفسه العين، والأَعْيُن(٢)، فنثبتُ لله ما أثبته لنفسه.

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٨٣)، (٥/ ٦٣)، والصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٨)، وشرح التدمرية للعثيمين (ص١١٢).

(٢) ينظر: شرح العقيدة السفارينية للعثيمين (ص٢٦٨).

وكذلك أيضًا أثبت أنَّه يَرىٰ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء:٢١٨]، أَثْبَتَ بأنه يراكَ، والرؤية لا تكون إلَّا ببصرٍ، فنحنُ نُثْبِتُ السَّمعَ والبصرَ، ونَعْرِفُ أنَّ **السَّمعَ**: إدراكُ الأصواتِ، **والبصرَ**: إدراكُ المرئياتِ، ونثبتُ أنَّ الله تعالىٰ يسمعُ جَهْرَ القولِ، وخفِي الخطابِ، لا تشتبه عليه اللُّغاتُ، ولا تُغْلِطُهُ كثرةُ المسائِلِ مع اختلافِ اللُّغاتِ، وتَفَنُّنِ المَسْؤولاتِ، وكذلك أيضًا أثبتَ أنَّه بصيرٌ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء:٢١٨].

ولكن توقفَ الكناني، حيث لم يَرِدْ كلمة سَمع وبصرٍ، فأمسَكَ عن ذلك، يقول: فقلتُ كما قال، وأمسكتُ عند إمساكه.

فأقبل المأمونُ علىٰ بشر، ومن معه فقال: ما هو بمشبه، فلا تكذِبوا عليه.

فقال بشر: قد زعمتَ أن لله عِلْمًا، فأيُّ شَيءٍ هو علمُ الله تعالىٰ، وما معنىٰ علم الله؟ كأنه يتشدَّدُ، يريدُ أن ينقطعَ عبدُ العزيز.

قُلْتُ: علمُ الله، ومعنىٰ علم الله ما تفردَ اللهُ بعلمه ومعرفتِهِ، حجب عنه الخلائقَ جميعًا، لم يُخبِر به مَلكًا مُقرَّبًا، ولا نبيًّا مُرسلًا، ولا عَلِمَه أحدٌ قبْلي، ولا يَعلَمُه أحدٌ بعدي، وعِلمُ الله أكبرُ وأوسعُ وأعظمُ من أَن يَعْلَمَ ماهيَّتهُ أحدٌ مِن خلقِ الله، ألم تسمع إلىٰ قول اللهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، يعني: ما شاء أطلعَهم عليه، كذلك قوله تعالىٰ في آخر سورة الجن: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦، ٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، مفاتحُ الغيبِ لَا يعلمها إلَّا هو ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾، كل ما في البرِّ

مِن دابةٍ، وكل ما في البحرِ، ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾، أيةِ ورقة مِن ورقِ الشَّجَرِ إِلَّا يَعلمُهَا سُبحانه: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

كل ذلك قد عَلِمَه، وكل ذلك قد كتَبه.

ومفاتِحُ الغيبِ هي الخمسُ التي ذُكِرت في آخر سورة لقمان(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [لقمان:٢٧].

أتدري يا بشرُ ما معنىٰ هذا؟

قال: وأيُّ شيءٍ هذا مما نحنُ فيه؟!

كأنه يقول: لماذا تأتي بهذا، وتتكلم به، وليس من الموضوعِ؟!

قال المأمونُ: قل يا عبد العزيز أنت، يعني: بيِّن معنىٰ هذه الآية.

قلت: -أطال الله بقاءك-، يقول: لو أنَّ ما في الأرض من جميعِ الشجرِ والخشبِ والقَصَبِ أقلامٌ يكتب بها، والبحرُ مِدَادٌ -حبر- يمده مِن بعده سبعة أبحرٍ، كلها مِدَادٌ، والخلائقُ كلهم يكتبونَ بهذه الأقلامِ- مِن هذا الشجرِ- ما نَفِدَتْ كلماتُ الله، تكسَّرت الأقلامُ، ونَفِدَتِ البحارُ، فَمَنْ يبلغُ عَقْلُهُ، أو فَهْمُهُ أو فِكْرُه، كُنْهَ(٢) عظمة الله، إذا كان هذا معنىٰ كلامه، وسعةِ علمِهِ، وكثرة كلامه؟!

ثم ذكرَ الآيةَ في آخر سورة الكهفِ: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾، يعني:

---

(١) ستأتي الآية في الصفحة التالية.

(٢) كُنه الشيء: غايته ونهايته، وحقيقته وكيفيته. ينظر: تاج العروس (ك ن هـ): (٣٦/ ٤٨٩، ٤٩٠).

حِبراً يُكْتَبُ به ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩]، ولو جئنا بمثل هذا البحرِ وأمثاله، وذلك لأنَّ كلامَ اللهِ ليس له بدايةٌ ولا نهاية، فمَن يَحُدُّ هذا، أو يَصِفُه، أو يَدَّعِي عِلمَهُ؟ وقد عجزت الملائكَة المقرَّبُون عن علم ذلك، واعترفوا بالعجز ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة:٣٢]، لمَّا قال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾[البقرة:٣١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، هذه فيها مفاتحُ الغيب الخمس التي لَا يَعلمُها إلَّا الله: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾، لا يدري أحدٌ متىٰ ينزلُ الغيثَ ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾، ما تشتمل عليه، كل شيء، حتىٰ أرحام الذُّبابِ، وأرحام الحشَراتِ، ونحو ذلك، ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾، أي: أين تذهبُ؟ ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان:٣٤].

قال بِشر: لا بُدَّ أن تقولَ: أيُّ شيءٍ علمُ الله، أو يقفَ أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه-، علىٰ حَيْدَتِكَ عن الجواب، فأكونُ أنا وأنت في الحَيدة سواء، يعني: أنك ما فسَّرتَ لنا عِلْمَ الله!

قال عبدُ العزيز: إنما تأمُرني بما نَهَاني الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وحرَّمَ عليَّ القولَ به، تأمرُني بما أمرنِي به الشيطانُ، ولستُ أعصي اللهَ، وأرتكبُ نهيَهُ وأطيعُ الشيطانَ، وأتبعُ أمرَهُ وأمرك؛ إذ قد أمرتماني بمعصية اللهِ وارتكابِ نهيِه!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فاشتدَّ تَبَسُّمُ أميرِ المؤمنين من كلامي فقال: يا عَبدَ العزيزِ، أمرَك بشرٌ بما نهاك اللهُ عنه وحرَّم عليك القولَ به، وأمرَك بما أمرَك به الشيطانُ؟!

فقلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين.

قال: ومن أين لك ذلك؟!

قلتُ: من كتاب الله وكلامِه بنصِّ التنزيل.

قال: هاته!

قلتُ: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]، فَحرَّم اللهُ علىٰ الخلق جميعًا بهذا الخبرِ أن يقولوا علىٰ الله ما لا يعلمون، وأَمرَهم الشيطانُ بضدِّ ذلك؟

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٦٨، ١٦٩].

وهذا أمرُ الشيطانُ لنا أن نقول ما لا نَعلمُ، وقد اتَّبع يا أميرَ المؤمنين بِشرٌ سبيلَ الشيطانِ ووافقهُ علىٰ قَوْلِهِ، وأمَرني بما نُهيتُ عنه من ارتكابِ نَهْيِ الله عَزَّوَجَلَّ وتَحْريمِه حين قال: لَا بُدَّ أن تقول: أيُّ شَيءٍ علمُ الله! وقد أعلمتُه أني لا أعلمُهُ، ولا علِمَه أحدٌ قَبْلِي، ولا يَعلمُه أحدٌ بعدي.

قال عبدُ العزيز: فكَثُرَ تبسُّمُ المأمون، حتىٰ غطَّىٰ فَمَهُ بيده، وأَطْرَقَ يَنْكُتُ بيده علىٰ السَّرير!].

الشَّرح

تَبسَّمَ الخليفة من هذا التنظيرِ، ثم أَمَرَ عبدَ العزيز بأن يُبيِّنَ كلامه، فقال له: هل يأمُرك بِشرٌ بما نهاكَ اللهَ عنه، وحرَّم عليك القول فيه، وبما أمرَك به الشيطانُ؟ يأمُرك بِشرٌ بذلك؟!

قلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين.

قال المَأْمُون: من أين لك ذلك؟!

فقال: من كتاب الله وكلامه بنصِّ التنزيل.

قال: هاتِهِ! فذَكرَ هذه الآيةَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ...﴾، هذه المحرمات الخَمس: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

يقول العلماءُ(١): إنَّ في هذه الآيةِ ذِكْرَ الأخفِّ ثم ما بَعدَهُ إلىٰ الأكبرِ، الفواحشُ أخفُّ ممَّا بعدها، الإثمُ أَرْفعُ مِن الفواحِشِ وأخفُّ من البَغْيِ.

البغيُ أكبرُ من الإثمِ، وأخفُّ من الشِّرْكِ، والقولُ علىٰ الله بلا علم أَعْظَمُها كُلِّها؛ لأن الذي يتقوَّلُ علىٰ الله رَفَعَ نَفْسَه، وجَعَلَ نَفْسَهُ كأنه رَبٌّ، يقول بما لا يَعْلَمُهُ.

هكذا حَرَّمَ اللهُ علىٰ الخلق جميعًا -بهذا الخبرِ- أن يقولوا علىٰ الله ما لا يعلمون، أَمَرَهُم الشيطانُ بضِدِّ ما أَمَرَ اللهُ به في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

(١) ينظر: إعلام الموقعين (٢/ ٧٣).

كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٦٨-١٦٩]، هـذا أَمْـرُ الشـيطانِ لنـا أن نقـولَ مـا لا نَعْلَـمُ.

يـا أميـرَ المؤمنيـن، اتَّبَـعَ بشـرٌ سـبيلَ الشـيطانِ، ووافقَـه علـىٰ قولـه، أمَـرني بمـا نُهِيـتُ عنـه مـن ارتـكابِ نَهْـيِ الله عَزَّوَجَلَّ وتحريمِـه، حيـن قـال: لَا بُـدَّ أن تقـول: أيُّ شـيء علـمُ الله، وقـد أعلمتُـه أني لا أعلمُـه، ولا عَلِمَـهُ أحـدٌ قبلـي، ولا يَعلمُـه أحدٌ بَعدي؛ هـذه حُجَّة قويـةٌ! فَكثُرَ تَبَسُّـم المأمـون حتىٰ غَطَّىٰ فَمَـهُ بيـدِه، وأَطْـرَقَ يَنْكُـتُ[1] بيـده علـىٰ السَّـرير[2] وذلـك؛ لِبَيَـانِ الحَـقِّ.

---

(١) نكَـتَ مـن بـاب قَتَـلَ وهـو: أن يضـربَ بيـده أو بشـيءٍ في يـده الأرضَ ونحوَهـا، أو يَخُـطَّ خطًّـا يسـيرًا مَـرَّةً بعـد مَـرَّةٍ. وهـذا فِعْـلُ المتفكِّـر المهتـم، أو المتفكِّـر المعتـبر، حتـىٰ قيـل: إن عـادة المتفكـر أن يَنْكُـتَ. ومـن ثَـمَّ عَلَّـقَ العلَّامـة ابـن جبريـن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائـلًا: (وذلـك لبيـان الحـق)، أي: لظهـوره واتضاحـه؛ ممـا حَمَـلَ المأمـون علىٰ التفكُّـر. وينظـر: مشـارق الأنـوار علىٰ صحـاح الآثـار (٢/ ١٢)، والمفهـم (٦/ ٦٥٧)، وشـرح النـووي علىٰ مسـلم (١٦/ ١٩٥)، وحاشـية السـندي مـع مسـند أحمـد (٣٠/ ٥٠٥-الرسـالة)، ولمعـات التنقيـح (٤/ ٩٥).

(٢) السـرير: مـا يُجْلَـسُ عليـه. ومنـه: العـرش سـرير الملـك. ينظـر: عمـدة الحفَّـاظ (٢/ ١٨٩)، وبدائـع السّـلك (٢/ ٢٢٩)، وتـاج العـروس (١٢/ ١٤): (س ر ر).

قال راوي المناظرة:

[فقال لي بشر: لو وردَ عليك اثنان وقد تنازعَا في علمِ الله عَزَّوَجَلَّ، فحلفَ أحدُهما بالطلاقِ: إنَّ علمَ الله هو اللهُ!

وحَلَفَ الآخرُ بالطلاقِ: إنَّ علم الله غيرُ الله!

فَقالَا لك: أفتِنا في أيماننا، فما كان جوابُك لهُما؟!

قلتُ: الإمساكُ عنهُمَا، وتَرْكُهُمَا وجَهْلَهُما، وَصَرْفُهُمُا بغير جوابٍ.

قال بشرٌ: يَلْزَمُكَ ويَجِبُ عليك إذا كُنتَ تدَّعي العِلْمَ أن تُجِيبَهما عن مسألتِهِمَا، وأن تُخرِجَهُما من أيمانِهِمَا وإلَّا فأنت وهما في الجهلِ سواء!].

الشَّرحُ

احتجَّ بشر بهذه الحُجَّةِ الواهيةِ، فيقول: لَو وردَ عليك اثنان وتنازعَا في علمِ الله، حلفَ أحدُهما بالطلاق: علمُ الله هو الله.

وحلفَ الآخرُ بالطلاقِ: أنَّ علم الله غيرُ الله.

أحدُهما: لا شكَّ أنه مصيب، والآخرُ مُخطئ، ولكن نحنُ لا نتدخل في ذلك.

يقول: قالا لك: أفتِنا في أيماننا، ما يكونُ جوابك؟

قال عبدُ العزيز: الإمساكُ عنهُما، وتركهُما وجَهْلَهُما، وصَرْفُهُما بغير جواب.

يقول بِشرٌ: يَلزمُك ويجبُ عليك بما أنك تدَّعي العلمَ، لَا بُدَّ أنْ تُجيبَهما عن مسألتِهِما، وأن تُخرِجَهما من أيْمانِهما، وإلَّا فأنت وهما في الجهلِ سواء. هذه شبهتُهُ!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ لبشر: أَوَ يجبُ عليَّ أن أُجِيبَ كل من سألني عن مسألةٍ لا أجدُ لها في كتاب اللهِ، ولا في سُنَّة رسوله ﷺ ذِكرًا ولا علمًا، قد جَهِلَ السائلُ عنها، وحَمقَ الحالفُ عليها؟!

قال بِشرٌ: يجبُ عليك أن تُجيبَهُ عن مسألتِه فإنه لَابُدَّ لكل مسألة من جواب!].

الشرح

يقول عبد العزيز: أَوَ يَجِبُ عليَّ أن أجيبَ كل مَن سألني عن مسألة لا أجدُ لها في كتاب اللهِ ولا في سُنَّة رسول الله ﷺ ذِكْرًا، ولا عِلْمًا، قد جَهِلَ السائلُ عنها، وَحمقَ الحالفُ عليها؟ يعني: لا يلزمُني ذلك، لا يلزمُني أن أجيبَ كُلَّ من سأَلَ.

يقولُ بِشرٌ: يجبُ عليك أن تجيبَه عن مسألتِه، فإنَّه لَا بُدَّ لكُلِّ مسألةٍ من جواب!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ له: هذا جهلٌ من قائله!

قال عبدُ العزيز: ثم أقبلتُ على المأمون.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، سمعتَ ما قال بِشرٌ: إنَّه يَجبُ عليَّ جوابُ من سألني عن مَسألةٍ وفتيَاهُ وإخراجُه من يَمِينِه بما لا أجدهُ في كتاب اللهِ ولا في سُنَّة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

فَلو وردَ عليَّ يا أميرَ المؤمنين ثلاثة نَفَرٍ قد تنازعُوا في الكوكب الذي أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رآهُ بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦].

فقال أحدُهم: حلفتُ بالطلاقِ أنه المُشْتَرِي.

وقال الآخرُ: حلفتُ بالطلاقِ أنه الزُّهَرَةُ.

وقال الآخرُ: حلفتُ بالطلاقِ أنه المِرِّيْخُ.

فأفتِنا في أيماننا وأجِبنا في مسألتِنا؛ كان عليَّ أن أُجِيبَهُم في مسألتِهم وأفْتِيَهم في أيمَانِهم؟! وذلك مما لم يخبرنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ بهِ ولا رسولُه!

فقال المأمونُ: ما ذلك عليك بواجبٍ ولا لك بلازم].

الشرح

هذا بيانٌ مِن عبد العزيز أنَّه لا يجبُ الجَوَابُ عن كُلِّ مسألةٍ يأتي بها بعضُ الحَمْقَى:

يقولُ: لَو تنازعَ ثلاثة في تفسير هذه الآية: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦]، ما هو هذا الكوكبُ؟

فحلفَ أحدُهم: إنه المُشْتَرِي. وحلفَ الثاني: إنه الزُّهَرَةُ. وحلفَ الثالثُ: إنه المِرِّيْخُ!

قال المفسرون[١] في تفسير قول اللهِ تعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾[التكوير:١٥]: إنَّ الخُنَّسَ هي النجومُ الخمسةُ: هذه الثلاثة (المِرِّيْخُ[٢]، والزُّهَرَةُ[٣]، والْمُشْتَرِي[٤])، وكذلك: (زُحَلُ[٥]، وعُطَارِد[٦]).

هذه هي الخمسة، سُمِّيتْ بذلك؛ لأنها تَطْلُعُ ولا تتوسط في السَّمَاءِ، تَطلعُ ثم تَنْخَنِسُ وتَرْجِعُ من حيث طلعتْ[٧].

أَمَّا قولُه: ﴿رَءَا كَوۡكَبٗا﴾[الأنعام:٧٦]؛ فلا نعلمُ ما هو ذلك الكوكبُ، قد يكونُ واحدًا مِن هذه النجومِ الخمسَةِ التي هي الخُنَّسُ، وقد يكونُ من غيرِها؛ النجومُ كثيرةٌ، لا يُحصِيهَا إلَّا اللهُ؛ ولذلك قال النبيُّ ﷺ في الحَوْضِ: «آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ»[٨]، ممَّا يدلُّ علىٰ كثرةِ النجومِ، فنحنُ نعرفُ -مثلًا- أنَّ هناك نجومًا تُعْرَفُ بها الأوقاتُ.

فللشتاءِ سبعة نجوم: الإكْلِيْلُ، والقَلْب، والشَّوْلةُ، والنَّعائِم، وسَعْدُ بُلَعَ، وسَعْدُ الذّابِحِ، وسَعْدُ السُّعُود.

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية (٥/ ٤٤٣)، وتفسير ابن كثير (٨/ ٣٣٦).

(٢) نجم من الخُنَّسِ. في السماء الخامسة. ويقال له: بَهْرامُ.

(٣) الزُّهَرَةُ كتُؤَدَة: نجم أبيض مضيء معروف في السماء الثالثة.

(٤) ويقال له: الْبِرْجِيس والْبِرْجِس. ينظر: تاج العروس (١٥/ ٤٤٥): (ب ر ج س).

(٥) يُصْرَفُ ويُمْنَعُ من الصَّرْف، وهو نجمٌ من الخُنَّسِ، المشهور أنه في السماء الثانية.

(٦) نجم من الخُنَّسِ، سمي به؛ لأنه زَحَلَ، أي: بَعُدَ، ويقال: إنه في السماء السابعة.

(٧) ينظر: العين (٤/ ١٩٩).

(٨) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، حديث رقم (٦٥٨٠)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، حديث رقم (٢٣٠٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

فهل نقول: إنَّ هذا الكوكبَ واحدٌ منها؟!

كذلك نجومُ الصيفِ، ونجومُ الخَريفِ، ونجومُ الربيع[١]؛ لاَ يَعلمُها إلاَّ اللهُ.

لا نعلمُ هذا النجمَ نتوقفُ ونقولُ: لا نعلمُ، وَلَو حلفتم لا نُفْتِيكُم في أيمَانِكُم، علينا أنْ نتوقفَ، وقد وافقَ المأمونُ علىٰ ذلك، وقال: هذا ليس بواجبٍ ولا لازمٍ أن تُجِيبَهم.

(١) ينظر: الأزمنة وتلبية الجاهلية ٩٨-١٠٧، والأزمنة والأمكنة (ص١٣٦-١٤٦).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ له: فلو وردَ عليَّ يا أميرَ المؤمنين ثلاثةُ نفر قد تنازعُوا في الأقلامِ التي أخبرَ اللهُ عنها في كتابه بقوله: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾[آل عمران:٤٤].

قال أحدُهم: حلفتُ بالطلاقِ أنَّ هذه الأقلامَ من نُحَاسٍ!

وقال الآخرُ: حلفتُ بالطلاق أنها من خشبٍ!

وقال الآخرُ: حلفتُ بالطلاقِ أنها من قَصَبٍ!

فأجبنا عن مسألتنا، وأجبنا عن أيمانِنا -وذلك ممَّا لم يخبرنا اللهُ به ولا رسوله، ولا يوجدُ علمه في كتاب اللهِ، ولا في سُنَّة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكان عليَّ يا أميرَ المؤمنين أن أُجيبَهم عن مسألتهم وأُفْتِيَهم في أيمانهم؟!

فقال المأمونُ: لا، ليس عليك إجابتهم ولا فتياهم.

قال: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، فلو وَرَدَ عليَّ ثلاثةُ نفرٍ قد تنازعُوا في المؤذن الذي يؤذن بين أهل الجنة والنار والذي أخبرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عنه بقولِه: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٤].

فقال أحدُهم: حلفتُ بالطلاقِ أن المؤذن من الملائكة!

وقال الآخرُ: حلفتُ بالطلاق أن المؤذن من الإنس!

وقال الآخرُ: حلفتُ بالطلاق أن المؤذن من الجِن!

فأَجبنَا عن مَسألتنا وأفتِنا في أيمَاننا! وذلك ممَّا لا أجدُه في كتاب اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولا في سُنَّة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أخبرنا اللهُ به ولا رسوله، أكان عليَّ يا أميرَ المؤمنين أن أجيبَهم في مسألتِهم وأفْتِيَهم في أَيمَانهم؟!

فقال المأمونُ: لا، ليس عليك إجابتُهم ولا فتياهم.

فقلتُ: صدقت يا أميرَ المؤمنين، لا يجوزُ لي، ولا لغيري أن يقضِيَ بينهم أو يُفْتِيَهم، إلا أَن يكونَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قد أخبرَ عن ذلك في كتابه، أو علىٰ لسان نبيه. وإذا لم يجز هذا في خَلْقٍ من خَلْقِ الله، فكيف يجوز الجواب عن علمِ الله، وهو مما لا يوجد في كتابه ولا في سُنَّة نبيه، ولا أخبرنا اللهُ به ولا رسوله، وَقَدْ أَكْذَبَ اللهُ بِشْرًا علىٰ لسانِ أمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- فيما ادَّعَاهُ من وجوب الجواب عليَّ في فتوىٰ من جَهِل في مسألتِه وحمقَ في يمينِه.

فقال المأمون: أحسنت أحسنت يا عبد العزيز!].

الشَّرْحُ

ومما احتجَّ به عبد العزيز: قول اللهِ تعالىٰ في سورة آل عمران: ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

لا ندرِي ماهيَّةَ هذه الأقلامِ، فلو حَلَفَ رجلٌ أنها من نُحَاسٍ.

وحَلَفَ آخرُ أنها من خَشَبٍ.

وحَلَفَ آخرُ أنها من قَصَبٍ.

جَاؤُوا إلينا فَقالوا: أفتِنا في أيماننا، نتوقفُ، لا ندرِي؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ ما ذكر لنا كَيفيتَها، هل يَلْزَمُنَا أن نُفتيَهم؟! لا علم لنا بذلك.

ذَكَرَ أيضًا مثالًا آخرَ هذه الآية في سورة الأعراف: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤].

لو حلفَ أحدُهم أنَّ المؤذِّن مِن الملائكةِ.

وآخر أنَّ المؤذِّن مِن الإنسِ.

وآخر أنَّ المؤذِّنَ مِن الجن.

وكلهم حَلَفَ بالطَّلاقِ، هل نُفتِيهِم؟ هل نقول: الصوابُ معك يا هذا؟ هذا مِن عِلم الغيبِ الذي لا نَعْلَمُهُ، ولا أخبرنا اللهُ تعالىٰ به ولا رَسُولُه، لَيْسَ علينا أنْ نُجِيبَهُم عن مسألتِهم، ونُفتيَهِم في أيمانِهِم. ما أخبرنا اللهُ بذلك ولا رسولُه.

فوافقهُ المأمونُ وقال: ليس عليك إجابتُهُم، ولا فُتياهم.

فقال عبدُ العزيز: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين، لا يجوزُ لي ولا لغيرِي أن يَقضِيَ بينهم، ولا يُفْتِيَهم، إلَّا أَن يكونَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قد أَخْبَرَ عن ذلك في كتابه، أو عن علمِ الله -يعني: لا نُفسِّرُ ماهيَّة علمِ الله-.

وهو ممَّا لا يوجد في كتابه ولا سُنَّة رسوله، وما أَخبرنا اللهُ به ولا رسولُه.

أَكْذَبَ اللهُ بِشرًا علىٰ لسانِ أمير المؤمنين فيما ادَّعاهُ من وجوبِ الجواب عليَّ، وفتوىٰ من جَهِلَ في مسألتِه، وَحَمقَ في يمينِه.

قال أَمِيرُ المؤمنين: أحسنت أحسنت يا عبدَ العزيز!

قال راوي المناظرة:

[فقال بشر: واحدة بواحدة يا أميرَ المؤمنين؛ سألني عَبدُ العزيزِ أن أقولَ: إن لله علمًا، فلم أجبه، وسألته: ما عِلْمُ الله؟ فلم يُجبني؛ فقد استوينا في الحَيدة عن الجواب، ونَخْرُجُ عن هذه المسألة إلىٰ غيرها، وندعها علىٰ غيرِ حُجة تثبتُ لأحدنا علىٰ صاحبه فيما قال!].

الشَّرحُ

يدَّعي بِشرٌ فيقول: سألني أن أقولَ: إن لله علمًا فلم أجبْهُ، فقلتُ: إنَّ الله لا يجهلُ، سألتُه: ما علمُ الله؟ ما كيفية علم الله؟ فلم يُجِبْنِي، حَادَ عن الجواب، كما حِدتُ أنا عن الجواب، فنخرجُ من هذه المسألة إلىٰ غيرِها، وندعُهَا علىٰ غير حُجَّةٍ تثبُت لأحدِنا علىٰ صاحبه.

كأنَّه يقولُ: لمَّا لم أُجِبهُ أنَّ لله علمًا، سَمَّىٰ ذلك حَيْدَةً، الآن أنا سألتُهُ: مَا عِلْمُ الله؟ مَا كيفية علم الله؟ لم يُجبني، فهذه -أَيضًا- حَيْدَة، فاستوينا كُلُّنَا في الحَيدَة فليسَ لأحدٍ علىٰ صاحبه حُجَّة. هذه شبهتُهُ!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك-، إن بِشرًا قد أُفْحِمَ وانقطع عن الجواب ودحضت حجته، وبقِي بلا حُجة يقيمُها لهذا المذهب الذي كان يدعو الناس إليه، فلجَأ إلىٰ أن يَسْأَلَنِي عن مسألةٍ مُحَال يَحتجُّ بها عليَّ ليقول: سألني عبد العزيز عن مسألة، فلم أجبه، وسألته عن مسألة فلم يجبني عنها، وقد قال ذلك، وأنا وبِشرٌ يا أميرَ المؤمنين علىٰ غير السواءِ في مسألتنا.

لأني سألتُه عَمَّا أخبرَ اللهُ به وشَهِدَ به علىٰ نفسه وشهدت له الملائكة به بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦]؛ فأخبرنا عن علمه، وشهد به لنفسه، وشهدت له به الملائكة، وتعبدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائرَ الخلق بالإيمانِ به بقوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورىٰ:١٥].

فوجب علىٰ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلىٰ الخلق جميعًا، الإيمان بما أنزل اللهُ من كتابٍ، وبِشرٌ يا أميرَ المؤمنين يأبىٰ أن يؤمنَ بذلك، أو يُقِرَّ به، أو يصدقه، وسألني بِشرٌ عن مسألةٍ سَترَ الله عِلْمَها عن الملائكة، وأهلِ ولايته جميعًا، وعنِّي، وعنْ بِشرٍ، وعن سَائِرِ الخلق جميعًا، ممَّن مضىٰ وَمِمَّن هو آتٍ إلىٰ يَوم القيامة؛ فلم يعلمها أحدٌ قبلنا، ولا يَعلمها أحدٌ بعدنا، فلم يكن لي أن أجيبَه عن مسألتِه، وإنما يَدْخُلُ النقصُ عليَّ يا أميرَ المؤمنين لو كان بِشرٌ يعلمُ ما سألني عنه أو غيرُه من العلماء، وكنتُ أنا لا أعلمُه.

فأمَّا إذا اجتمعنا جميعًا أنا وبِشرٌ وسائرُ الخلق في جَهْلِ هذه المسألةِ

وقلةِ العلم بها، فليسَ الضَّررُ بداخِلٍ عليَّ دونَه، وهذه مسألة لا يَحِلُّ لأحدٍ أن يسألَ عنها، ولا يَحِلُّ لأحدٍ أن يُجيبَ فيها؛ لأن اللهَ عَزَّوَجَلَّ حرَّمَ ذلك عليه].

الشرح

ثم قال عبدُ العزيز: إنَّ مسألته التي سألني عنها، وهي: كيفيةُ علم الله؟ ليس عليها دليلٌ، وَأمَّا مسألتي له وهي: أتقولُ: إنَّ لله علمًا؟ فَجَحَدَ، وقال: اللهُ لا يجهلُ، فمسألتي له عن شَيءٍ دليلهُ في القرآن! ومسألته لي: ما كيفية علمِ الله؟! ما المرادُ بعلم الله؟!

هذا مما لا يَعلمُه أحدٌ لا أنا ولا مَن قَبلي، هذا مما استأثرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به، حتىٰ الملائكة يقولونَ: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢].

فيقول عبدُ العزيز: إن بِشرًا قد أُفحِمَ، وانقطعَ عن الجواب، ودُحِضَت حُجتُه، بقِيَ لا حُجة له يقيمُها لهذا المذهب الذي يَدعو الناس إليه، لَجَأَ إلىٰ أن يسألنِي عن مسألة مُحَال أن يُحتجَّ بها عليَّ، وأنا وبِشرٌ علىٰ غيرِ السواء؛ لأنَّي سألتُه عَمَّا أخبرَ اللهُ به وشَهِدَ به علىٰ نفسه، وشهدت به الملائكة -يعني إثبات العلم- وتَعَبَّدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّه، وسائرَ الخلقِ بإثباتِ علمِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذَكرَ ذلك في قوله: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورىٰ:١٥]، فوجبَ علىٰ نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وعلىٰ الخَلقِ جميعًا الإيمانُ بما أنزل اللهُ من كتاب، ويأبىٰ بِشرٌ أن يؤمنَ بذلك، أو يُقرَّ به، أو يُصَدِّقَهُ.

سألني بِشرٌ عن مسألةٍ سَترَ اللهُ علمَهَا عن الملائكة، وعن أهلِ ولايتِه، أيلزمُني أن أجيبَه والملائكة لم يَعلَمُوا ذلك؟! سَترَها عنِّي، وعَنْ بِشرٍ،

وعَنْ سَائِرِ الخلق جميعًا، ممَّن مَضىٰ، وَمِمَّن هو آتٍ إلىٰ يوم القيامة، لم يَعلمها أحدٌ قبلنا، ولا يَعلمها أحدٌ بعدنا، فلم يكن لي أن أجيبه عن مسألتِه، وإنما يَدْخُلُ النقصُ عليَّ يا أميرَ المؤمنين لو كان بِشرٌ يعلمُ ما سألني عنه، أو غيره من العُلماءِ، يعني: جميع الناس لا يعلمون ما كيفية علم الله؛ إذن اجتمعنا جميعًا -أنا وبِشرٌ وسائرُ الخلقِ- في جهلِ هذه المسألة وقلةِ العلم بها، فليسَ الضَّرَرُ بداخلٍ عليَّ دونهُ، هذه مسألَة لا يَحِلُّ لأحدٍ أن يسألَ عنها، ولا يَحِلُّ لأَحدٍ أن يُجيبَ فيها؛ لأَنَّ اللهَ حَرَّمَ ذلك.

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فقال لي المأمونُ: أَنتُمَا في مسألتِكُما علىٰ غير السواءِ، وقد صحَّ قولُك في هذه المسألة يا عبد العزيز، وبَانَ ووضحَ وظهرت حُجَّتُكَ علىٰ بِشْرٍ فيها].

الشَّرحُ

وافقَ المأمونُ أنهما ليسا سواءً، وأن حُجَّة عبدِ العزيزِ قوية، وقال لهُ: صحَّ قولك يا عَبدَ العزيزِ في هذه المسألةِ، وبَانَ ووضح وظهرتْ حُجَّتُكَ علىٰ بِشر.

قال راوي المناظرة:

[قـال عبـد العزيـز: ورأيـتُ بِشـرًا قـد حـارَ، وانقطـعَ، وصَـحَّ مـا في يـدي، واسـتبانَ الحَـقُّ، وَوَضَـحَ لأَميـرِ المؤمنيـن ولسـائر مـن بحضرتِـه.

فقلـتُ: يـا أميـرَ المؤمنين -أطـال الله بقاءك-، أرجـعُ إلىٰ أول المسـألة، وأدَعُ ذكـر العِلْـم، فأَكسرُ قولَ بِشـر، وأفضـحُ مذهبَهُ، وأُبطـلُ قولَـه واحتجاجَهُ؟].

الشَّرحُ

يقـول عبدُ العزيـز: رأيـتُ بشـرًا قـد تحيَّـرَ، وانقطـعَ، وَصَـحَّ مـا في يـدي، واسـتبانَ الحـقُّ ووضـحَ لأَمِيـرِ المؤمنيـن ولسـائرِ مـن بحضرتـه.

فقلـتُ: أرجـعُ إلـىٰ المسـألة (مسـألةِ القـرآن)، وأدعُ العلـمَ، فأكسِـر قـولَ بشـرٍ، وأفضـحُ مذهبـه، وأُبطـلُ قولـه واحتجاجَـهُ، وقـد احتججنـا عليـه بالعلـم.

قال راوي المناظرة:

[فقال لي المأمونُ: قد أصبتَ يا عبد العزيز بتركِك الكلامَ فيما قد قطع المجلس من غير أن يرجع إليك عن مسألتك فيه جوابٌ، وقد وقفنا من قولك على ما يلزم بِشرًا في هذه المسألة لو أجابَك عن مسألتك، فهاتِ ما عندك من غير هذا].

الشرح

قال المأمونُ: أصبت بتركِك الكلامَ الذي طالَ فيه الجدالُ وأطلتُم فيه المجلسَ من غير أن يَرْجِعَ إليك؛ أي: ما تَرَاجَعَ عن مسألتك فيه بجوابٍ، وقد وقفنا مِن قولك على ما يلزمُ بِشرًا في هذه المسألة لو أجابَك عن مسألتك، لكنَّهُ ما أجابك، فهات ما عندك غير هذا.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- علىٰ كُلِّ مَن اكتالَ بمكيالٍ أن يُوفِي به؟

قال: ذلك يلزمه.

فقلتُ: يا بشرُ، ألستَ تزعم أنَّ قوله: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الرعد:١٦]، لفظة لا يخرج عنها شيءٌ؛ لأن (كل) كلمةٌ تجمع الأشياءَ، فلا تَدَعُ شيئًا يخرج عنها، وكل شيءٍ داخل فيها؟

فقال بشرٌ: هكذا قلتُ، وهكذا أقول، وهكذا هو عند الخَلقِ، ولستُ أرجع عنه بكثرة خُطَبِكَ وهَذَيانِكَ!

فقلتُ: أَميرُ المؤمنين شاهدٌ عليك بهذا].

الشرح

رَجَعَ الكِنَانِيُّ إلىٰ حُجَّتِهِ في قوله سبحانه: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[الرعد:١٦].

يقول: -أطال الله بقاءك- علىٰ كُلِّ مَن اكتالَ بمكيالٍ أن يُوفِي به، فقال المأمونُ: ذلك يلزمُه.

قلتُ: يا بشرُ، ألستَ تزعم أنَّ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، لَفْظٌ لا يخرج عنه شيء؛ لأن «كُل» كلمةٌ تَجمَعُ الأشياء، لا تَدَعُ شيئًا يخرج عنها؛ كل شيء داخل فيها.

قال بِشْرٌ: هكذا قلت، وهكذا أقول، وهكذا هو عند الخلقِ، ولستُ أرجعُ عنه بكثرة خُطَبِكَ وهَذَيَانِكَ.

فقلتُ: أمير المؤمنين شاهدٌ عليك بهذا.

يعني: لم يَتراجعْ!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: ثم قلتُ له: يا بشرُ، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]، وقال جل ذكره: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الأنعام:١٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ﴾ [الأنعام:٥٤].

وقال: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة:١١٦].

فقد أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في مواضعَ كثيرةٍ مِن كتابه أنَّ له نَفْسًا، أفتُقِرُّ يا بِشْرُ أنَّ لله نفسًا كما أخبرنا عنها بهذه الأخبارِ كلِّها؟

قال: نعم].

الشرح

في هذه الآياتِ إثباتُ أنَّ لله نفسًا؛ ففي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:٤١]، وقوله سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:١٢]، وقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، وقوله سبحانه: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

آيات صريحة فيها إثباتُ أنَّ لله نفسًا، والنَّفْسُ هي: الذَّاتُ(١).

أتُقِرُّ يا بِشرُ أن لله نَفسًا كما في هذه الآياتِ؟ اعترَفَ، وقال: نعم.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٩٦).

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فقلتُ له: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

أفتقولُ: إنَّ نفس رب العالمين داخلةٌ في هذه النفوس التي تذوقُ الموت؟!

فصاح المأمونُ بأعلىٰ صوتِهِ وكان جَهِيرَ الصَّوْتِ[١]: معاذ الله، معاذ الله، معاذ الله!

فقلتُ: إِذًا -ورفعتُ صوتِي- معاذ الله معاذ الله أَن يكونَ كلامُ الله داخلًا في الأشياءِ المخلوقة، كما أَنَّ نَفْسَهُ ليست بداخلةٍ في الأنفس الميتة، وكلامه خارجٌ عن الأشياءِ المخلوقة، كما أَنَّ نفسَه خارجةٌ عن الأنفس الميتة].

الشَّرحُ

احتجَّ الكنانيُّ عليه، بأنَّ الله تعالىٰ أثبَت له نفسًا، وأنه قال في هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، في عِدَّةِ سورٍ، في سورة آل عمران وغيرها، أفتقولُ يا بشرُ: إنَّ نفسَ ربِّ العالمين داخلة في هذه النفوس التي تذوقُ الموتَ؟ تعالىٰ اللهُ!

فصاح المأمونُ -وكان جَهِيرَ الصَّوْتِ-؛ صَوْتُهُ جَهْوَرِيٌّ[٢]، كرَّرَ: معاذ الله، معاذ الله، معاذ الله.

---

(١) وصوتٌ جَهيرٌ، وكلامٌ جَهِيرٌ: كلاهما عالِنٌ عالٍ. ينظر: تاج العروس (١٠/ ٤٩٢): (ج هـ ر).

(٢) أي: شديدٌ عالٍ. ينظر: المرجع السابق.

فرفعتُ صوتِي، وقلت: معاذ الله أَن يكونَ كلامُ الله داخلًا في الأشياءِ المَخلوقة، كما أن نفسه ليست داخلةً في الأَنفسِ الميتة، فكلامُه خارج عن الأشياء المَخلوقة كما أنَّ نفسه خارجةٌ عن الأَنفسِ الميتة.

وهي حجَّةٌ قويَّة!

قال راوي المناظرة:

[قال بِشرٌ: يا أميرَ المؤمنين، قد سألني فليسمع كلامي وَلْيَدَعِ الصياحَ والضجيجَ.

فقلتُ له: تكلم بما شئتَ.

فقال: إذا كانت نفسُ اللهِ ضمِيرًا أو تَوَهُّمًا، فهي خارجةٌ، وليست بداخلة في هذه النفوسِ!

فقلتُ له: كم ألقي عليك: أني أقول بالخبرِ، وأُمسِكُ عن علم ما سُتِرَ عنِّي، وإنما قلتُ: إن لله نفسًا كما أخبرنا، وقد أقررتَ بذلك، فَلتكن عندك علىٰ أيِّ معنىٰ شئتَ، وقل: هي داخلةٌ في هذه النفوس أو لا؟ وَدَعْ عنك كلامَ الخطرات والوساوسِ.

فقال لي: أنت رجلٌ مُتعنت تُجَابُ عن مسألتك فتطلب غيرَها، وليس عندي جوابٌ غير هذا، وانقطع!].

الشَّرحُ

قال بشرٌ للمأمونِ: سألني فليسمع كلامي، وليدَعِ الصياحَ وَالضَّجيجَ، قلت له: تكلَّم بما شئتَ.

قال: إذا كانت نَفسُ اللهِ ضميرًا أو تَوَهُّمًا فهي خارجةٌ ليست داخلةً في هذه النفُوسِ، كأنَّه يقولُ: إنَّ نفسَ اللهِ ضمير، أو توهُّم.

قلتُ له: كم أُلْقِي عليك: أني أقول بالخبرِ؛ يعني: بالدليل، وأُمْسِكُ عن عِلْم ما سُتِرَ عنِّي، يُردِّدُ عليه أن لا تقول إلَّا بما لك به علمٌ، ولا نعلمُ إلا ما أَطلعنا اللهُ عليه، ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾[يوسف:٨١].

إنمـا قلـتُ: إنَّ لله نفسًـا كمـا أخبرنـا، فأقـررتَ بذلـك، وإن كانـت عنـدك علـىٰ أيِّ معنـىٰ شـئتَ، قـل هِـي داخلـة في هـذه النفُـوس أو لا ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ [آل عمران:١٨٥]، دع عنـك كلامَ الخطـرات والوسـاوسِ.

قـال بشرٌ: أنـت رجـلٌ مُتَعَنِّتٌ، تُجابُ عـن مسـألتِك فتَطلـبُ غيرهـا، ليس عنـدي جـوابٌ غيـر هـذا.

فيدل علىٰ أنه قد انقطعَ!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد كسرتُ قَوْلَهُ بِقَوْلِهِ، ودحضتُ حجته بحجته، وبَطَلَ ما كان يدعو إليه مِنْ بِدْعَتِهِ، وبَانَ لأمير المؤمنين قُبْحُ مذهبه وفُحْشُ قوله!

فأقبل عليَّ المأمونُ فقال: يا عبدَ العزيز، قد وضَحَتْ حجتك، وبَانَ قولُك، وانكسر قولُ بشرٍ، وتحتاجُ أن تشرحَ هذه الأخبارَ التي في القرآن ومعانيها، وما أراد اللهُ عَزَّوَجَلَّ بها؛ ليسمع مَنْ بحضرتنا، فقد جَرَتْ اليوم أشياءُ كثيرةٌ يحتاجُ من سمعها إلىٰ معرفتِها وفَهْمِها].

الشَّرح

قال عبد العزيز: يا أميرَ المؤمنينَ، قد كسرتُ قَوْلَهُ بِقَوْلِهِ، ودحضتُ حُجته بحجتِهِ، وبَطَل ما كان يدعُو إليه من بدعته. تبيَّنَ لأَمِيرِ المؤمنين قُبْحُ مذهبِهِ، وفُحْشُ قَوْلِهِ.

قال عبد العزيز: أَقْبَلَ عليَّ المَأْمُونُ، وقال: وَضَحَتْ حُجَّتُك، وبَانَ قولُك -كُلُّ هذا يؤيِّد عَبْدَ العزيز-. انكَسَرَ قولُ بِشرٍ.

وكأن في الكلام الماضي إجمالًا؛ لهذا قال المأمونُ: نحتاجُ أن تشرحَ هذه الأخبارَ التي في القرآن، ومعانيَها، وما أراد اللهُ عَزَّوَجَلَّ بها، يعني: قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]، أو قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]؛ ونحو ذلك؛ لِيَسْمَعَ مَنْ بِحَضْرَتِنَا.

فقد جَرَتْ في هذا اليومِ أشياءُ كثيرةٌ، يَحْتَاجُ مَنْ سَمِعَها إلىٰ مَعْرِفَتِها.

فَبَيِّنْ لنا هذه الأشياءَ التي تكلمتَ بها.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شرَّفَ العربَ وكرَّمَهُم بأن أنزل القرآن بلسانِهم، وجعلهُ مُكتتبا علىٰ تبيانهم فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان:٥٨].

فخصَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ العربَ بفهمِهِ ومعرفتِه، وفضَّلَهم علىٰ غيرِهم بعلم أخبارِه، ومعاني ألفاظِهِ، وخصوصه وعمومه، ومحكمه ومُبهمه(١)، وخاطبَهم بما عَقَلُوه وعَلِمُوهُ ولم يجهلوه، وقبِلوه ولم يدفعوه، وعرفوه فلم ينكروه.

إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثل ذلك في خطابهم ولُغاتهم وكلامِهم، فأنزل اللهُ جل ذكرُه القُرآنَ علىٰ أربعة أخبار: خاصة، وعامة:

فمنها: خبرٌ مخْرَجُهُ مَخْرَج الخُصُوص ومعناه معنىٰ الخصوص.

ومنها: خبرٌ مخرجه مخرج العُمُوم ومعناه معنىٰ العموم.

فهذانِ خبرانِ مُحكمَانِ لا ينصرفان لإلحادِ مُلحِدٍ.

ومنها: خبر مخرجه مخرج العموم ومعناه معنىٰ الخصوص.

ومنها: خبر مخرجه الخصوص ومعناه معنىٰ العموم.

ففي هذينِ الخبرينِ، يا أميرَ المؤمنين، دخلتِ الشبهةُ علىٰ مَن لا يعرفُ خَاصَّ القرآن وعامَّه].

---

(١) ينظر: الورقات (ص١٦)، وروضة الناظر (٢/ ٨، ٩)، والمسودة (ص٥٧١).

الشَّرْحُ

أراد الكناني توضيحَ ما تقدَّم، أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شرَّفَ العرب، وكرَّمَهم، فأنزل القرآن بلسانِهم، وجعله مكتبًا علىٰ تبيانِهم، القرآن عربيٌّ لهذه الآية: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف:٢]، وكذلك قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢- ١٩٥]، وكذلك قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان:٥٨].

ورسولُ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عَرَبِيٌّ.

يقولُ عبدُ العزيز: في هذه الآياتِ خَصَّ اللهُ العربَ بفَهمه، ومعرفته، وفضَّلَهُم علىٰ غيرِهم بعلمِ أخباره، ومعاني ألفاظِه، وخصوصه وعمومِهِ، وَمُحكمه ومُبهمه، تكلم الذين تكلمُوا في أصول التفسيرِ علىٰ هذه كلِّها، ووضحُوها؛ أنَّ في القرآنَ خاصًّا وعامًّا، ومُحكمًا ومُبهمًا ومتشابهًا، وبينوا أمثلتَها.

خاطبَهُم بما عَقَلُوهُ وعَلِمُوهُ ولم يَجْهَلُوهُ، ولمَّا خاطبهم قَبِلُوه، ولم يدفعوهُ، تقبَّلَهُ الصَّحابة رضوان الله عليهم أجمعين، تَقَبَّلَهُ المسلمون، ولم يُنكِرُوه؛ إذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمثلِ ذلك، يتخاطبون بمثلِ هذا الخطابِ، فخِطاباتُهم ولغاتُهم وكلماتُهم بالكلام العربي.

أنزل اللهُ تعالىٰ هذا القرآن علىٰ أربعةِ أقسامٍ: خاصة وعامة:

خبر مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنىٰ الخصوص.

وخبر مخرجه مخرج العموم ومعناه معنىٰ العموم.

وهذا خبرانِ مُحكمان لا ينصرفانِ بإلحادِ مُلْحِدٍ.

وخبر مخْرَجه مخرج العموم ومعناه معنىٰ الخصوص.

وخبر مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنىٰ العموم.

وسوف تأتي أمثلة علىٰ ذلك(١).

في هذيـنِ الخبريـنِ دخلـتِ الشُّـبهة علـىٰ مَـن لا يعـرفُ خـاصَّ القـرآن وعامَّـه، مثـلًا:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص:٨٨].

وكذلك قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران:١٨٥].

وما أشبهَهَا؛ مما دَخلهُ الخصوص.

وكذلك ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦].

ونحو ذلك.

---

(١) يأتي (ص١٧١-١٨٤).

قال راوي المناظرة:

[فأمَّا الخبرُ الذي مخرجه العموم ومعناه العموم، فهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٩١]؛ فجمعَ هذا الخبرُ الخَلْقَ والأمرَ، ولم يبقِ شيئًا إلا وقد أتىٰ عليه؛ لأن كل شيءٍ هو له، مما هو مَخلوقٌ وغير مخلوق، فهذا خبر مَخرجه مَخرج العموم ومعناه معنىٰ العموم].

الشرح

ذكرَ عبدُ العزيزِ مثالًا للذي مخرجه العموم ومعناه العموم: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٩١].

كُلُّ ما في الكونِ فهو ملكُهُ، وهو لَه؛ ولهذا مُلوكُ الدنيا مَملُوكونَ له، ومَا بأيديهم، وكُلُّ إنسان يَمْلِكُ شيئًا، فإنَّه هو وما يملكُه لله تعالىٰ.

فجَمعَ في هذا الخبرِ بين الخَلقِ والأمرِ، كله له، لم يُبْقِ شيئًا إلَّا وقد أتىٰ عليه، فكلُّ شيءٍ هو له، مما هو مخلوقٌ الآن، وممَّا هو غيرُ مخلوقٍ، فهذا خبرٌ مخرجه مخرج العموم وهو باق علىٰ عمومِه(١).

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن (٣/ ٢٨٩).

قال راوي المناظرة:

[وأمَّا الخبرُ الذي مَخرجه مَخرج الخصوص ومعناه معنىٰ الخصوص، فهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١-٧٢]، **وقوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران:٥٩-٦٠].

فكان مخرج الخبر لآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مخرجَ الخصوص، ومعناه معنىٰ الخصوص، وكذلك كان مخرج الخبرِ لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنىٰ الخصوصِ.

ثم قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

والناسُ اسمٌ يَجْمَعُ آدمَ وعيسىٰ، ومَنْ بينهما، ومَن بَعْدهُمَا، فَعَقَلَ المؤمنون عن الله -عند نُزول هذا الخبر- أنَّه لم يَعْنِ آدمَ وعيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الناس الذين خَلَقَهم من ذَكَرٍ وأنثىٰ؛ لأنه قد قدَّمَ ذلك الخبرَ الخاصَّ ومعناه خاصًّا بالناس دونهما].

الشرح

ثم ذكرَ مثالًا لِمَا مخرجه الخُصُوصُ ومرادٌ به الخُصُوصُ، كخلقِ آدمَ في هذه الآية في سورة الحِجْرِ: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٨]، هذا آدمُ، وقد اعترفَ إبليسُ بأنه خُلِقَ مِن طينٍ، وذلك الطينُ قد تغيَّرَ، حتىٰ صار كأنَّه الحَمَأ؛ يعني: مِن سَوَادِهِ، فأصلهُ من تراب، ثم صار

طينًا بعد أن ابْتَلّ، ثم صار حَمَأً مسنونًا، هذا الخَلْقُ خاصٌّ بآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَخَرَجَ مَخرج الخصوص، ومعناه معنىٰ الخُصُوصِ، ليس أحدٌ يُشاركُه في ذلك، كذلك خَلَقَ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ أُمِّهِ، مِنْ مريمَ، مِنْ أنثىٰ بلا ذَكَرٍ، ليس له أَبٌ، مَثَلُهُ كمثل آدمَ، خلق الله آدم من ترابٍ، ثم ﴿قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران:٥٩-٦٠]، فَخَلْقُ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ خرج مخرج الخصوصِ، ومعناه الخصوصُ، وخَلْقُ آدمَ كذلك.

أَمَّا خطابُ الله تعالىٰ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣]، فكلمةُ (الناس): اسمٌ عامٌّ لكل الناس الذين يُؤْنَسُ بهم، فهل يَدْخُلُ في ذلك آدم وعيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، هذا خَرجَ مخرج العموم، ويُراد به الخصوصُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات:١٣] عامٌّ، ولكن استثنىٰ منه آدمَ وعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فلا يدخلانِ في ذلك، وَعَقَلَ المؤمنون -عند نُزُولِ هذه الآيةِ- أنه لم يَعْنِ آدمَ وعِيسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الناس الذين خُلِقُوا مِن ذكرٍ وأنثىٰ؛ لأنه قد قدَّمَ ذلك الخبرَ الخاصَّ في آدمَ وعيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

قال راوي المناظرة:

[وأمـا الخبـرُ الـذي مخرجـه مخـرج الخُصُـوص ومعنـاه معنـىٰ العمـوم، فهـو قولـه تعالـىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجـم:٤٩]، فـكان مخـرج الخبـرِ خاصًّـا ومعنـاه عامًّـا].

الشَّرح

ذكـر الكنـانيُّ مثـالًا علـىٰ الخبـرِ الـذي مخرجـه مخـرج الخصـوص ومعنـاه معنـىٰ العمـوم وهـو قولـه تعالـىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجـم:٤٩]، فأخـبر أنـه رب الشـعرىٰ، والشِّـعْرىٰ: نجـم مـن النجـوم[١].

هـل الربوبيـة خاصـة؟ فهـو سُـبحانُهُ ربُّ جميـعِ المخلوقـات ليـس ربَّ الشـعرىٰ فقـط، ولكـن لمَّـا كانـت الشـعرىٰ نجمًـا مشـهورًا خُـصَّ بالذِّكـرِ، ويـرادُ بذلـك العمـوم؛ لقَـوْلِ اللهِ تعالـىٰ: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثيـة:٣٦]، فهـو ربُّ كلِّ شـيءٍ، وخالـقُ كلِّ شَـيء.

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٤٣٠).

قال راوي المناظرة:

[وأما الخبرُ الذي مخرجه مخرج العموم ومعناه الخُصُوص، فهو قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

فَعَقَلَ المؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ -عند نزول هذا الخبر- أنه لم يَعنِ إبليسَ فِيمَن تَسَعُهُ الرحمةُ؛ لِمَا قدَّمَ فيه من الخبرِ الخاصِّ قبل ذلك وهو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٥]، فكان إبليسُ ومن تَبِعَهُ خارجينَ بهذا الخبرِ الخاصِّ من رحمته التي وسعت كلَّ شيءٍ، فصار معنىٰ ذلك الخبر العامِّ خاصًّا؛ لخروجِ إبليسَ ومن تبِعه مِن رحمة اللهِ تعالىٰ التي وسعت كلَّ شيء، فلمَّا أنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذه الأربعةَ الأخبار، خصَّ العربَ بفهمها ومعرفةِ معانيها وألفاظِها وخصوصِها وعُمومِها والخِطابِ بها، ثم لم يدَعها اشتباهًا علىٰ خلقِه؛ فيجدُ الملحدون السبيلَ إلىٰ الإلحادِ في صفاته، والطعْنِ علىٰ أخباره، والتشبيهِ علىٰ خلقه من غير العرب الذين لم يَعْقِلُوا عنه ما أراد بخطابه، حتىٰ جعلَ فيها بيانًا ظاهرًا وعلمًا واضحًا لا يخفىٰ علىٰ من سمعه وتدَّبرَهُ وتفهَّمَهُ من غير العرب، ممن لا يَعْرِفُ الخاصَّ، والعامَّ، والمحكَم، والمُبْهَم، تفضُّلًا منه وتكرُّمًا وإحسانًا إلىٰ خلقه، وإثباتًا منه للحُجَّةِ علىٰ مَنْ ألحَدَ في كتابه وصفاته وما هو من ذاتِه.

فإذا أنزل اللهُ تبارك وتعالىٰ خبرًا مخرج لفظِه خاصٌّ ومعناه عامٌّ، أو خبرًا مخرجُ لفظه عامٌّ ومعناه خاصٌّ لم يدعْه إشكالًا علىٰ خلقه، حتىٰ يجعل أحد بيانين: إمَّا أن يستثنيَ من الجملة شيئًا يكون بيانًا للناسِ جميعًا، أو يقدِّمَ قبلهُ خبرًا خاصًّا، فإذا أنزل بعده خبرًا عامًّا، لَم يتوهم أحدٌ من

العلماء أنه عنىٰ ما خصَّهُ في الخبر الذي قدَّمه قبل نزول العامِّ إذ كان قد خَصَّه ونَصَّه قبل ذلك].

الشَّرْحُ

ثم ذكرَ مثالًا علىٰ الخبر الذي مَخْرَجُه مخرج العموم ومعناه الخصوصُ هذه الآية ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦]، فَعَقَلَ المؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّه مَا عنىٰ إبليسَ فلا يَدْخُلُ فِيمَن تَسَعُهُ رَحمَةُ اللهِ تعالىٰ؛ لأنه قد قدَّمَ ما يُخصِّصُ ذلك بقوله سبحانه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٥]، فهؤلاء الذين تَبِعوه مِن الإنسِ وَالجِنِّ وَالشياطينِ مَا عمَّتهم الرحمةُ، فقولُهُ: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ عامٌّ ولكنه مخصوصٌ بِمَن هم أهلٌ للرَّحمة، أَمَّا إبليسُ ومن تَبِعَه فقد خرجوا بهذا الخبرِ الخاصِّ من رحمته التي وسعتْ كُلَّ شيءٍ.

أنزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذه الأربعةَ الأقسام: «عامٌّ يُرادُ به العموم، خاصٌّ يُراد به الخصوص، عامٌّ يرادُ به الخصوص، خاصٌّ يُرادُ به العموم»، وقد خُصَّ العربُ الذين يعرفونَ اللغة بفَهْمِها، ومعرفة معانيها، وألفاظِها، وخصوصِها وعمومِها.

وقد ذَكَرَ العلماءُ في أصولِ التفسِيرِ(١) تفاصيلَ للعامِّ والخاصِّ ونحو ذلك، فتتبعُوا ما يكونُ خاصًّا وعامًّا.

لم يَدَعْها سبحانه مُشْتَبِهةً علىٰ خَلْقِه، حتىٰ لا يجدَ المُلحدونُ السبيلَ إلىٰ الإلحادِ في صفاته، أو الطَّعْنِ علىٰ أخباره، أو التشبيهِ علىٰ خلقه من

(١) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص١٤)، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ٢١٧- ٢٢٤، ٣٧٨).

غير العربِ، الذين لم يَعْقِلوا عنه ما أَراد بخطابِهِ، جَعَلَ فِيها بيانًا ظاهرًا وعلمًا واضحًا يعني: بيَّنها بيانًا ظاهرًا، لا يخفىٰ علىٰ مَن سَمِعَه وتدبَّرَه وتفهَّمَهُ من غير العرب فهُم ممَّن لا يعرفُ الخاصَّ، والعامَّ، والمحكَمَ، والمُبهمَ؛ فَيعلمون ذلك تفضُّلًا منه سبحانه، وتكرُّمًا وإحسانًا إلىٰ خلقِه، وإثباتًا للحُجة علىٰ من ألحَدَ في كتابِهِ وأسمائه وصفاتِهِ وما هو من ذاته، فالمُلْحِدون هُم الزَّائغون في قوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠][(١)].

وأنزل اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خبرًا مَخرجُ لفظه خَاصٌّ ومعناه عامٌّ، وخبرًا مَخْرَجُ لفظِه عامٌّ ومعناه خاصٌّ، ومع ذلك لم يَدَعْهُ مشتبهًا علىٰ خلقِه، بل بَيَّنَ وَجَعَلَ أَحَدَ بيانَيْنِ:

البيانُ الأولُ: إما أن يستثني من الجملة شيئًا يكونُ بيانًا للناسِ جميعًا: والاستثناء يكونُ ظاهرًا في التَّخْصِيصُ.

البيانُ الثاني: أو يُقدِّمَ قَبْلَهُ خبرًا خاصًّا -ليُبيِّنَ أنه للخُصوصِ- فإذا أَنْزَلَ بَعْدَهُ خبرًا عامًّا، لم يتوهَّمُ العلماءُ أنه عَنَىٰ ما خَصَّهُ في الخبرِ الذي قدَّمه قبل نزول العام -مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٥٦]- ما يتوَهمُون أنه عَنَىٰ إبليسَ ونحوَه؛ إذ كان قد خصَّهُ ونصَّ عليه.

(١) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٩٧).

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: فأمّـا الخبـرُ الـذي ينـزلُ علىٰ لفـظ العمـوم ثـم يسـتثني مـن الجملـة مـا لـم يَعْنِهِ في العمـوم؛ فهـو قولـه عَزَّوَجَلَّ في قصـة نـوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤]، فَعَقَـلَ المؤمنـون عـن الله عَزَّوَجَلَّ -حيـن استثنىٰ الخمسين سنةً مـن الأَلْـف- أن الأَلْـفَ لـم يَستكملها نـوحٌ في قومِه أيـامَ الطوفـان.

قـال: فـكان ابتـداءُ اللَّفـظ عامًّـا بالألـف سـنة، ومعنـاه خاصًّـا بالاسـتثناءِ للخمسـين سـنة مـن الأَلْـفِ.

ومثـل هـذا في القـرآنِ كثيـرٌ، ولكنـي أَختصـرُ مـن كل خبـر مسـألة واحـدة؛ لِيَقِـفَ مَـنْ بحضـرة أميـرِ المؤمنيـن علـىٰ ذلـك، كمـا أَمَـرَ].

الشَّرْحُ

ذَكَرَ الكِنَانِيُّ أَنَّ الاستثناءَ يُخَصِّصُ ما قَبْلَهُ.

الخبر الـذي ينـزل علىٰ لفـظ العمـوم يَدْخُلُه الاسـتثناء، فـإذا دَخَلَهُ الاسـتثناء أصبـحَ خاصًّـا، يَسـتثنِي اللهُ مـن الجملـةِ مـا لـم يَعْنِـه في العمـوم[١]، كمـا في قِصَّـةِ نُـوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤]:

ذَكَـرَ أَلـف سـنة ثـم اسـتثنىٰ (إلَّا خمسـينَ عامًـا)، لمَّـا اسـتثنىٰ الخمسـين مـن الأَلْـف؛ عَقَـلَ المؤمنـون عـن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ الأَلْـفَ لـم يَسْـتَكْمِلْها نـوحٌ في قومـه، عندمـا كان يدعُوهـم، فـكان ابتـداء اللفـظ عامًّـا بأَلْـفِ سَنةٍ ومعنـاه خاصًّـا باسـتثناءِ الخمسِـين.

---

(١) ينظر: التحبير شرح التحرير (٥/ ٣٢١٨).

والعربُ إذا كان العددُ كثيرًا ذَكَرَتْهُ واستثنتْ جزءًا منه، ولا يَستثنون أكثرَ من النِّصْفِ، قد يَذكرونَ العددَ الكثيرَ؛ لأَجْلِ أن يَعْرِفُوا كَثْرَته، ثُمَّ يَستثنونَ منه، فيقولونَ: «جاءنِي ضُيوفٌ عَشَرةٌ إلَّا اثنين»؛ لِتَفْهَمَ العَشَرَةَ وتَسْتَثني منها اثنينِ، ولا يقولون: «عشرةٌ إلَّا ستة»[1].

يقول عبدُ العزيز: مثلُ هذا الاستثناء في القرآن كثيرٌ، ولكني أختصرُ من كُلِّ خبرٍ مسألةً واحدةً؛ لِيَقِفَ مَنْ بحضرةِ أمير المؤمنين علىٰ ذلك، كَمَا أَمَرَ.

(١) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك (٢/ ٢٩٣).

قال راوي المناظرة:

[وأمَّا الخبرُ الذي يُنزله علىٰ مخْرَجِ العموم، وقد قدَّمَ قبله خبرًا خاصًّا؛ فهو قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]، فكان مخرج الخبرِ باللفظ عامًّا، وكان معناه خاصًّا؛ لِمَا قدَّمَ قَبْلَه من الخصوص في إبليسَ ومن تبِعه بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٥]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[العنكبوت:٢٣]، فَعَقَلَ المؤمنون عن الله تعالىٰ أنه لم يَعنِ هؤلاء الذين قَدَّم فيهِم الأخبارَ الخاصَّةَ؛ لخروجهِم عن الرحمة؛ أنَّهم مَعمومون بالرحمة مع غيرهم بهذا الخبرِ العامِّ.

وكذلك قال عَزَّوَجَلَّ في قصة لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣١،٣٢].

وقال في مَوضعٍ آخرَ: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾[العنكبوت:٣٣]، فَخَصَّ عَزَّوَجَلَّ المرأةَ بالهلاكِ، وقدَّمَ فيها أخبارًا خاصةً بذلك. ثم أَنْزَلَ عَزَّوَجَلَّ خبرًا مخرجه مخرج العموم ومعناه معنىٰ الخصوص فقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾[القمر:٣٤]، فَعَقَلَ المؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ أنه لم يَعْنِ امرأةَ لوطٍ بالنجاةِ؛ لِمَا قدَّم فيها من الأخبار الخاصَّةِ بالهلاكِ.

وكذلك حين قدَّم إلينا عَزَّوَجَلَّ في نَفْسه خبرًا خاصًّا أنه حيٌّ لا يموت بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، ثم أَنْزَلَ خبرًا مخرجه مخرج

العموم ومعناه معنىٰ الخصوص فقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران:١٨٥]، عَقَلَ المؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ أنه لم يَعْنِ نَفْسَهُ مع هذه النفوسِ الميتةِ؛ لِمَا قدَّم إليهِم من الخبر الخاصِّ في نَفْسِهِ أنه حيٌّ لا يموت.

وكذلك حين قَدَّمَ إلينا في كتابه خبرًا خاصًّا فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل:٤٠]، فدلَّ علىٰ قَوْلِهِ باسمٍ معرفةٍ، وعلىٰ الشيء باسمٍ نكرةٍ، فكانا شيئين مُتفرقين عند العرب وأَهل اللغة، فقال: ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾، ولم يقل: (إذا أردناهما)، وقال: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾، ولم يقل: (أن نقول لهما)، ففرَّق بين القَوْلِ والشيءِ المخلوق والذي يقول له: كن؛ فيكونُ بالقَوْلِ مخلوقًا، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الرعد:١٦]؛ فَعَقَلَ المؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ -عند نزول هذا الخبر العام- أنه لم يَعْنِ كَلامَهُ وقَوْلَهُ في الأشياءِ المخلوقةِ؛ لِمَا قدَّمَ في ذلك من الخبرِ الخاصِّ أنَّ الأشياءَ المَخلوقةَ إنما تكون بقَوْلِهِ.

وإنما غَلِطَ بشرٌ ومن قال بقوله، وهلَكوا وتَاهوا وضلوا؛ لجهلِهم بالخاصِّ والعامِّ في القرآن العظيم، وإنما شرَّفَ اللهُ العربَ وفضَّلها بمعرفتها بخاصِّ القرآن وعامِّهِ ومُجْمَلِهِ ومُبْهَمِهِ.

فقال المأمونُ: أحسنتَ أحسنتَ يا عبدَ العزيز].

الشَّرْحُ

ذَكَرَ الكِنانيُّ أمثلةً علىٰ أنَّ الخبر الذي يُنزلهُ علىٰ مخْرَج العموم، وقد تقدَّم قَبْلَهُ خبرٌ خاصٌّ، مثل: قول اللهِ تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]، لفظ العموم قد تقدَّم قَبْلَه مَا يُخَصِّصُهُ، ألَا وَهُوَ: ذِكْرُ إبليسَ

ومَنْ معه، خبرٌ خرج مخرج العموم باللفظ فكان عامًّا، ولكن معناه خَاصٌّ، تقدَّم قَبْلَهُ تخصيصُ إبليسَ ومن معه بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص:٨٥]، هؤلاء ما دَخَلُوا في ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦].

كذلك قَوْله تعالىٰ في سورة العنكبوت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ كفروا بآياتِ الله ولقائِهِ فيَئِسُوا مِن رحمتِي(١) ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[العنكبوت:٢٣]، فَذَكَرَ أَنَّهم لا تَنالُهم رحمةُ الله؛ فلا يدخلونَ في: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، عَقَلَ المؤمنون عن الله أنه ما عَنَىٰ هؤلاء الذين قَدَّمَ فِيهم الأخبارَ الخاصة، ما عَنَىٰ إبليسَ وَالذين كَفَرُوا؛ لخروجِهم عن الرَّحْمَةِ، فليسُوا معمُومِينَ بالرحمةِ مع غيرِهم بهذا الخبرِ العامِّ.

كذلك مثالٌ آخر في قصة لوط: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣١،٣٢]. أخبر أنه يُنَجِّي لوطًا إلَّا امرأته، وفي الآية التي بعدها: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾[العنكبوت:٣٣]، خَصَّ المرأةَ بالهلاكِ(٢)؛ قدَّم فيها أخبارًا خاصة، مع أنه أَنزل خبرًا مَخرجُه العموم ولكن معناه الخصوص في سورة القَمَرِ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر:٣٤]، كلمة (آل لوط) عامَّةٌ، لكن تُخَصِّصُها الآياتُ الأُخرىٰ ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٠).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٧).

ﵟٱمۡرَأَتَكَﵞ، المؤمنونَ يعقِلون أنه ما عَنَىٰ امرأةَ لوطٍ بالنجاةِ؛ لأنَّه قد تقدَّم فيها أخبارٌ خاصةٌ بالهلاكِ.

فكذلك قوله: ﵟخَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖﵞ [الرعد:١٦] عُمومٌ دخله خصوصٌ، كما في هذه الأخبار. كلُّ هذا؛ ليدحض حجة هذا المُلحدِ.

كذلك حين قدَّم إلينا في نفسه تعالىٰ اللهُ خبرًا خاصًّا أنه حيٌّ لا يَمُوتُ: ﵟوَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُﵞ [الفرقان:٥٨]، أَنْزَلَ خبرًا مَخرجه مخرج العُمومِ ولكن معناه الخصوص ﵟكُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗﵞ [آل عمران:١٨٥]؛ يُخَصُّ منه ذاتُ الرَّبِّ تَعَالىٰ؛ الحي الذي لا يموت.

وكما في قوله تعالىٰ: ﵟلَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞﵞ [البقرة:٢٥٥]، عَقَلَ المُؤمِنونَ أنَّ اللهَ تعالىٰ لم يَعنِ نَفْسَهُ مع هذه النُّفوسِ الميتة؛ لِمَا قدَّمَ قبل ذلك من الخبرِ الخاصِّ عن نَفْسِهِ أنَّه حيٌّ لا يموتُ.

وكذلك حين قدَّمَ إلينا في كتابه خبرًا خاصًّا وهو: ﵟإِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُﵞ [النحل:٤٠] هل القَوْلُ هُو الشَّيْءُ؟

يقول: فدلَّ علىٰ (قَوْلِهِ) باسمٍ معرفةٍ، وعلىٰ (الشيءِ) باسمِ نكرةٍ: كلمة (شيء) نكرة، و(قولنا) معرفة، فكانا شيئين -القول والشيء- مُفترقين عند العرب وأهل اللُّغة؛ ﵟإِذَآ أَرَدۡنَٰهُﵞ لم يقل: (أردناهما) -أردنا القول والشيء-، وقال: ﵟأَن نَّقُولَ لَهُۥﵞ لم يقل: (لهمَا)؛ فَفَرَّقَ بين القولِ والشيء، ﵟقَوۡلُنَا لِشَيۡءٍﵞ «الشيءُ» مخلوقٌ، وهو الذي يقول له كن فيكون بالقول مخلوقًا.

ثم عادَ إلىٰ ما استدل به أوَّلًا فقال: ﵟخَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖﵞ، عَقَلَ المُؤمنون عن الله عَزَّوَجَلَّ -عند نزول هذا الخبرِ العامِّ- أنه لم يَعنِ كلامَه، ولا قَوْلَه، في

الأشياء التي هي مخلوقةٌ؛ لِمَا قدَّمَ في ذلك من الخبرِ الخاصِّ أن الأشياءَ المَخلوقةَ لا تكُونُ إلَّا بقَوْلِهِ، لا تُخْلَقُ إلَّا بكلامِهِ.

غَلِطَ بِشْرٌ ومن قال بقَوْلِهِ، هلكوا وتَاهُوا وضَلُّوا؛ لجهلهم بالخاصِّ والعامِّ في القرآنِ العظيمِ، إنَّمَا شَرَّفَ اللهُ العَرَبَ وفضَّلها بمعرفتِها بخاصِّ القرآن وعامِّه، ومُجمله.

الكلامُ واضحٌ؛ لذلك قال المأمونُ: أحسنت يا عبدَ العزيز.

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بِشْرًا خَالَفَ كتابَ الله، وسُنَّةَ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخَالَفَ إجماعَ أصحابِ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال لي المأمونُ: خَالَفَ كتابَ الله عَزَّ وَجَلَّ، وسُنَّةَ رسولِهِ، وإجماعَ أصحابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

قلت: نعم، يا أميرَ المؤمنين؛ أُوقفُك عليه الساعةَ.

قال: قُلْ.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ اليهود ادَّعَتْ تحريمَ أشياءَ، لَم تُحَرَّم عليهم في التوراةِ، وزعموا أنها في التوراةِ مُحَرَّمَةٌ، فقال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣]، فإذا أتوا بالتوراة فتُليت فلم يوجد ما ادَّعوه محرمًا عليهم فيها، كان إِمْساكُ التوراة -عند ذلك- مُكَذِّبًا لقولِهم ومُبْطِلًا لدعواهم، وكذلك أقول لبشر: أتْلُ قرآنًا بما قلتَ، وإلَّا فإنَّ إمساكَ القرآنِ عما تدَّعِيه مُكَذِّبٌ لك مُبْطِلٌ لدَعْوَاكَ.

وكذلك نَنْظُرُ في سُنَّة الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإن كان معه سُنَّةٌ من رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما قال، وإلَّا فإمْساكُ السُّنَّةِ مُكَذِّبٌ لقوله مُبْطِلٌ لدَعواه؛ وهما الأصلُ الذي أصَّلناهُ بَيْنَنَا، وأَشْهَدْنَا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءه- علىٰ أنفسِنا به، وشَرَطْنَا علىٰ أنفسِنا: إسقاطَ كلِّ ما لم يُوجدْ في كتاب اللهِ وسُنَّةِ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا خلافُ أَصحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإنَّ أصحابه اختلفوا في الحلال والحرام، ومَخارجِ الأحكامِ، فلم يُخطِّئْ بعضُهُم بعضًا، فهُم مِن أَن يُكَفِّرَ بعضُهم بعضًا أبعدُ.

وبِشْـرٌ يـا أميـرَ المؤمنيـن ادَّعـىٰ علـىٰ الأُمَّـةِ كلمِـةً تَأَوَّلَهـا بغيـر علـمٍ منـه لِمعناهـا، وبمـا أراد اللهُ عَزَّوَجَلَّ بهـا، ولـم يجدْ لهـا في كِتـابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مـا ينُصُّهـا ولا مـا يَدُلُّ علىٰ تأويلِهـا، ثـم زَعَـمَ أنَّ مـن خَالَفَـه عليهـا كافـرٌ حـلالُ الـدَّمِ! فأبـاحَ دمَ الأُمَّـةِ جميعًـا علىٰ ذلـك! فهـو خـارجٌ عـن إجماع أصحـابِ مُحَمَّـد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

الشَّرحُ

قـال عبدُ العزيـز: يـا أميـرَ المؤمنيـن، إن بشـرًا خالـفَ الكتـابَ والسُّـنَّة وإجمـاعَ الصحابـةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فسـألهُ: كيـف هـذا الخـلافُ؟!

فقلـتُ: أُوقِفُـكَ عليـه السـاعةَ: إنَّ اليهـود ادَّعَـت تَحرِيـمَ أشـياءَ لـم تُحَـرَّم عليهـم في التـوراة، في قولهِـم: إنَّ اللهَ حَـرَّمَ علينـا لُحـومَ الإبـلِ، ونحـو ذلـك[1]، فلذلـك زَعَمُـوا أنهـا في التـوراة مُحَرَّمَـة، فقـال الله تعالـىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وذلـك بَعْـدَ مَـا ذَكَـرَ أنَّ إسـرائيلَ حَـرَّمَ علـىٰ نفسـه بعـض الأطعمـة[2]، فقـال تعالـىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾[آل عمران:٩٣]، لَـو أتـوا بالتـوراةِ مـا وُجِـدَ مـا ادَّعـوه ممَّـا هـو مُحَرَّمٌ عليهـم، فكَوْنُ التـوراة ليس فيهـا ذلـك الشـيء يُكَـذِّبُ قولَهـم، ويُبطِـلُ دَعواهـم.

أقـول لبشـر: أتْـلُ قُرآنًـا بمَـا قلـتَ -ائـت بآيـةٍ بمـا قلـتَ-؛ فإمسـاكُ القـرآن وعَـدَم ذكـرِ مـا تَدَّعِيـه فيـه يُكَـذِّبُ دَعـواكَ.

نـنظر في السُّنَّة: إذا كان معك سُنَّةٌ صحيحةٌ، وإلَّا فإنَّ قولك باطلٌ.

هـذانِ -الكتـابُ وَالسُّـنَّة- همـا الأصـلُ الـذي أصَّلنـاه بيننـا، وأشْـهَدْنَا

(١) ينظر: معاني القرآن للنَّحَّاس (١/ ٤٤١)، وتفسير الطبري (٥/ ٥٨٤).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٤/ ١٣٥).

أميرَ المؤمنين علىٰ أنفسنا، وشَرَطْنَا علىٰ أَنفسنا إسقاطَ كُلِّ ما لم يوجَدْ في الكتابِ وَالسُّنَّة.

أَمَّا الإجماعُ، فالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ اختَلفوا في الحلالِ والحرامِ، واختلفوا في مَخارجِ الأحكامِ؛ ومع ذلك لم يُخَطِّئْ بعضُهُم بعضًا، فهُم من أَن يُكَفِّرَ بعضُهُم بعضًا أبعدُ، مع ما اختَلَفُوا فيه من المَسائلِ الفُرُوعِيَّةِ.

ادَّعَىٰ بِشْرٌ علىٰ الأُمَّةِ كلمةً تَأَوَّلها، بغير علمٍ بمعناها -في قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ﴾ [الرعد:١٦]- ولا بِما أراد اللهُ بها، ولم يَجِدْ لها في كتاب اللهِ عَزَّوَجَلَّ ما يَنُصُّهَا، ولا ما يَدُلُّ علىٰ تأويلِها، ثم زَعَمَ أنَّ مَن خالَفه علىٰ مقالته -أنَّ القرآنَ مخلوقٌ- أنَّه كافرٌ، وأنَّه حلالُ الدَّمِ؛ أباحَ دمَ الأُمة جميعًا علىٰ ذلك، أليس هذا خروجًا عن إجماعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؟!

قال راوي المناظرة:

[فقال بِشْرٌ: قد خَطَبْتَ وتكلمتَ وهَذَيْتَ وتركتُكَ حتىٰ تفرُغَ مما ادَّعِيتَ من إبطال خلقِ القرآن بنصِّ التنزيل، ومَعنا من كتاب الله آيةٌ لا يتهيأُ لك معارضتُها، ولا دفعُها، ولا التشبيهُ فيها، ولا الخُطَبُ عليها، كما فَعَلْتَ في غيرهَا، وإنما أَخَّرْتُها؛ لِيكونَ انقضاءُ المجلسِ عليها وسَفْكُ دَمِكَ بِهَا!].

الشرح

يقول عبدُ العزيز: إن بِشْرًا المَرِيسيَّ بعد هذا الكلَام عَابَهُ، وقال: قد خَطَبْتَ وتكلمتَ وهَذَيْتَ، جَعَلَ كلَامَهُ هُذَاءً، وتركتُك حتىٰ تفرُغَ مما ادعيتَ من إبطالِ خلقِ القرآن بِنَصِّ التنزيل، ثم قال: ومَعنا من كتاب الله آيةٌ، كأنه أراد أن يَدَّعِيَ أن هناك آيةً أخرىٰ لا يتهيأُ لك ولا تَقْدِرُ علىٰ مُعارضتها، ولا دفْعها، ولا التشبيه فيها، ولا الخُطَب عليها، كما فعلتَ في غيرِهَا، فأَخَّرتُهَا؛ ليكونَ انقضاءُ المجلس عليها، وسَفْكُ دَمِكَ عليها، يعني: أنك لا تقدِرُ علىٰ أَن تُعارِضها، وستكونُ الحُجَّةُ عليك، وسوف تُقْتَلُ!

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فقلتُ له: هاتِها، وأنا أُشْهِدُ أميرَ المؤمنين علىٰ نفسي: أني أولُ من يتبعك عليها، ويقولُ بها، ويَرْجِعُ عن قوله، ويُكذِّبُ نَفْسَه، ويتوبُ إلىٰ الله، إن كان معك نصُّ التنزيل، وكُلُّ من خالفَ نصَّ التنزيل فهو كافر، واللهِ لَو اجتمعت الإنسُ والجنُّ علىٰ ما قلتَ أن يأتوا به لم يَقدِرُوا أن يأتوا به ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا!].

الشرح

طلبَ منه أن يأتي بهذه الآيةِ، ويقول له: وأنا أُشْهِدُ أميرَ المؤمنين علىٰ نفسي أني أتبعُكَ عليها إن كانت صحيحة، وأرجعُ عن قولي، وأكذِّبُ نفسي، وأتوبُ إلىٰ الله، إذا كان معك نصٌّ صحيحٌ، فكُلُّ مَن خالفَ نصَّ التنزيل فإنه كافرٌ، قال اللهُ تعالىٰ عن القرآن: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾[الإسراء:٨٨].

قال راوي المناظرة:

[قال بشرٌ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣]!].

الشَّرح

استدلَ بِشرٌ بهذه الآيَة في أول سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ...﴾ [الزخرف:٣].
تعتقدُ المعتزلةُ: أنَّ «جَعَلَ» بمعنىٰ: «خَلقَ»!

ذَكَرُوا أنَّ الزَّمَخشريَّ(١) -وهو من رُؤُوس المُعتزلة- لمَّا أَلَّفَ كتابَهُ التفسيرَ المشهورَ المُسَمَّىٰ بـ: (الكشَّافِ) جعلَ مبدأَهُ: (الحمدُ لله الذي خَلَقَ القرآن!)، فقال له بَعضُ تلاميذه: (إنَّ هذا يُنَفِّرُ من كتَابِك)، فغَيَّره، وقال: (الحمدُ لله الذي جَعَلَ القرآنَ)، فَعِنْدَهُم (جَعَلَ) بمعنىٰ: (خَلَقَ)! ولكن الذين طَبَعُوهُ(٢) جَعَلوه: (الذي أَنزلَ القرآن)! وهو -بلا شكٍّ- تغييرٌ لمَا وَضَعَهُ عليه(٣).

(١) أبو القاسم، محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، صاحب الكشاف، والمفصَّل. كان رأسًا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، كان داعيةً إلىٰ الاعتزال. توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمئة. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥١-١٥٦).
(٢) ينظر -مثلا-: طبعات كلكتا، والعبيكان.
(٣) ينظر: وَفَيَات الأعيان (٥/ ١٧٠).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ له: لا أعرفُ أحدًا من المؤمنين إلَّا وهو يؤمنُ بهذا، ويقول: «إنَّ اللهَ جَعَلَ القرآن عربيًّا»، ولا يخالفُ ذلك، فأيُّ شيءٍ في هذا من الحجة لك والدليلِ علىٰ خلقه؟!].

الشَّرح

هذا صحيحٌ بلا شك؛ فكُلنا نؤمنُ بهذه الآية أنَّ اللهَ تعالىٰ جعله عربيًّا، لا نخالفُ في ذلك؛ إِذن ما هي حُجَّتُكَ، وما الدَّلِيلُ علىٰ أَن القرآنَ مَخلوقٌ من هذه الآية؟

قال راوي المناظرة:

[قال بشرٌ: وهل في الخليقةِ أحدٌ يشك في هذا أو يُخالفُ عليَّ فيه أَنَّ معنىٰ جعلناه: خلقناهُ؟!].

الشرح

يدَّعِي بِشْرٌ أنَّه مَا يَشُكُّ أَحَدٌ، ولا يُخَالِفُ في أنَّ معنىٰ (جَعَلْناه): خَلَقْناه، وهذا كَذِبٌ، معناه عندهم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ [الزخرف:٣]، يَعْني: إنَّا خلقناه؟! نعوذ باللهِ!

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: يا أميرَ المؤمنين، هاتِ نصَّ التنزيلِ الذي قال يأتِي به ورجعنا إلىٰ معناه وتأْويله].

الشَّرحُ

قال عبدُ العزيز للمأمون: هاتِ نصَّ التنزيل الذي قال يأتي به، هذا نصُّ التنزيل، رجعنا إلىٰ معناه وتأويلِهِ.

قال راوي المناظرة:

[فقال بِشرٌ: ما هذا تأويلٌ ولا تفسِيرٌ ولا معنًى، ولا هو إلا نصُّ التنزيل!].

الشَّرحُ

فقال بِشرٌ: ما هذا تأويلٌ ولا تفسِيرٌ ولا معنًى، ولا هو إلا نصُّ التنزيل.

صحيحٌ أنه نصُّ التنزيل، ولكن لا دَلَالَةَ فِيه.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبلتُ علىٰ المأمونِ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنَّ القرآن مُنَزَّلٌ بلسانِك وبلسانِ قومك، وأنت أفهمُ أهل الأرضِ بلغة العرب ومعاني كلامها، وبِشرٌ رجل من أبناء الأعاجمِ يتأوَّلُ كتابَ الله علىٰ غير ما عَنَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ويُحَرِّفُهُ عن مواضعه ويبدِّل معانيه، ويقول ما تُنكِره العربُ ولا تَتعارفه في كلامها ولغاتها، وأنت أعلمُ خلقِ الله بلغاتِ قومِك، وإنما يُكفِّر بشرٌ الناسَ ويبيحُ دماءَهم بتأويل التنزيل!].

الشَّرح

القرآن نَزَلَ بلغة العرب، وَالخليفة من قريش -وهم مَجْمَعُ العربِ-، فقال عبدُ العزيز: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ القرآنَ منزلٌ بلسانِك، ولسانِ قومِكَ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥]، وأنت أفهمُ العربِ وأهلِ الأرضِ بلغة العربِ، ومعاني كلامِها، وبِشرٌ من أبناء الأعاجم، أصله أَعجمِيٌّ، ليس عربيًّا، ومع ذلك يتأوَّلُ كتابَ الله علىٰ غَيْرِ ما عناهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، يُحَرِّفُ الكَلِمَ عن مواضعِهِ، ويُبَدِّلُ معانيَه، ومع ذلك يقول بما تُنكرهُ العربُ وما لا تعرفُه في كلامها ولغاتها فأنت أعلمُ خلقِ الله بلغة قومك، إنما يكفِّرُ بشرٌ الناسَ بتأويلِ التنزيل، ويبيحُ دماءَهُم بذلك!

قال راوي المناظرة:

[فَجَعَلَ بِشرٌ يقول: جاء الحق وزَهَقَ الباطل! تَرُوحُ يا عبدَ العزيز إلىٰ الكلامِ، والخُطَبِ، والاستغاثة بأمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- لينقطع المجلس! قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩]!

ثم ضرب بِشرٌ بيده علىٰ فخذي وقال: أقبل عليَّ فقد أتيتُ بما لا تقدِر علىٰ دَفْعِهِ، ولا علىٰ التشبيه فيه لينقطع المجلس بثباتِ الحُجَّة عليك، وإيجابِ العقوبة عليك، فإن يكن عندك شيءٌ تتكلَّم به، وإلَّا فقد قَطَعَ اللهُ مَقَالَكَ، وأدحضَ حجتك!

وجعل يصيح، فرَّحنَاكَ في أوَّلِ المجلس، وأطمعناك، حتىٰ انبسطت في الكلام، وتوهمت أنك قد قدرت علىٰ ما أردتَ فأين كلامك واحتجاجك؟! إنه انقطع ذاك، وجاء ما يُخرِسُ اللسان، ويُذهبُ العقلَ، ويُحِلُّ الدَّمَ!].

الشَّرح

ادَّعَىٰ بِشْرٌ -عليه ما يَسْتَحِقُّهُ- أنَّ الحَقَّ جاء بهذه الكلمةِ، وَزَهَقَ الباطل، وقال لعبد العزيز: تَرُوحُ إلىٰ الكلام والخطب والاستغاثةِ بأمير المؤمنين، لينقطع المجلس، وحتىٰ ينقَضي المجلس بهذا الكلام.

ثم ذَكَرَ أنه علىٰ حقٍّ ويستدلُّ بقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

الآيةُ نزلَت في اليهود(١).

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٣٥- ٢٤١).

ثـم ضَـرَبَ بشـرٌ علـىٰ فخـذِ عبدِ العزيـز، وقـال لـه: أقبِـل علـيَّ، قـد أتيـتُ بمـا لا تَقْـدِرُ علـىٰ دَفْعِـه -أتيـت بهـذه الآيـةِ التـي تَعجِـز عنهـا- ولا علـىٰ التشـبيه فيهـا، ينقطـع المجلـس بثبـاتِ الحُجّـة عليـك، وإيجـابِ العقوبـة عليـك، إن كان عنـدك شـيءٌ تتكلـم بـه، وإلَّا قَطَـعَ اللهُ مقالتَـك، وأَدْحَـضَ حُجتـك.

جَعَـلَ يَصيـحُ: فرَّحنـاكَ في أوَّل الأمر بمـا أردتَ، أيـن كلامُـكَ واحتجاجُك؟ إنـه انقَطـع ذاك، وجـاء مـا يُخـرِسُ اللِّسـانَ، ويُذْهِـبُ العقـلَ، ويُحِـلُّ الدَّم!

هكذا يتشبه[1].

وسوف يُجيبه بما يقطع حُجته.

---

(١) لعل مراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: كأنَّ بشْرًا يتشبه... بطريقة عبد العزيز وأسلوبه. والله أعلم.

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: فأقبـل عليَّ المأمـون، فقـال: يـا عبـد العزيـز، مـا لـك قـد أمسكتَ؟! أجبهُ إن كان عندك جوابٌ لمسألته.

فقلـتُ: ليـس يَدَعُنِـي يـا أميـرَ المؤمنيـن أكلمُـه؛ مـن ضجيجـه وصياحـه، فـإن أَمْسَـكَ تكلمـتُ وأجبتُـه وكَسَـرْتُ قَوْلَـه بـإذنِ الله عَزَّوَجَلَّ، وإنْ أرادَ أن يَهْـذِيَ ويَصيـحَ ويُـرَوِّجَ الـكلامَ إلـىٰ قطـعِ المجلس؛ لـم أتكلـمْ، وكان أميـر المؤمنيـن -أطـال الله بقـاءه- أعلـىٰ عينًـا(١) بمـا يَـراه.

فصاح به المأمون: أَمْسِكْ، وَاسْمَعِ الجَوَابَ منه عمَّا سألتَ].

الشَّرح

يقـول المأمـونُ: مـا لـكَ أمسـكتَ يـا عبـد العزيـز؟! أجبْـهُ إن كان عنـدك جـوابٌ، فقـال: إنـه لا يَدَعُنِـي أُكَلِّمُـهُ، لـه ضَجيـج وصِيـاحٌ، إذا أمسَـكَ تكلمـتُ وأجبتُـه وكسـرتُ قَوْلَـه، وإنْ أراد أن يَهْـذِيَ ويـروِّجَ الـكلام إلـىٰ قطـعِ المجلس؛ مـا تكلمـتُ.

وكان أميـرُ المؤمنيـن -أطـال الله بقـاءه- أعلـىٰ عينًـا بمـا يـراه، فصـاح المأمـونُ: أمسِـكْ، اسـمَع الجـوابَ منـه عمَّـا سـألتَ.

(١) أي: أَبْصَرُ به وأَعْلَمُ بحاله. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٢٩٥). وستأتي مرَّتين.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأَمْسَكَ.

فقال لي المأمونُ: تكلم يا عبد العزيز بما تريدُ.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بَقَاءَكَ- ما خَفِيَ عليك حرفٌ واحدٌ ممَّا جرىٰ اليوم في مَجْلِسِكَ، ولنِعْمَ الحاكمُ أنت! جزاكَ اللهُ عن رعيتكَ أفضلَ الجزاء. وبِشْرٌ يقول: ما يخطرُ ببالِه من غير علمٍ ولا حقيقةٍ لقوله، فإنْ رأىٰ أميرُ المؤمنين أن يتحفظَ علينا ألفاظَنا، وما يجري بيننا في هذه المسألةِ، ويَشْهدَ علينا بما نقولُ، ويُطَالِبَ كُلُّ واحدٍ منا صاحِبَهُ بإقامة الشَّاهِد علىٰ ما يقولُ من الكتاب والسُّنَّة- فَعَلَ.

فقال: أنا أفعل ذلك منذ اليوم].

الشرح

فأمسَك بشرٌ، فقال المأمونُ لعبد العزيز: تَكلَّمْ بما تُريد.

فقال: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك-، ما خفِيَ عليك حرفٌ واحدٌ -يعني: من جُملةِ ما تكلَّمَ به- ممَّا جرىٰ في مجلسك، ونِعمَ الحاكمُ أنت! جزاك اللهُ عن رعيتك أفضل الجزاء، وبِشْرٌ يقول ما يَخْطُرُ بباله من غير علمٍ ولا حقيقة لقوله، وهو صريح كذلك.

إذا رأَىٰ أميرُ المؤمنين أن يتحفظ علينا ألفاظنا، وما يجري بيننا في هذه المسألة، ويَشْهَدَ علينا بما نقولُ، ويَطالبَ كلُّ واحدٍ منا صاحبَهُ بإقامة الشاهد علىٰ ما يقول- فَعَلَ.

فقال المأْمونُ: أنا أفعل ذلك منذ اليوم.

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فأقبلتُ على بشر فقلتُ: أخبرني عن (جَعَلَ) هل هذا حرفٌ مُحكم لا يَحْتَمِلُ غير الخلقِ؟

فقال بِشرٌ: نعم، هو حرفٌ مُحكمٌ، لا يحتملُ معنًى غيرَ الخلقِ، وما بين (جَعَلَ) و(خَلَقَ) فرقٌ عندي، ولا عند غيري من سَائِر الناس، ولا عند أحدٍ من العرب، ولا من العجمِ، ولا يتعارف الناسُ ولا يَعقلونَ غيرَ هذا في كلامهم ولغاتِهم؛ سواءٌ عندهم قالوا: (خَلَقَ) أو (جَعَلَ)!].

الشَّرحُ

قال له: أخبرني عن كلمةِ (جَعَلَ) حرفٌ مُحْكَمٌ لا يَحتملُ غيرَ الخَلْقِ؟ فقال بِشرٌ: نَعَم، مُحكَمٌ، لا يحتملُ غير الخلقِ، ما بين (جَعَلَ) و(خَلَقَ) فرقٌ عندي، وعند غيرِي من سائرِ الناس، ولا عند العرب، ولا العَجمِ، ما يتعارفُ الناسُ ولا يَعقِلونَ فيه غيرَ هذا.

في كلامهم (خَلَقَ) و(جَعَلَ) سواءٌ.

هكذا ادَّعَىٰ! وسوف يبطل كلامه.

قال راوي المناظرة:

[فقلتُ لبشر: أخبرني عن نفسكَ، ودع ذكرَ العربِ وسائر الناس، فأنا من الناس، ومن الخلق، ومن العرب؛ أخالفُكَ علىٰ هذا، وكذلك سَائِرُ العربِ تخالفُك.

فقال بِشرٌ: هذا باطل منك، ودعْوىٰ تدَّعِيهَا علىٰ العربِ، وغيرهم، وليس يُخالفُ في هذا أحدٌ من خلقِ الله غيرُكَ؛ خوفًا علىٰ نفسكَ مما هو نازلٌ بك لا مَحَالةَ!].

الشرح

قال لهُ عبد العزيز: أخبرني عن نَفْسِكَ، اترك العربَ، اترك الناسَ، أنا من الناس، وأخالفُك! أنا من العرب وأخالفُك، وكذلك العربُ يخالفُونكَ.

قال بشرٌ: هذا باطل منك، ودعوىٰ تَدَّعِيها علىٰ العربِ، وغيرهم، ما يخالفُك في هذا أحدٌ من خلق الله غيرُك، تخافُ علىٰ نفسكَ من القتلِ الذي هو نازلٌ بك.

هكذا يُهَوِّلُ عليه!

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: أخبرني بإجماعِ الخلق بزعمكَ علىٰ أَنَّ (جَعَلَ) و(خَلَقَ) واحدٌ لا فرقَ بينهما، في هذا الحرف وَحْدَه، أو في سَائِر القرآن من الجعل؟

قال: بل في سَائِر القرآن من ذلك، وفي سَائِر الكلامِ والأخبارِ والأشعارِ!].

الشَّرحُ

يَدَّعِي بشرٌ أن (جَعَلَ) و(خَلَقَ) واحدٌ، يقول: لا فَرْقَ بينهما، فقال له: هل هو في هذا الحَرْفِ وَحْدَهُ، أو في كلمةِ (جَعَلَ) في القرآن كُلِّهِ؟

قال: بل في سَائِر القرآن -كله-، وكلامِ العربِ، والأخبار، والأشعار- أنَّ (جَعَلَ) بمعنىٰ: (خَلَقَ)!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: حَفِظَ عليك أَمِيرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- ما قلتَ، وشَهِدَ به عليك.

فقال بِشر: أنا أُعِيدُ هذا القولَ عليك متىٰ سألتني عنه، ولا أخالِفهُ، ولا أرجعُ عنه!].

الشرح

يقول عبد العزيز: قد حفِظَ عليك ما قلتَ: أنَّ «جَعَلَ» بمعنىٰ: «خَلَقَ» في القرآن كله، وشهدوا به عليك، فأقرَّ بذلك بِشرٌ وقال: أنا أعِيدُ هذا القولَ عليك متىٰ سألتنِي، لا أخالفُه، ولا أتراجعُ عنه: أنَّ (جَعَلَ) بمعنىٰ: (خَلَقَ)!

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فقلتُ لبشر: زعمتَ أن معنىٰ: ﴿جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣]: خَلقناهُ قرآنًا عربيًّا!

قال: نعم، هكذا قلتُ، وهكذا أقول أبدًا!

فقلتُ: اللهُ عَزَّوَجَلَّ تفرَّدَ بخلقهِ ولم يشاركهُ فيه أحدٌ، أو شاركه في خلقِه أحدٌ؟

قال: بل اللهُ خلقهُ، وتفرَّد بخلقِه، ولم يشاركهُ في خلقِه أحدٌ].

الشَّرحُ

قال عبدُ العزيز: زعمتَ يا بِشرُ أنَّ قوله سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف:٣]، أيْ: خلقناه قرآنًا؟!

قال: نعم، هكذا قلتُ، وهكذا أقولُ أبدًا.

فقلتُ: اللهُ تعالىٰ تفرَّد بخَلْقِه، ما شاركه فيه أحد، أو شاركه في خلقه أحدٌ؟

قال بِشرٌ: اللهُ خَلَقَهُ، تفرَّد بخَلْقِهِ، ما شاركه في خَلْقِه أحدٌ.

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: أخبـرني عمَّـن قـال: «إنَّ بعـضَ ولـدِ آدمَ خَلقُـوا القـرآن مـن دون اللهِ»، أمؤمـنٌ هـو أم كافـر؟

فقال: بل كافرٌ حلالُ الدَّمِ.

فقلتُ: وأنا أقول أيضًا هكذا: كافر حلالُ الدَّمِ].

الشَّرح

أخـذ عبـد العزيـز يُقـرِّرُ بشـرًا فيقـول لـه: «مـن قـال: إنَّ بَعـض النـاسِ خلقـوا القـرآنَ مِـن دون اللهِ» هـل يكـونُ مؤمنًـا أم كافـرًا؟

قال بشرٌ: بل كافر حلال الدَّم.

فقـال عبـد العزيـز: وأنـا أقـول أيضًـا: إنـه حـلالُ الـدَّمِ، وسـيأتي(١) دليـل ذلـك في قولـه تعالـىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١].

---

(١) يأتي (ص٢١٦-٢١٨).

قال راوي المناظرة:

[قلتُ: فأخبرِني عمَّن قال: إن التوراة خلقها اليهودُ من دون اللهِ تعالىٰ، أمؤمنٌ هو أم كافر؟

قال: بل كافرٌ حلالُ الدَّمِ.

فقلتُ: وأنا أقولُ أيضًا هكذا: كافرٌ حلالُ الدَّمِ.

قلتُ: فأخبرِني عمَّن قال: إنَّ بني آدَمَ خَلقُوا اللهَ، وإنَّ اللهَ أخبرَ بذلك، أمؤمنٌ هو أم كافر؟

قال: بل كافر حلالُ الدَّمِ.

قلتُ: وأنا أقول أيضًا مثل ذلك].

الشَّرح

هذه سيأتي أدلتها[1]، قد ذكر الله أنَّ اليهود جعلوا التوراة قراطيس: ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام:٩١].

وقال لهُ: أخبرني عمَّن قال: إنَّ التوراةَ خلقَها اليهودُ من دون اللهِ تعالىٰ، هل يكونُ مؤمنًا أم كافرًا؟

قال: كافر، حلالُ الدَّمِ. فوافقه عبد العزيز.

فقال له: أخبرني عمَّن قال: «إنَّ بني آدمَ خلقوا اللهَ، وإنَّ اللهَ أخبرَ بذلك» فهل هو مؤمنٌ أم كافرٌ؟

قال: بل كافرٌ حلال الدَّم، وأنا أقول ذلك أيضًا.

---

(١) يأتي (ص٢٢٢-٢٢٧).

قال راوي المناظرة:

[فأخبرني يا بشرُ، أليس اللهَ خَلقَ الخلقَ كلَّهم أجمعين؟

قال: بلىٰ.

قلتُ: فهل شاركه في خلقِهِم أحدٌ؟

قال: لا.

قلتُ: فمَن قال: إنَّ بعض بني آدمَ خَلقوا اللهَ، أمؤمنٌ هو أم كافر؟

قال: بل كافر حلالُ الدَّمِ.

قلتُ: وأنا هكذا أقول].

الشَّرحُ

وقال له: أليس اللهُ الذي خَلقَ الخلقَ كلهم؟

يقول: بلىٰ.

هل شاركه في خلقهم أحدٌ؟

قال بشرٌ: لا.

فيقول له: فمَن ادَّعَىٰ أنَّ بَعض بني آدمَ خلقوا اللهَ، أمؤمنٌ أم كافرٌ؟

يقول بشرٌ: كافر حلال الدَّم.

قال راوي المناظرة:

[قال بِشرٌ: قد قعدت تمتحنُني وتشغلُني حتىٰ يؤذَّنَ بالظهر وينقطع المجلسُ؛ رجاء أن تنصرفَ منه سالمًا! وهو ما لا يكون، فهل عندك جوابٌ لمسألتي؟ وإلَّا فقد انقطعَ الكلامُ، أي شيء هذه الخرافات؟

قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، ليس يُنصِفُني فأْمُرْهُ أن يجيبَني عَمَّا أسألهُ عنه، فإن الذي بقِيَ أيسر، ثم أُجِيبُه عن مسألته وعن كلامه.

فقال له المأمونُ: أَجِبْهُ عن كلامه وما يسأَلك.

قال: الساعة يؤذَّن بالصلاة وينقطعُ المجلس.

فقال المأمونُ: يُؤَخَّرُ الأذانُ بالصَّلاةِ إلىٰ آخرِ الوقتِ، وإن احتَجتُمَا إلىٰ المجلسِ بعد الصلاةِ لتَمَامِ الكلامِ- جلستُ لكما حتىٰ تفْرُغَا].

الشرح

يقول بشرٌ: أوردتَ عليَّ هذا الكلام، وهذه المسائل، تريد بذلك أن ينتَهِيَ الوقتُ، وينقطِعُ الكلامُ.

يقول عبدُ العزيز يا أميرَ المؤمنين: ليس يُنصِفُنِي، فمُرْهُ أن يُجِيبَني عما أسأله عنه، فالذي بقِيَ أيسرٌ، وأُجِيبُهُ عن مسألته وعن كلامه.

فقال المأمون: يا بشرُ: أَجِبْهُ عن كلامه وما يسألك.

يقول بِشر: الساعَة يؤذن بالصلاة وينقطِعُ المجلس.

فقال المأمونُ: نُؤَخِّرُ الأذانَ بالصلاةِ، وإن احتجتُما إلىٰ المجلسِ بعد الصلاة جلستُ لكُما حتىٰ تَفرُغَا.

كان الوقت قد قَرُبَ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: ثم أقبل عليَّ المأمونُ فقال: سَلهُ يا عبدَ العزيز عمَّا تريدُ، ولا تدع شيئًا مما تحتاج إليه؛ فإنِّي مُتَحَفِّظ عليكما جميعَ ما يجري بينكما، وشاهدٌ عليكما.

فقلتُ له: جزاك اللهُ عني يا أميرَ المؤمنين خاصّة، وعن رعيتك عامَّة، أفضل الجزاءِ؛ فقد جلستَ مِنَّا اليوم مَجلسَ الإمامِ العادلِ، وأحسنت إليَّ حين رأيتَني جَزِعًا فسكَّنتَ رَوْعَتِي، وآنستَ وحشتِي، وبسطت لسانِي بحُجَّتي، وتابعتَ الحقَّ حين ظهر لك، ودَافعتَ وانتصرتَ له وشهدتَ لي بثبات الحجة، ودفعتَ أهلَ الباطلِ حتىٰ زهقَ واضمحلَّ، وبانتَ فضيحتُه، وشهدتَ علىٰ بطلانه، وأنصفتَ في مجلسك، وكان ذلك كُلُّهُ منك بتوفيقِ اللهِ تعالىٰ وتأْييده إياك؛ فله الحمدُ والشكر علىٰ مَا أوْلاك وأوْلَىٰ رَعيتكَ فيك، يجزيك اللهُ أفضلَ ما جَازَىٰ أحدًا من الأئمة عن رعيته.

فقال لي المأمون: قد أبلغت يا عبدَ العزيز في القول والشكر، ولك الزيادةُ مما ابتدأناك به، فارجع إلىٰ مسألة بِشر، واسأله عمّا تريد.

قال عبدُ العزيز: فأقبلت علىٰ بشر فقلت: أخبرني عمَّن زعم أنَّ بعض بني آدمَ خلقوا الملائكة من دون اللهِ تعالىٰ أمؤمنٌ هو أم كافرٌ؟

قال: بل كافر حلال الدَّم.

فقلت: وأنا أقول هكذا أيضًا.

قلتُ: أخبرني عمَّن زعم أن بعض بني آدمَ خلقوا لله شركاء، أمؤمنٌ هو أم كافر؟

قال: بل كافر حلال الدَّم.

قلت: وهكذا أقول أنا -أيضًا-].

الشَّرح

قال المَأْمُونُ لعبد العزيز: سَله عَمَّا تريد، ولا تدع شيئًا، إنِّي مُتحفظٌ عليكما، جميع ما يجري بينكما، وأنا شاهدٌ عليكما.

فأخذ يَدعُو عبد العزيز له، جزاك اللهُ عني خيرًا خاصة، وعن رعيتك عامة.

جلستَ مني مجلسَ الإمام العادل، لمَّا جاء -أوَّلَ الأمر- رآهُ راهِبًا، أو مُرْتعشًا، فسكَّنَ رَوْعته، وآنَسَ وَحْشَته، وأمَّنَهُ، حتىٰ بسطَ لسَانَهُ بالحجة، وأقامَ الحقَّ حين ظَهَرَ.

ودافعتَ أيها الخليفة وانتصرتَ له، وشهدتَ لي بثبات الحجةِ، دَفَعتَ أهل الباطلِ حتىٰ زهقَ واضمَحَلَّ، وبانتَ فضيحتُه، شهدتَ علىٰ بطلانه، وأنصفتَ في مجلسك، وكان ذلك كله منك بتوفيق اللهِ وتأْييده إِيَّاك، فله الحمدُ والشكرُ علىٰ مَا أَولاك.

فقال له المأمونُ: لقد أبلغتَ في الثَّناء والشكرِ، لك الشكرُ وزيادةٌ. ارجع إلىٰ مسألة بشر.

قال عبد العزيز: فأقبلتُ علىٰ بشرٍ فقلتُ: أخبرني عمَّن زعمَ أن بعض بني آدَمَ خلقوا الملائكة من دون اللهِ تعالىٰ، أمؤمنٌ هو أم كافرٌ؟

قال: بل كافرٌ حلالُ الدَّمِ.

فقلتُ: وأنا أقولُ هكذا أيضًا.

الذين قالوا: لله شُركاء في قولِه تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الأنعام:١٠٠]، هل معنىٰ جعلوا لله شركاءَ يعني: خلقوا شركاءَ؟

فما حكم مَن قال ذلك؟ اعترفَ بشرٌ أنَّه كافرٌ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبلتُ على المأمونِ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد أقرَّ بشرٌ أنه كافرٌ حلالُ الدَّم، وكُلُّ مَن قال بقوله، ووافقه على مذهبِهِ، ثم ندمت على قولي وعلمتُ أني قد أخطأتُ، وأطرق المأمونُ إطراقَ مُغْضَبٍ!

ونظرَ إليه بشرٌ، فقال: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- يكفرنا، ويحل دماءنا بحضرتك وفي مجلسك بلا حجة ظهرتْ، وإنما سبب ذلك الكلام لِيقولَ هذا!

قال عبدُ العزيز: فقلتُ له: قد شهد عليك أَمير المؤمنين بما قلتَ.

فقال لي المأمونُ: لقد أفحشتَ القول، وأعظمتَه، واستَشهَدتَني على ما لم أسمعه، ولم أشهد على بشر به، ولا على أحد يقول بقوله!

قال عبدُ العزيز: يا أميرَ المؤمنين، اسمع قولي: فإن كنتُ قلتُ حقًّا، وأن بشرًا قد كفَّر نفسَه، ومن قال بمقالته، وأحلَّ دمَه ودماءَهُم وانتزعتُ على كُلِّ حرف من كلامي بآيةٍ من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ وإلَّا فدمي حلال، وليأمر أَميرُ المؤمنين بضرب عنقي الساعةَ على رُؤُوس الأشهادِ.

وإن أتيتُ على ما قلتُ ولَفَظْتُ به بنصِّ الكتابِ والتنزيل في كل لفظةٍ، وأقمتُ الشهادة على بشرٍ من كتابِ الله؛ وَسِعَني عدلُ أمير المؤمنين.

قال: فقال لي: هاتِ ما عندك، ولا تُطِلِ الكلامَ بغير حجةٍ].

الشرح

يقول عبدُ العزيز: أقبلتُ على المأمونِ، وقلتُ: قد أقرَّ بِشْرٌ أنه كافرٌ حلالُ الدَّم والمالِ، يعني بهذه الحُججِ، وكذلك كُلُّ من قال بقوله، ووافقَه

علىٰ مذهبِه، ثـم ندمـت علىٰ قولـي، وعلمـتُ أني قـد أخطـأتُ، وأطـرق المأمونُ مُغضبًا.

نظـر إليـه بشـرٌ فقـال: يـا أميـرَ المؤمنيـن -أطـال الله بقـاءك- يُكفِّرنـا ويُحِـلُّ دماءنـا بحضرتِـك، وفي مجلسـك، بـلا حُجَّـةٍ ظهـرتْ، وإنمـا سـبب ذلـك ليقـولَ هـذه المقالـة.

فقـال عبدُ العزيـز: شـهدَ عليـك أميـرُ المؤمنيـن في هـذه الكلمـاتِ: أنَّ مَـن قـال: إن بنـي آدَمَ خَلقُـوا اللهَ فهـو كافـرٌ، وإنَّ بنـي آدَمَ خَلَقُـوا الملائكـة مـع الله فهـو كافـرٌ، وأشـباهَ ذلـك: أَن بنـي آدَمَ أحـدٌ منهـم خَلقـوا القـرآن مـع الله ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١].

فقـال المأمـونُ: قـد أفحشـتَ في هـذا الـكلامِ، وأعظمتـه، واستشـهَدتِني علىٰ مـا لـم أسـمعه ولـم أشـهد علىٰ بشـر بـه.

قال عبدُ العزيز للمأمونِ: اسمع قولي:

إن كنـتُ قلـتُ حقًّـا، أنَّ بشـرًا قـد كَفَّـرَ نفسَـه، وكُلّ مَـن قـال بمقالتِه وأحـلَّ دمه ودماءَهـم، انتزعـتُ علىٰ كُلِّ حـرفٍ من كلامـي بآيـةٍ، أي: أتيـت بآيـة تشـهدُ علىٰ ذلـك -وإلَّا فدمي حـلال- وليأمرُ بضربِ عنقـي السـاعةَ علىٰ رُؤُوسِ النـاس.

لكـن إذا أتيـتُ علىٰ مـا قلـتُ بِنَـصٍّ مـنَ الكتـاب، وأقمـتُ الشـهادةَ علىٰ بِشـرٍ مـن كتـاب الله؛ وَسِـعِني عـدلُ أميـرِ المؤمنيـن.

فقال: هاتِ ما عندك، ولا تُطِل الكلام.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾[النحل:٩١]، وقد خَلقتُم اللهَ عليكم كفيلًا، لا معنىٰ لذلك عندَهُ غيره، وأنه ومن قال بقوله، ومن خالفه، وسائرَ العرب والعجم يقولون هذا!

ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم»، وقد كَذَبَ في القول الأول، وصدَقَ في قوله أن من قال هذا حلالُ الدَّمِ بإجماع الأمة!

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ ﴾[البقرة:٢٢٤]، ولا تخْلُقُوا اللهَ عُرضةً لأيمانكم، لا معنىٰ لها عنده، ولا عند من قال بقوله، ومن خالفه، وسائر الخلق جميعًا غير هذا، أن اللهَ قال لبني آدم: (ولا تخْلُقُوا اللهَ)!

ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم، وأمير المؤمنين يشهدُ عليه بهذا اللفظ، وقد كذَبَ في قوله: إن معنىٰ: ﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ﴾: (ولا تخْلُقُوا)! وصدَقَ في قوله: إن من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم بقوله، وقولي، وقول الناسِ جميعًا.

فقال المأمونُ: ما أقبحَ هذا وأشنعَه وأَعْظَمَ القولَ به!

فقلتُ: قال اللهُ سبحانه: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ [النحل:٥٧]، فزعم بشرٌ يا أميرَ المؤمنين أَن بني آدَمَ (يخلقون لله البناتِ)!

يخبرُ بذلك عن الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه هو قاله، وشهد به علىٰ نفسه، ثم قال: من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم بإجماع الأمة].

الشرح

استدلَّ الكنانيُّ بقول الله سُبحانه ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل:٩١]، فمعنىٰ ذلك عندك يا بشرُ: (قد خلقتم الله عليكُم كفيلًا)، لا معنىٰ لها عندكم غير ذلك.

أفتقولونَ: قد خلقتُم اللهَ؟ تعَالىٰ اللهُ.

هذا قولك، ومن قال بقولك، أنت تقولُ: إن (جَعَلَ) بمعنىٰ (خَلَقَ) وكذلك خالفتَ العربَ، وخالفتَ العجمَ بذلك.

فمن قال: إن معنىٰ قوله سُبحانه: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾، أي: خلقتُم اللهَ، فهو كافرٌ حلالُ الدَّم، هذا مثلُ قول بشرٍ: إن من قال (خلقتم اللهَ) فهو كافر حلال الدَّم، وصدق بشر في قوله إنه حلالُ الدَّمِ.

وقوله سُبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾[البقرة:٢٢٤]، معناها عندك يا بشرُ: (ولا تَخْلُقُوا الله عرضة)، لا معنىٰ لها عندك، ولا عند من قال بقولك إلَّا ذلك، ومَن خالفك وسائر الخلق جميعًا لا يقولونَ: إنَّ اللهَ تعالىٰ قال لبَنِي آدَمَ (ولا تَخْلُقُوا اللهَ)، تعالىٰ الله سُبحانه، ثم من قال بهذا فهو كافر، وأنت تُقِرُّ بهذا، يشهدُ عليك أميرُ المؤمنين، كذبتَ بقولك هذا، صدقتَ في قولك: من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم، بقوله، وقولي، وقول الناس جميعًا.

وقوله سُبحانه: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾[النحل:٥٧]، معناها عند بِشرٍ:

(يخلقونَ لله البناتِ)، فهو يُخبِرُ ذلك عن الله أنه قاله، وشَهِدَ به علىٰ نفسه، أن معنىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ﴾: (يَخلقونَ لله)! ومع ذلك يقول بشرٌ: من قال: إنهم يَخلقون لله فهو كافر، صدقَ في قوله: إنه كافرٌ، وكذَبَ في قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ﴾: (يَخلقون).

قال راوي المناظرة:

[قلت: وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [إبراهيم:٣٠]، فزعمَ بِشرٌ يا أميرَ المؤمنين أنَّ معنىٰ «وجعلوا» «وخلَقوا»، ولا معنىٰ له عنده، ولا عند من قال بقوله، غير هذا؛ فزعمَ عن الله عَزَّوَجَلَّ أنه قال: (خلقوا لله أندادًا) ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم بإجماعِ الأُمة».

وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ ﴾[الأنعام:١٠٠]، (وخلقوا له شركاء الجن)، لا معنىٰ له عنده ولا عند من يقول بقوله ومن خالفه ولا عند سَائِر الناس إلا هذا! فزعمَ بشرٌ أن اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخبر أنهم يَخْلُقُونَ له شُركاءَ الجن! ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم»، وقد كذب في قوله: «إن معنىٰ وجعلوا: وخلقوا»، وصدق في قوله: «إن من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم بقوله وقول الناس جميعًا».

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾[الرعد:٣٣]، فزعمَ بشرٌ يا أميرَ المؤمنين أن معنىٰ: وجعلوا: خلقوا لله شركاءَ! لا معنىٰ له عنده ولا عند من قال بقوله ولا من خالَفه ولا عند سَائرِ العرب والعجمِ إلا هذا المعنىٰ فزعمَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخبرَهم أنهم (خلقوا له شركاءَ) وكذَبَ بشرٌ يا أميرَ المؤمنين وقال الباطلَ والزُّور، ولقد نفىٰ اللهُ تعالىٰ ذلك وأبطلهُ، وأخبر أنه لا يَعْلَمُ من هذا شيء وأخبر أن من قال ذلك كافرٌ ضالٌّ بقول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [الرعد:٣٣].

وكما قال: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد:٣٣]].

الشَّرْحُ

قوله سُبحانه: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [إبراهيم:٣٠] معناه عند بشرٍ وأصحابِه: خلقوا لله أندادًا، وقد اعترفَ أن مَن قال ذلك: (خلقوا لله) فهو حلالُ الدَّم، فبهذا أباحَ دَمَ نَفْسِه.

وقوله سُبحانه في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الأنعام:١٠٠] معناه عند بشرٍ، ومَن يقول بقوله: (خَلقُوا لله شركاءَ الجن)، وأمَّا مَن خالفه فلا، ومع ذلك يقول: إنَّ من قال يخلقون فهو كافر، كَذَبَ في قوله: إن معنىٰ جعلوا: خَلقُوا، وصَدَقَ في قوله: «من قال ذلك فهو كافر حلال الدَّم».

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الرعد:٣٣]. هذا علىٰ زَعْمِكَ يا بشرُ أن معناه عندك وعند أصحابِك: خلقوا لله شُركاءَ، وتزعمُ أنه قولُ جميعِ العربِ، وهذا عندك مُجمعٌ عليه! كذَبَ بشرٌ، وقولُه باطلٌ وزوُرٌ، فقد نفىٰ اللهُ تعالىٰ ذلك، وأبطلهُ، حيث أخبرَ بأنه لا يعلمُ من هذا شيئًا بقوله سُبحانه: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾، يعني: أتخبرُونه بشيءٍ لا يَعلمه؟![1] فمَن قال ذلك فهو كافرٌ ضالٌّ بهذه الآية.

فهذه الآية جاءَ بها؛ ليُبيِّنَ ضلالَهم ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، أنكم صددتم عن السَّبِيل وأنكم ضللتم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد:٣٣].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٥٤٨)، وتفسير البغوي (٤/ ٣٢١).

قال راوي المناظرة:

[وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[الأعراف:١٩٠]، لا معنىٰ له عنده، ولا عند من قال بقوله، وعند الناس جميعًا غير هذا، ثم قال: «مَن قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّمِ»، وَكَذَبَ في الأَوَّلِ، وصَدَقَ في الآخرِ أنه كافرٌ حلال الدَّم بإجماع الأمة.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾[الرعد:١٦]، فزعم بشر إن معنىٰ: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟﴾: (أم خلقوا)، لا معنىٰ له عنده، وعند من قال بقوله، وعند الناس جميعًا غير هذا، وَزَعَمَ أَنَّه مَنْ قال هذا كافرٌ حلالُ الدَّمِ، وكَذَبَ في قوله الأَوَّلِ وصَدَقَ في الآخرِ أنه حلالُ الدَّمِ كافرٌ بإجماع الأمة.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف:١٩] فَزَعَمَ بشرٌ أن معنىٰ قوله، ﴿وَجَعَلُوا۟﴾: وخلقوا الملائكة، ثم قال: من قال هذا كافر حلال الدَّم، وكَذَبَ في الأَوَّل، وصَدَقَ في الآخرِ أن من قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّمِ بإجماع الأمة.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾[الأنعام:٩١]، فزعمَ بشرٌ يا أميرَ المؤمنين أن معنىٰ ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾ (تخلقونه)، يعني: أن اليهودَ خَلَقُوا التَّوْراةَ، ومعنىٰ خَلْق التوراة خَلْق كلام اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَزَعَمَ أَنَّ اليهودَ خَلَقَتْ كلامَ اللهِ وأنه لا معنىٰ لذلك عنده، ولا عند غيرِه، ومن قال بقوله، وعند سَائِرِ العربِ، والعجمِ؛ غير ذلك، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم»، فكذب في الأول، وصدق في الآخر أنه كافر حلال الدَّم.

ثم قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩٠،٩١].

فزعـمَ بشـرٌ أن معنـىٰ قولـه: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١]، (الذين خلقوا القرآن عضين)، ثم قال: «من قال هذا فهو كافر حلال الدَّم»، وقد كذَبَ في قوله: «إنَّ المقتسمينَ خلقوا القرآن»، وصدَقَ في قوله: إن من قال هذا فهو كافرٌ حلالُ الدَّم بإجماع الأمة].

الشَّرح

قوله سُبحانه: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[الأعراف:١٩٠] معناها عندك يا بشرُ، وعند أتباعِك الذين يقولونَ بقولك أنه: (خَلَقَا لله شركاءَ)، نعوذ بِالله! وتعترفُ بأن من قال ذلك فهو كافر حلال الدَّم، كذبتَ في «قولك: إن جعل بمعنىٰ خلق»، وصدقتَ بأنه حلالُ الدَّمِ والمالِ بإجماع الأمة.

في سورة الرعد قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ﴾[الرعد:١٦]، عند بشرٍ: (أم خلقوا لله شركاءَ، خلقوا كخلقِه) لا معنىٰ لها عندك يا بشرُ غير هذا، وكذلك من قال بقوله، وتَدَّعِي أن هذا قول الناس كلِّهم، ومع ذلك تقول: من قال هذا فهو حلالُ الدَّمِ كافر؛ كذبتَ في قولك الأول: (إنَّ جَعَلُوا بمعنىٰ خَلَقُوا)، وصدقتَ في الآخرِ: «إنه حلالُ الدَّمِ كافر» بإجماع الأمة. اعترفتَ علىٰ نفسك بالكفرِ.

وقوله سُبحانه في سورة الزخرف: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾[الزخرف:١٩] زَعَمَ بشرٌ أنَّ معناه: «وخلقوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن»، ومع ذلك يقول: من قال ذلكَ فهو كافرٌ حلال الدَّم؛ كذَبَ في قوله: إنَّ معنىٰ «جعلوا الملائكة خلقوا»، وصدَقَ في قوله: «إن من قال ذلك فهو كافر حلال الدَّم بإجماع الأمة» معناه: أنه يُكفِّرُ نَفْسَهُ.

ويقـول الله سُـبحانه في قصـة اليهـود: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ [الأنعام:٩١]، معناهـا عنـدك يـا بشـرُ: تَجْعَلُونَـهُ: تخلقونـه، ومـع ذلـك تقـول: إنَّ مـن ادَّعَـىٰ أنهـم يخلقونـه فإنَّـه كافـرٌ، فأقـررتَ علـىٰ نفسـك بأنـك كافـرٌ، حـلالُ الـدَّمِ، وأقـررتَ بـأن نقـول: كذبـتَ في قولـك: (تجعلونَـه، بمعنـىٰ: تخلقونـه)، وصدقـتَ بـأن مـن قـال ذلـك فإنَّـه كافـرٌ حـلالُ الـدَّمِ، هـذا عندك، وعنـد مـن قـال بقولـك الذيـن هُـمْ علـىٰ طَرِيقَتِـكَ، وتَدَّعِـي أن (جَعَـلَ) عنـد العـرب كلِّهـم بمعنـىٰ (خَلـقَ)، كَذبـتَ علـىٰ العـربِ.

وقولـه سُـبحانه: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩٠،٩١][1] معنَاهَـا علـىٰ قولـك يـا بشـرُ: خلقـوا القـرآن عِضِيـنَ، ومـع ذلك تقـولُ: إنَّ مَـن قـال ذلك حـلالُ الـدَّمِ، لقـد كَـذَبَ في قولـه: (جَعَلُـوا بمعنـىٰ خَلَقُـوا)، وصَـدَقَ في أنَّ مَـن قـال ذلـكَ حـلالُ الـدَّمِ.

(١) ينظر: تفسير السعدي (ص٤٣٥).

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: فأقبـلَ عليَّ المأمـونُ فقـال: حسبُك يـا عبدَ العزيـز؛ قـد أقـرَّ بشـرٌ علـىٰ نفسـه بالكفـر وإحـلالِ الـدَّمِ، وأشـهدَ علـىٰ نَفْسِـهِ بذلـك، وقـد صدقـتَ في كلِّ مـا قلـتَ، ولكنـه قـال مـا قـال وهـو لا يَعْقِـلُ ولا يعلـم مـا عليـه في ذلـك، وهـذا شَـيءٌ يَلْزَمُـهُ في نفسـه خاصّـةً، ولا يلـزمُ غيـره ممَّـا لَا يُقِـرُّ بمِثْـلِ مـا أقـرَّ بـه، ولا يُحكـمُ بـه علىٰ غيره بمثـلِ مـا حَكَـم بـه بشـرٌ علـىٰ نفسـه].

الشَّرحُ

قـال المَأْمُـون لعبدِ العزيـز: حسبُكَ، قـد أقـرَّ بشـرٌ بالكفـر علـىٰ نَفسـه بهـذه الآيـاتِ؛ لأنـه قـال: «إنَّ مَـن قـال ذلـك فهـو كافـر»، فأقـرَّ بإِباحـةِ دَمِـهِ، وأشـهدَ علـىٰ نفسـه، صدقـتَ في كُلِّ مَـا قلتَـه، لكـن لا تقـل هـذا إلا عليـه؛ لأنـه لا يعقـلُ ولا يفهـمُ ولا يَعلـمُ مـا عليـه بذلـك. يلزمُـه هـذا خاصـة في نفسـه، أي: إنَّ التكفِيـرَ يَلزمُـهُ في نفسـه، أَمَّـا غيـرُه الذيـن يقولـونَ بقولـه فإنهـم لـم يُقِـرُّوا بهـذا الإقـرارِ، ولـم تقـم عليهـم الحجـة، الذيـن يقولـون بقولـه، ويَسـتدلون بهـذه الآيـة، نقـول: لا يبـاحُ دم أحدِهـم حتـىٰ تقـومَ عليـه الحجـة. ولا يُحكـمُ بـه علـىٰ غيـره بمثـلِ مـا حَكَـم بـه بشـرٌ علـىٰ نفسـه.

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إنما قد خاطبتُ أميرَ المؤمنين بما قد حَصَلَ في يدي، وأقرَّ بشرٌ به، وأَشْهَدَ أميرَ المؤمنين علىٰ نفسه، وعلمتُ أنَّ أميرَ المؤمنين قد حَفِظَ عليه كلامَه، ولولا ذلك ما اجترأتُ علىٰ ذلك.

فقال لي المأمونُ: كنتَ تقصِدُ بشرًا وحدَهُ بالكلام والمخاطبةِ دون سَائِر الناس؟

قلتُ: لم يدَعني؛ جعلتُ أسأله في خاصةِ نفسه فيقول: «هذا قولي، وقول سَائِر الناس، وقول العربِ والعجمِ»! فأجبتُهُ علىٰ حسَب كلامه، وصدقَ أميرُ المؤمنين: هذا يلزمُ من أقرَّ به دون غيره، إلَّا مَن قال مثل قوله، وأقرَّ بمثل ما أقرَّ به، وهذا الذي عنيتُ بقولي الأول حين قلتُ: «ومن قال بقوله».

فقال: قد أحسنتَ يا عبدَ العزيز الانتزاعَ!].

الشَّرح

خاطَبَ الكنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ المأمونَ بقوله: -أطال الله بقاءك-، إنما قد خاطبتُ أميرَ المؤمنين بما قد حصلَ في يدي، حَيث أقرَّ بشرٌ، وأشهدَ أميرَ المؤمنين علىٰ نفسه، أنه كافرٌ بهذه الآياتِ، وعلِمتُ أنَّ أميرَ المؤمنين حَفِظَ عليه كلامه -حفظ عليه اعتراضهُ الأول- ولولا ذلك ما اجترأتُ علىٰ ذلك.

فقال لي المأمونُ: قد كنت تقصدُ بشرًا وحدَهُ بالكلام والمُخاطبةِ دون سَائِر الناس.

قلتُ: لم يدَعْني، جعلتُ أسأله في خاصَّةِ نفسه، ومع ذلك يقول: «هذا قولي، وقول سَائِر الناس، وقول العربِ، والعجمِ»، فجعلَ هذا كله قول العجمِ والعربِ كلهم، فيكونُ بذلك كَفَّرَ نفسَه، وكفَّر العربَ والعجمَ، فأجبتهُ علىٰ حَسَبِ كلامه، وصدقتَ يا أميرَ المؤمنين، هذا يلزم كلَّ من أقرَّ به دون غيرِه، إلَّا من قال مثلَ قولِه، وأقرَّ بمثل ما أقرَّ به -مَنْ تابَعهُ علىٰ قوله- هذا الذي عَنَيْتُ بقولي الأوَّل حين قلتُ: «من قال بقولِه».

قال المأمونُ: قد أحسنت يا عبد العزيز الانتزاعَ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: ثم أقبلَ عليَّ المأمونُ فقال: يا عبدَ العزيز، تكلَّمْ في بيانِ هذا، واذكُرْ: «الجَعلَ والخَلقَ» وفرِّق بينهما، واشرح ذلك؛ ليقفَ عليه مَن بحضرتِنا ويَعْرِفَه.

فقلتُ: نعم يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك-، ولكن إن رأيتَ أن تأذنَ لي فأقول قبل البيانِ والشرحِ أشياءَ في هذا المعنىٰ ممَّا أَكْسِرُ به قول بشرٍ، وأَدْحَضُ به حجتَه، وأفضحُ به مذهبَه، وأُبطلُ به اعتقادَه.

فقال: لا؛ يطولُ بنا المجلس.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّمَا أدرسه درسًا يا أميرَ المؤمنين.

قال: قلْ ما تريدُ، ولا تخاطبْ بشرًا أقبل عليَّ ودَعْهُ!

قلتُ: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [الإسراء:٢٢].

وقال في موضعٍ آخر لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء:٣٩]، فزعمَ بِشرٌ يا أميرَ المؤمنين أنَّ الله قال لنبيِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا تخلق مع الله إلهًا آخر)! فمَن أقبحُ قولًا مِن هذا أو أفحشُ منه؟!

وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ لنبيِّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء:٢٩]، فزعمَ بشرٌ أنَّ اللَّهَ قال لنبيِّه عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ولا تخلق يدك مَغلولةً إلىٰ عنقك)! فزعمَ أنَّ اللهَ خلقه وبعثهُ رسولًا، وليس له يَدٌ، ثم

خاطبه بعد الرسالة فقال: (ولا تَخلق يدك)! والله سُبحانه خلقه خلقًا سَوِيًّا، فما أقبحَ هذا القولَ وأشنعَهُ وأبيَنَ كَسْرَهُ!

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور:٦٣]، فزعمَ بشرٌ يا أميرَ المؤمنين أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قال لخلقه: (لا تخْلُقوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَينكم)، ما أقبحَ هذا مِن قولٍ، وأدحَضَه!

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [القصص:٧]. فاللهُ يأمُرُها -بعد ولادته والرّضاع له- أن تلقيَه في اليَمِّ، ويعِدُها أن يَرُدَّهُ إليها ويجعله من المرسلين، فبِشرٌ يزعمُ أنه وَعَدَهَا أن يَرُدَّه إليها ويخلقَه، وهذا ما لا يعقِله الناسُ، كيف يخلقُه وهُو مَخلوقٌ؟!

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾ [القصص:٥]، وزعمَ بشرٌ أنه يريدُ أن يمُنّ علىٰ الذين استضعِفوا في الأرضِ ويخلقهم وهم مخلوقون مستضعفون في الأرض، هذا ما لا تعقِله العربُ ولا العجمُ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [ص:٢٦]، فخاطبَهُ بعد خلقِه وبعد فهمِه ومعرفتِهِ، وزعمَ بشرٌ أنَّ اللهَ تعالىٰ قال لداودَ: (إنا خلقناك خليفة في الأرض)، وهذا ممَّا لَو خُوطِبَ به داود عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا عَقَلَهُ.

وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ مُخبرًا عن دُعاء إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين قالا: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ﴾ [البقرة:١٢٨]، فأخبرَ أَنهُما دعوا ربَّهُمَا وهمَا مخلوقانِ، وزعم بشرٌ أَنهما دعوا ربهما أن يخلقهما مسلمينِ بعد أن كان خلقهما!

وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ مخبرًا عن دعاء إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥]، وقد كانت مكة مَخلوقةً قبل آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقبل إبراهيمَ، فكيف يدعو إبراهيمُ بخلقها؟! وهذا مما لا يعقِله الناسُ.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣] فأخبرَ اللهُ أنه ما جعل ذلك كُلَّه، وزعمَ بشرٌ أنَّ اللهَ ما خلقَ البحيرةَ ولا السائبةَ ولا الوصيلةَ ولا الحام، وإنما خلقها الكفَّارُ مِن دون اللهِ تعالىٰ، ومن قال هذا فقد كفَرَ بالله عَزَّوَجَلَّ!].

الشرح

يوضِّح الكِنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ (جَعَلَ) بمعنىٰ: (صيَّر)[1]، لا أَنَّها بمعنىٰ: خَلَقَ! كما عند بِشر، ومن يقول بقوله، والمعتزلة[2].

يقول: فأقبل عليَّ المأمونُ، وقال: اذكُر الفرقَ بين الجعلِ والخلقِ، اشرح ذلك؛ لِيقفَ عليه من بحضرتنا، ويعرفَه، وبَيِّن لنا؛ حتىٰ نفهمَ، قد تقدَّم إحدىٰ عَشرة آيةً، ومع ذلك كأنهم ما قَنِعُوا!

فقلتُ: نَعَم يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- ولكن إن رأيتَ أن تأذنَ لي فأقول -قبل البيانِ والشرحِ- أشياءَ في هذا المعنىٰ مما أكسرُ به قولَ بشرٍ، وأدحضُ به حُجَّته، وأفضحُ به مذهبَهُ، وأُبْطِلُ به اعتقادَه.

قال: لا؛ يطولُ بنا المجلس.

قلتُ: يا أميرَ المؤمنين أدرسه درسًا.

(١) ينظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (ص٣٩)، ومجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٥٢٢).
(٢) ينظر: تفسير ابن عطية (٢/ ٢١١).

قال: قل ما تريد، ولا تخاطِبْ بشرًا، أَقْبِلْ عليَّ وَدَعْهُ.

قولـه سُـبحانه في سـورة الإسـراء: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسـراء:٢٢].

وقولـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سـورة الإسـراءِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء:٣٩][1]، زَعَـمَ بشـرٌ أن الله قـال لنبيِّـه: «لا تخلـق مـع الله إلهًـا آخـرَ»، لا تجعـل يعنـي: لا تخلـق، فمَـن أقبـحُ قـولًا وأفحـشُ مِـن هـذا؟!

وقوله عَزَّوَجَلَّ في سورة الإسراءِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء:٢٩] زعـمَ بشـرٌ أنَّ اللهَ قـال: (ولا تخلـق يـدَكَ مغلولـة)، زعـم أنَّ اللهَ خلقـهُ وبعثـه وليس لـه يـدٌ، لا تخلق يـدَكَ معنـاه أنها كانـت مَعدومَـةً، فقـال لـه: لا تخلقهـا، فمـا أقبـحَ هـذا القـول، وأشـنَعَه، وأَبْيَـنَ كَسْـرَهُ؛ فـاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خَلَقَهُ سَـوِيًّا.

وقولـه تعالـىٰ في آخِـر سـورة النـور: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النـور:٦٣][2].

يقـول بشـرٌ: إنَّ معناهَـا: (لا تخلقُـوا دُعَـاءَ الرسـولِ)! لا شـك أنَّ هـذا قـولٌ قبيـحٌ وداحـضٌ[3].

وفي قصـة موسـىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنَّ اللهَ قـال لأمّـه: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصـص:٧] بعـد أن أمرَهـا أن تُرضعـه، وتُلقيـه في اليـمِّ، بعـد ذلـك يجعلـهُ اللهُ تعالـىٰ مـن المرسـلين، يقـول بشـر: «يـردُّهُ عليهـا ويَخلقُـهُ» هـل يعقـلُ هـذا الإنسـانُ؟ كيـف يخلقُـه وهـو مَخلـوقٌ؟

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٧٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٧/ ٣٨٨).

(٣) أي: باطل مردود لا يثبت. ينظر: تاج العروس (د ح ض)، والمعجم الوسيط (د ح ض).

وفي سورة القصص قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ﴾ [القصص:٥]، الذين استُضعفوا كانوا مُوجودِينَ، يدَّعِي بشرٌ أنَّ المعنىٰ أنه يريدُ أن يَمُنَّ علىٰ الذين استُضعفوا في الأرضِ ويخلقَهم، وهم مَخلوقونَ مُستضعفونَ في الأرضِ، هل تعرفُ العربُ ونجعلَهم أئمة: ونخلقَهم أئمة؟! ونجعلهم الوارثين أي: نخلقهم؟!

وقوله تعالىٰ في سورة ص: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦] هل معناه: إنَا خلقناك خليفة؟ كيف وقد خاطبَهُ بعد خَلْقِه، وبعد فَهْمِه، وبعد معرفته، وبعد أن كان موجودًا، يقول بشرٌ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾، أي: إنَا خلقناكَ خليفةً في الأرض، هذا لو خُوطِبَ به داودُ ما عقَلهُ.

ودُعاءُ إبراهيمَ وإسماعيلَ عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ قالا: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة:١٢٨]، هل معنىٰ ذلك: واخلقنا؟! هذا مُقتَضىٰ قول بشرٍ، كيف يستقيمُ هذا، وقد أخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بدعائِهِمَا وهما مخلوقانِ؟! ومع هذا زَعَمَ بشرٌ أنهما دعوا ربَّهُمَا بذلك أن يَخْلُقَهُما مسلمين، واللهُ تعالىٰ قد خلقهما!

ثم ذَكَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دليلًا -تمام العشرينَ-: قول إبراهيمَ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥]، وفي سورة البقرة: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦] معلومٌ أن مكة مخلوقة قبل آدمَ وقبل إبراهيمَ، فهل المعنىٰ علىٰ اعتقادِ بشرٍ: رب اخلق هذا بلدا آمنا؟! هي مخلوقة؛ فكيف يقول ذلك؟! هذا مما لا يَعْقِلُهُ العربُ.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سورة المائدة: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة:١٠٣][١]، هل معنىٰ (ما جَعَلَ): (ما خَلَقَ)؟ كيف وهي مخلوقة؟! فأخبرَ تعالىٰ أنه ما خَلَقَ ذلك كُلَّه!

يقول بشرٌ: ما جَعَلَ بمعنىٰ: ما خلقَ اللهُ بحيرةً[٢]، إِنَّمَا خَلَقَها الكُفَّارُ من دون اللهِ تعالىٰ، تعالىٰ اللهُ! من قال ذلك فقد كفر.

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (٦/ ٣٣٥)، وتفسير السعدي (ص٢٤٦).

(٢) البَحِيرة: النَّاقة إذا نُتِجَتْ خَمْسَةَ أبطُنٍ. فَإِن كَانَ الْخَامِس ذكرًا نَحَروه فَأَكله الرِّجَال وَالنِّسَاء، وَإِن كَانَ الْخَامِس أُنْثَىٰ بَحَروا أذنها، أَي: شقوها، فكان حرامًا عليهم لحمُها ولبنُها وركوبُها، فَإِذا مَاتَت حلت للنِّساء. ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص١٤٧)، وتاج العروس (١٠/ ١١٤، ١١٥): (ب ح ر).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فَأَقْبَلَ عليَّ المأمونُ فقال: حسبُك يا عبد العزيز؛ فقد ثبتت حُجَّتُكَ في هذه المسألة كَثَبَاتِها في المسألة الأولىٰ، وانكسرَ قولُ بِشرٍ فيها، وَبَطَلَ دَعوَاهُ، فارجع إلىٰ بيانِ ما قد انتزعتَ به واشرحْه واذكرْ معانيه، وما أراد اللهُ به، وما هو مَن الجَعلِ مخلوقٌ؟ وما هو غيرُ مخلوقٍ؟ وبيان الأعلامِ والشواهِدِ، وما هو مخلوقٌ، وما هو غيرُ مخلوقٍ، وما تتعاملُ به العربُ في لُغاتِها، وما تُفَرِّقُ به بين الجعلينِ في كلامِها؛ لِيسمَع مَن في المجلسِ ذلك، ويقِفُوا علىٰ مذهبِ العربِ في ذلك، وما أَرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بقولِه في ذلك].

الشرح

قال لهُ المأمونُ: ثبتتْ حجتُك في هذه المسألة، كالأولىٰ؛ وهي قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦]، فقد انكسرَ قولُ بشرٍ، وبطلت دعوَاهُ، فارجع يا عبدَ العزيز إلىٰ بيانِ ما قد ذكرتَ، واشرحْهُ، واذكر معانيَ «الجَعْل»، وما أراد اللهُ به، متىٰ يكون «الجَعل» خَلْقًا؟ ومتىٰ يكونُ «الجَعْلُ» غيرَ خَلْقٍ؟ بَيِّن الأعلام والشواهد ما هو مَخلوقٌ وما هو غيرُ مخلوقٍ، وما تتعاملُ به العربُ في لغاتِها، وما تُفَرِّقُ به بين الجعليْنِ في كلامِها؛ لِيَسمَعَ مَن في المجلس، فيقف علىٰ ما أرادَهُ اللهُ تعالىٰ، ومذهب العربِ في ذلك.

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إن (جَعَلَ) في كتاب اللهِ عَزَّوَجَلَّ تحتملُ معنيينِ عند العرب(١): معنىٰ (خَلَقَ)، وَمَعنىٰ (صَيَّرَ) غير خَلَقَ، فلمَّا كان (خَلَقَ) حَرْفًا مُحكمًا لا يحتملُ معنىٰ غير الخَلْقِ، ولم يكن من صناعةِ العبادِ؛ لم يتعبَّد اللهُ به العبادَ، فيقول لهم: (اخلقوا) أو (لا تخلقوا)؛ إذ كان الخلق ليس من صناعةِ المخلوقينَ، وكان من فعلِ الخالقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ].

الشرح

يقول الكِنَانِيُّ رحمه الله تعالىٰ: إن جَعَلَ تحتمل معنيين:

أحدهما: بمعنىٰ (خَلَقَ).

والثاني: بمعنىٰ (صَيَّرَ).

الآيات العشرون أو الإحدىٰ والعشرون التي تقدمت بمعنىٰ: «صيَّروا»، جَعَلوا الملائكة، أي: صيروا الملائكة، ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [إبراهيم:٣٥]، أي: صيِّر هذا البلدَ آمنًا.

هكذا الفرقُ بينهما.

لمَّا كان «خَلَقَ» حَرفًا مُحكمًا، ففي هذه الآياتِ لا يحتملُ معنىٰ غير الخلقِ، ولم يكن من صناعةِ العبادِ، وما تعبَّدَ اللهُ به العبادَ، ما قال لهُم: اخلُقوا أو لا تخلُقوا؛ إذ كان الخَلْق ليس من صناعةِ المخلوقين، وكان من

(١) ينظر: الاختلاف في اللفظ (ص٣٩).

فِعْلِ الخالـقِ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وإنمـا صِناعـةُ المخلوقيـن الصِّناعـة والحِرْفـة؛ فيُقـال -مثلًا-: «هـذا الـذي خَلَـقَ هـذا الجـدارَ»، يعنـي: صَنَعَـهُ، «هـذا الـذي خَلَـقَ هـذا الفِـراشَ»، يعنـي: نَسَـجَهُ(١).

(١) قـال الطـبري: (والعـرب تُسـمِّي كلَّ صانـع خالقًـا). ينظـر: تفسير الطـبري (١٧/ ٢٥)، وتهذيـب اللغـة (٧/ ١٧)، وتـاج العـروس (٢٥/ ٢٥١، ٢٥٢): (خ ل ق).

قال راوي المناظرة:

[ولمَّا كان (جَعَلَ) علىٰ معنىٰ (صَيَّرَ)، لا علىٰ معنىٰ الخلق؛ خاطبَ اللهُ به العبادَ بالأمرِ والنهي فقال: اجعلوا ولَا تجعلوا، ولمَّا كَان (جَعَل) كلمة تحتملُ معنيين: معنىٰ (خَلَق)، ومعنىٰ (صيَّر) لم يَدَعِ اللهُ في ذلك اشتباهًا علىٰ خلقه ولَبْسًا علىٰ عباده؛ فيُلحِد الملحدون في ذلك، ويشبِّهون علىٰ خلقه، كما فَعَلَ بشرٌ وأصحابه، حتىٰ جعلَ علىٰ كُلِّ كلمةٍ عَلَمًا ودليلًا فرَّقَ به بين الجَعلِ الذي يكونُ علىٰ معنىٰ الخَلق، وبين الجعلِ الذي يكونُ علىٰ معنىٰ التَّصيير.

فأمَّا الجعلُ الذي هو علىٰ معنىٰ الخلقِ؛ فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ جعلَهُ مِن القولِ المُفَصَّلِ، أَنزل القرآنَ به مُفصَّلًا وهو بَيَانٌ لقوم يفقهون.

والقولُ المُفَصَّلُ يَستَغني به السامعُ إذا أُخبِرَ به قبلَ أن تُوصَلَ الكلمةُ بغيرهَا مِن الكلامِ؛ إذ كانت قائمةً بذاتِها تدلُّ علىٰ معناها، فمِن ذلك قَوْلُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام:١].

فسواءٌ عند العرب قالَ: (وجعلَ)، أو قالَ: (وخلقَ)؛ لأنها قد علمتْ أنه أراد بهذا الجعل الخَلقَ؛ لأنهُ أنزل من القولِ المفصَّل.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل:٧٢]، فَعقَلتِ العربُ عنه أن معنىٰ هذا: (وخلقَ لكم)؛ إذ كان قولًا مُفصَّلًا.

وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ [السجدة:٩]، فَعقَلتِ العربُ عنه أنه عَنَىٰ بهذا الجَعل: الخَلقَ؛ إذ كان من القول المفصَّلِ، وسواءٌ عندها قال: (جَعَلَ)، أو قال: (خَلَقَ)؛ لأنَّها قد علِمَتْ ما أرادهُ وما عَنَىٰ. ومثل هذا في القرآن كثيرٌ جدًّا.

يـا أميـرَ المؤمنيـن، فهـذا ومـا كان علىٰ مثالـه مـن القـول المفصَّـل الـذي يَسـتغني المُخاطَـبُ بـه والسـامعُ لـه بـكل كلمـةٍ عمـا بعدهـا].

الشَّرح

أراد عبدُ العزيـز أن يُبيِّـنَ الفَـرْقَ بيـن (جَعَـلَ) و(خَلـقَ)، فأمَّـا (جَعَـلَ) التـي بمعنـىٰ (صَيَّـرَ) فقـد خاطَـبَ اللهُ بـه العبـادَ بالأمـرِ والنَّهـي، (اجعلـوا)، وَ(لَا تجعلـوا)، ففـي قولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ﴾ [البقرة:٢٢٤]، أيْ: لا تُصيِّـروا اللهَ عُرْضـةً[١]، وقولـه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١]، أيْ: صَيَّـرُوا القـرآنَ عِضِيـنَ[٢].

لمَّا كان «جَعَلَ» كلمةً تحتملُ مَعنيينِ:

معنـىٰ «خلـق» وَمَعنَـىٰ «صيَّـر»، لـم يَـدَعِ اللهُ تعالـىٰ اشـتباهًا علـىٰ خلقـه، ولَبْسًـا علـىٰ عبـاده، فوضَّـحَ ذلـك سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ حتـىٰ لا يُلحِـدَ الملحـدون، ويُشَـبِّهوا علـىٰ الخَلـقِ، كمـا فعـلَ بشـرٌ وأصحابُـه، حتـىٰ جَعَـلَ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ علـىٰ كل كلمـةٍ عَلمًـا ودليـلًا، اللهُ تعالـىٰ وَضَّـحَ كلَّ كلمـةٍ وجعـلَ عليهـا دليـلًا، يُفَـرِّقُ بـه بيـن «الجَعـلِ» الـذي بمعنـىٰ الخلـق، و«الجعـل» الـذي بمعنـىٰ التَّصييـر، فالدليـلُ الواضـحُ مـا يتصـلُ بـه الجعـلُ الـذي بمعنـىٰ الخَلـقِ، أنَّ اللهَ تعالـىٰ جَعلـهُ مـن القـولِ المفصَّـلِ أي: المَفصُـول ممَّـا بعـده.

فـإذا جـاءت (جَعَـلَ) مُنفصلـة لـم يرتبـط بهـا شـيءٌ فهـي بمعنـىٰ «خلـقَ»، فمِـن ذلـك هـذه الآيـة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٨٢).

(٢) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٩١).

[الأنعام:١]، اقتصر على جعل الظلماتِ والنور، هذا دليلٌ واضحٌ على أَنَّ جَعَلَ بمعنى: خَلَقَ؛ لأَنه لم يصلهَا بكلام(١).

فعند العرب «جَعَل» أو «خَلق» سواءٌ؛ لأنها علِمَت أنه أراد بهذا الجَعل معنى الخلق، حيث إنها نَزلت عند القولِ المُفصل الذي انفصلَ عمَّا بعده.

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل:٧٢]، جعلَ لكم أزواجًا، وجعلَ لكم بنينَ، فَجَعَلَ بمعنى: خلقَ، وعَقَلَتِ العربُ أنَّ معنى هذا: (خلقَ لَكُم من أنفسِكُم أزواجًا، وخلقَ لكُم من أَزواجِكُم بَنِينَ)؛ لأنها مُنفصِلة ما اتصلتْ بغيرها.

وقولهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ﴾ [السجدة:٩]، أي: خَلَقَ، فهذه مُنفَصِلة عَمَّا بعدها عَقَلَتِ العربُ أن معنى الجَعْل: الخَلْق؛ إذ كان من القولِ المنفَصِلِ الذي لم يتصل بغيره.

سواء عندها (جَعَل) أو «خَلَق»؛ لأنها عَلِمَتْ ما أرادَهُ وما عَنَاه، ومثلُ هذا في القرآنِ كثيرٌ، فهذا وما كان على مثالِه من القولِ المُنفصلِ الذي يَسْتَغنِي المخاطب به والسَّامعُ له بكلِّ كلمةٍ عمَّا بَعْدَها.

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ١٤٥).

قال راوي المناظرة:

[وأمَّا (جَعَلَ) الذي هو بمعنىٰ التَّصيير الذي هو غيرُ (خَلَقَ)؛ فإن اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنزله من القول المُوَصَّلِ الذي لا يدري المُخاطِبُ به حتىٰ تتصل الكلمة بالكلمةِ التي بعدها فيعلم ما أراد بها، وإنْ تركها مُفَصَّلَةً لم يصلهَا بغيرها من الكلام لم يَعْقِل السامعُ له ما أَرادَ بها ولم يفهمها ولم يقف علىٰ معنىٰ ما عنىٰ بها حتىٰ يصلَها بغيرها.

فمِن ذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦]، فَلو قال: «إنا جعلناك»، ولم يصلها بما بعدها لم يعقِل داودُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولا أحدٌ ممن سمعَ هذا الخطابَ ما أَرادَ اللهُ به ولا ما عنىٰ بقوله؛ لأنه خاطبه بهذا القولِ وهوَ مخلوق، فلما وصلَهَا بـ (خليفة في الأرض)، عَقَلَ داودُ وكلُّ من سمع هذا الخطابَ ما أراد اللهُ بقوله وما عنىٰ به.

وكذلك قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ لأُمِّ مُوْسَىٰ: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، فلو لم يصل جَاعلوُه بالمُرسلين؛ لم تَعْقِل أُمُّ موسىٰ ما خاطبهَا به، ولا ما عنىٰ بقوله، إذ كان خَلْقُ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد تقدَّمَ لِرَدِّه إليهَا، فلما وصلَ الكلمةَ بالمرسلينَ عَقَلَتْ أُمُّ موسىٰ ما أَراد بخطابهَا.

وكذلك قولُه عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقد كان الجبلُ قبل أن يتجلىٰ له مخلوقًا، فوَصَلَ (جَعَلَهُ) بـ(دكًّا)، ولو لم يصِله لم يَعقِل السامعُ له ما أَراد اللهُ بقوله.

وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة:١٢٨]، وقد كانا قبل

دعوتهما مخلوقين، فَوَصَلَ (واجعلنا) بـ (مسلمين لك)، ولو لم يَصِلِ الكلمةَ وفَصَّلَهَا لم يَعْقِلْ أحدٌ ممن سَمِعَ ذلك ما أراد بدعوتهِمَا، فلما وَصَلَها بـ (مسلمين)، عَلِمَ كُلُّ من سمع ذلك ما أراد بدعوتهما.

وكذلك قولُ إبراهيمَ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦]، فَوَصَلَهُ بـ (آمِنًا)، ولو لم يصلْه، ما عَقَلَ أحدٌ ممن سمِع ذلك ما عَنَىٰ بدعوته؛ إذ كان بلدُ مكةَ مخلوقًا قبل ذلك، فلمَّا وَصلَه بـ«آمِنًا» عَقَلَ السَّامِعُ لذلك ما أراد إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بدعوته.

ومثل هذا كثيرٌ في القرآنِ جدًّا يا أميرَ المؤمنين].

الشَّرْحُ

هنا يفرِّقُ الكنانيُّ بين: (جَعَلَ) بمعنىٰ: (خَلَقَ)، وبمعنىٰ: (صيَّرَ)، فذكر أنَّ الجَعْلَ يكونُ بمعنىٰ التَّصييرِ لا بمعنىٰ الخَلْقِ، إذ كان اللهُ تعالىٰ أنزله من القولِ المُوَصَّلِ المُتصلِ بما بعده، الذي لا يتمُّ الكلامُ إلَّا بما بعده، فالمُخاطَبُ لا يدري، حتىٰ توصلَ الكلمة بكلمةٍ بعدها فيعلمُ ما أرادَ بها، ولو تركها منفصلة، لم يصلها بغيرها، مَا عَقَلَ السَّامعُ لها ما أراد، ولا فَهِمَهَا، ولا وَقَفَ علىٰ معنىٰ ما أُريد بها حتىٰ يصلَهَا بغيرها، ففي الأمثلة التي تقدمت، في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾، كانت بمعنىٰ: خلقناك، إذا وقفَ عليها، ولكن لما قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً﴾[ص:٢٦]، أي: صيَّرناكَ[(١)]، فَوصلها بما يُبيِّنُ ذلك، لو قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ﴾ ولم يَصِلْها

(١) ينظر: الوسيط للواحدي (٣/ ٥٤٩)، وزاد المسير (٣/ ٥٦٩).

بما بعدها، ما عَقَلَ داودُ، ولا أحدٌ ممن سَمِعَ هذا الخطابَ؛ مُرادَ الله، ولا ما يَعْني بقوله؛ لأنه خاطبَهم بالقولِ، وَهو مخلوقٌ، فلما وصلهَا بقوله: «خليفة»، فَعَقَلَ داودُ، وكلُّ مَن سَمِعَ الخطابَ ما أراد اللهُ وما عَنَىٰ.

كذلك قِصَّة موسىٰ في قوله سُبحانه: ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، لو قال سُبحانه: (إنَّا رادوه إليك وجاعلوه) ولم يقل: (مِن المرسلين) ما عُقِلَ المَعْنَىٰ، فلو لم يصله بـ(المرسلين) ما عَقَلَتْ أُمُّ مُوْسَىٰ ما عنىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بقولِهِ؛ لأنَّ موسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مخلوقٌ مِن قبلُ، فليسَ معنىٰ (وجَاعلوهُ): خَالِقوهُ، فكيفَ يَرُدُّهُ إليها إذا كان بمعنىٰ (خالقوه)؟! فلمَّا وَصَلَه بـ(المرسلين) عَقَلَتْ أمُّ مُوسىٰ المُرادَ.

وكذلك قول اللهِ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[الأعراف:١٤٣]، لمَّا وصله بكلمةِ (دكًّا)، كان معناه (صَيَّرَهُ)، فلو لم يصله، وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ ووقفَ؛ لكانَ هذا غيرَ مفهومٍ، جَعَلَهُ ماذا؟! فالجبلُ مخلوقٌ قبل أن يتجلىٰ له المَلِكُ سُبحانه، فلمَّا وَصَلَهُ بـ(دَكًّا)، عُقِلَ المعنىٰ، فلو لم يصله؛ ما عُقِلَ ماذا يُريدُ اللهُ تعالىٰ.

وكذلك قولُ إبراهيمَ وإسماعيلَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ [البقرة:١٢٨]، ولو قال ربُّنا عَزَّوَجَلَّ: (واجعلنا) لم يكن الكلامُ تامًّا، فلمَّا قال: (مُسْلِمَيْنِ)؛ دَلَّ علىٰ أنها بمعنىٰ التَّصيير، أي: (صَيِّرْنَا)، فلو لم يصل الكلمة؛ ما عَقَلَ أحدٌ -ممَّن سَمِعَ ذلك- ما أراد بدعوتهما.

كذلك قوله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾[البقرة:١٢٦]، لو قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا﴾، بمعنىٰ: (اخلُقْ هذا بلدًا)؛ لكان ذلك بمعنىٰ «الخلْق»، فلمَّا

قال: ﴿ءَامِنًا﴾، عُرِفَ أنَّ (اجعل) بمعنى: (صَيِّرْ)، فلمَّا وَصَلَهُ بـ﴿ءَامِنًا﴾؛ عَقَلَ السَّامعُ ما أراد إبراهيمُ بدعوتِه، فلو لم يصله، ما عَقَلَ أحدٌ -ممَّن سمعه- ما عناهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بكلامِه؛ لأنَّ مكةَ كانت مَخلوقةً من قبل.

ومثلُ هذا في القرآن كثيرٌ جدًّا.

وكذلك الآيات السابقة:

في قوله سبحانهُ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء:٣٩]، لو قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ﴾ فقط، لكانت بمعنى: (تَخْلُقْ)، لكن لمَّا وَصَلَهَا بـ﴿إِلَٰهًا﴾ أَصْبَحَتْ بمعنى: (لا تُصَيِّرْ).

وفي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء:٢٩]، لو قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ﴾ فقط؛ لكانت بمعنى: (تَخْلُقْ)، لكن لمَّا وصلَها: بـ﴿مَغْلُولَةً﴾؛ عُرِفَ أنَّ معناه: (لا تُصَيِّرْ).

وأيضًا في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣]، فلو قال سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾، وَوَقَفَ، لم يَتِمَّ الكلامُ، فلما وَصَلَهَا بقوله: ﴿كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾؛ عُرِفَ بذلك أنَّ المراد (لا تُصَيِّرُوا).

وهكذا جميعُ الآياتِ(١).

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٨٢).

قال راوي المناظرة:

[والذي تتعارفه العربُ وتتعاملُ به في لُغاتِها وخِطابِها ومعنىٰ كلامِها ومخارجِ ألفاظها هو الذي جَرَتْ به سُنَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ في كِتَابه؛ إذ كان إنَّما أُنزِلَ بلسانِها وَاكْتُتِبَ علىٰ تِبيانها، فخاطبهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بما عَقَلُوه وعَرَفُوه ولم يُنكروه، ولم يَكُونوا يَعْرفون سواه وهو القول المُوَصَّل والمُفَصَّل.

فأرجعُ أنا وبِشرٌ يا أميرَ المؤمنين لِمَا اختلفنا فيه مِن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣]، إلىٰ سُنَّة الله في كتابه في الجَعْلَيْنِ جميعًا، وإلىٰ سُنَّة العرب -أيضًا- وما تتعارفه وتَتعاملُ به، فإن كان من القولِ المُوصَّلِ فهو كما قلت أنا إن اللهَ جعلَهُ قرآنا عربيًّا، بأَن صَيَّرَه عربيًّا؛ أي: أنزله بلغة العربِ ولِسانِها، ولم يُصيِّرْهُ أعجميًّا فينزله بلغة العجم.

وإن كان من القولِ المُفَصَّلِ فهو كما قال -ولن يجدَ ذلك أبدًا!- وإنما دخل الجهلُ علىٰ بشرٍ ومَنْ قال بقولِه يا أميرَ المؤمنين؛ لأنهم ليسوا مِنَ العرب، ولا عِلْمَ لهم بلغة العربِ ومعانِي كلامِها، فتناولوا القرآنَ علىٰ لغةِ العجمِ التي لا تفقهُ ما تقولُ، وإنَّما تتكلَّم بالشيء كما يَجْري علىٰ ألسنتها، فَكُلُّ كلامِهِم ينقُضُ بعضُه بعضًا، لا يَنتقدون ذلك من أنفسهم، ولا يَنتقدُه عليهم غيرُهم؛ لكثرته!].

الشَّرح

يُقَرِّرُ الكنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ الذي تتعارفُه العربُ وتتعاملُ به- الفرق بين أن تُوصلَ الكلمة، وبين أن تُفصل، هكذا في لغاتها وخطابها، ومعنىٰ كلامها، ومخارج ألفاظِها، علىٰ ما جَرَتْ به سُنَّة الله في كتابه، حيث أنزلهُ بلسان

العـرب، حتـىٰ اكتتـبَ علـىٰ تِبيَانهـا، فخاطبَهُـم اللهُ بمـا عَقَلـوهُ وعَرَفُـوهُ ولـم ينكِـروه، ولـم يكونـوا يَعْرفـون سِـوَاه.

يقـول الكِنَانِـيُّ: أَرْجِـعُ أنـا وبِشْـرٌ لِمَـا اختلفنـا فيـه في هـذه الآيـة التـي استدلَّ بهـا: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣]، نرجـعُ إلـىٰ سُـنَّة الله في كتابـه في الجَعْلَيْـنِ، وإلـىٰ سُـنَّة العـربِ، وإلـىٰ مـا يَتعارفـونَ ويَتعاملـون بـه:

* إن كان مـن القـولِ الموصـلِ؛ أي: وصلـهُ بـ﴿عَرَبِيًّا ﴾، فيكـون المعنـىٰ: أن اللهُ جَعلـه قُرآنًـا عربيًّـا، أي: صَيَّـرَهُ عربيًّـا، أي: أنزلـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بلُغـةِ العـربِ ولِسـانِهَا، مـا صيَّـرهُ أعجميًّـا، ولا نَـزَلَ بلُغـةِ العَجَـم.

* وإن كان مـن القـولِ المُنفصـلِ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا ﴾؛ فهـو كمـا قـال بِشْـرٌ، ولـن يجـدَ ذلـك أبـدًا؛ أي: لـن يجـد أنـه مُنفصـلٌ في قولـه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَهُ قُرْءَانًا ﴾.

إنمـا دَخَـلَ الجهـلُ علـىٰ بِشْـرٍ، ومـن قـال بقولِـه؛ لأنهـم ليسُـوا مِـن العَـرب، ولا عِلْـمَ لهـم بلُغـة العَـرب، ولا بمعـاني كلامِ العـرب؛ فهـم يَتخبَّطـونَ(١) في القـرآن، وتناوَلُـوا القـرآن علـىٰ لغـةِ العجـمِ التـي لا تفقـهُ مـا تقـول، إنمـا يتكلمـون بالشـيء كمـا يَجـري علـىٰ ألسـنتِهم، كلُّ كلامِهـم ينقضُ بعضُـهُ بعضًـا، لا ينتقدونَ ذلـك مـن أَنْفُسـهم، ولا ينتقِـدُه عليهـم غيرُهـم؛ لِكثرتِهـم.

كُلُّ هذا اعتراضٌ علىٰ بِشْرٍ.

---

(١) يعنـي: يتكلمـون فيـه بجهالـةٍ وبـلا تَبَصُّـرٍ بـل بعشـوائيةٍ كيفمـا اتفـق، وقـد فَسَّـرَه وشَـرَحَهُ الكلامُ الـذي بعـده: (إِنمـا يتكلمـون بالشـيء كمـا يَجـري علـىٰ ألسـنتِهم).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: وسمعتُ الأَصْمَعِيَّ - عَبْدَ الْمَلِكَ بنَ قُرَيْبٍ[١]- وقد سألهُ رجلٌ، فقال له: «أَتُدْغَمُ الفاءُ في الياءِ»؟ فتبسَّمَ الأصمعيُّ، وقبضَ علىٰ يدِي- وكان لي صديقًا- فقال لي: أَمَا تسمعُ؟! ثم أقبلَ علىٰ السَّائِلِ وهو يَتَعجبُ من مسألتِه وقولِه فقال له: «تُدْغَمُ الفاءُ في الياءِ في لُغةِ إخواننا بني الأبناءِ[٢] بني سَاسان[٣]، يقولونَ: «كَيصبَحْتَ؟»، فيدغمونَ الفاءَ في الياءِ، وأمَّا العربُ فلا تعرفُ هذا!

قال عبدُ العزيز: فاشتدَّ تَبَسُّمُ المأمونِ من قول الأصمعيِّ، وَوَضَعَ يده علىٰ فيه.

قلت: وهذا الذي يأتينا به بشرٌ -يا أميرَ المؤمنين- من لُغة أصحابنا بني الأبناءِ بني سَاسَان!].

الشرح

يقول عبد العزيز: سمعت الأصمعي -وهو من فُصحاءِ العربِ، ومن

(١) أبو سعيد، عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك الأصمعي، البصري، الإمام، العلاَّمة، الحافظ، أحد الأعلام، حجة الأدب، لسان العرب، من بادية الموصل. ولد سنة ١٢٢، توفي سنة ٢١٦هـ، وقيل: غير ذلك، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٧٥).

(٢) قال في النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٧، ١٨): (أ ب ن): الأبناء -في الأصل- جمع: ابن، ويقال لأولاد فارس: الأبناء، وهم الذين أرسلهم كسرىٰ مع سيف بن ذي يَزَن، لما جاء يَسْتَنْجِدُهُ علىٰ الحبشة، فنصروه ومَلَكُوا اليمن وتديَّروها وتزوجوا في العرب، فقيل لأولادهم: الأبناء، وغَلَبَ عليهم هذا الاسمُ؛ لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم.

(٣) بنو ساسان هم: ملوك فارس. ينسبون الىٰ ساسانَ الأصغرِ بن بَابَكَ بن مُهَرْمِش بن ساسان الأكبر ابن بَهْمَنَ بن أَسْفَنْدِيَارَ. ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص٥١١)، وتاج العروس (١٦/ ١٥٧): (س و س).

الذين حَفِظُوا لُغاتِ العربِ وأشعارَها(١)- وقد سأله رجلٌ: «أتُدغمُ الفاءُ في الياءِ؟» فتبسَّمَ الأصمعيُّ وقبضَ علىٰ يدِي- وكان لي صديقًا- فقال لي: «أَمَا تسمعُ!»، فأقبل علىٰ السَّائِلِ، وهو يتعجبُ من مسألته كيف تُدغمُ الفاءُ في اليَاء؟!

فقال له: نَعَمْ، تُدْغَمُ الفاءُ في الياءِ في لغةِ إخواننا بني الأبناءِ بني سَاسَان، يقولونَ: «كَيصْبَحْتَ»، بدل «كيف أصبحت؟»، يدغمونَ الفاءَ في الياءِ! العربُ لا تَعرِفُ هذا، فاشتدَّ تَبَسُّمُ المأمونِ مِن كلامِ الأصمعيِّ، وَضَعَ يده علىٰ فيه.

وقال: هذا الذي يَأْتينا به بِشْرٌ، أيْ: مِن لُغَةِ أصحابِنَا من بنِي الأبناءِ بنِي سَاسَانَ، وليسوُا مِن العرب.

---

(١) قال الْمُبَرّد -كما في تاريخ بغداد (١٢/ ١٦٢)-: (كان بَحرًا في اللُّغة، لا يُعرف مثلُه فيها، وفي كثرة الرِّواية).

قال راوي المناظرة:

[فقال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- يذمنا ويكفرنا، ويقول: إنّا نحرِّفُ القرآن عن مواضعهِ، وهو قد وضع قدرَ القرآن وشأنه، وسمَّاه بأنقص اسم، ووصَفه بأخَسِّ صفةٍ وأقلِّها، ولقد خالَف بقوله كتابَ الله وحرَّفَه عن مواضِعه؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ سمَّاهُ: كتابًا عزيزًا، وسمَّاه: كريمًا، وأخبرَ عنه أنه تامٌّ كامِلٌ بقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وسمَّاه عبدُ العزيز: مُوَصَّلًا ومُفَصَّلًا، فخالَفَ كتابَ الله تعالىٰ وصِفته، وذمَّ ما مدح اللهُ تعالىٰ؛ لأنَّ المُوَصلَ عند العرب والعجمِ وسائرِ الخلق دونَ التَّامِّ الصحيحِ الكاملِ؛ إذ كان المُوَصلُ عندهم جميعًا: المُلَفَّق الذي قد وُصِلَ بَعضُه ببعضٍ ولُفِّقَ بعضُه ببعضٍ، فإذا أراد الرَّجُل مِن العرب وغيرِهم أن يضعَ من قدرِ الشيء قال: هو مُوَصَّلٌ وليس هو بصحيح، فقد سمَّىٰ كتابَ الله اسمًا ناقصًا وقال فيه إثمًا وبُهتانًا عظيمًا، ولو قلتُ -أنا- هذا أو ما هو دونه؛ لكانَ قد خَطَبَ وتَكَلَّمَ واستغاثَ بأَمِيرِ المؤمنين، وأخَرجَنا عن الإسلامِ، وهو يقول العظام، ويُحيلُ علىٰ العرب، وأَمِيرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- يحلُمُ عنه بفضلِهِ، وهو يتقوَّىٰ بحلمِه علينا!

قال عبد العزيز: فقلتُ لبشرٍ: وهذا -أيضًا- من جَهلِكَ بما في كتاب اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ تَذُمُّني، وتزعُم أني سميتُ كتابَ الله اسمًا ناقصًا، وتُغرِي بِي أميرَ المؤمنين، وهو أعلمُ بما قلتُ وتكلمتُ، منِّي ومِنكَ، وما قلتُ إلا ما قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وما نَسبتُ إلّا ما نسبَهُ إليه وارتضاهُ له، وهو عند العرب الفصحاءِ كلامٌ جيِّدٌ صحيحٌ مُرتَضىٰ، وأنت تَزْعُمُ أنَّ كلامَ اللهِ هو مِن ذاتِهِ مخلوقٌ،

وتُشَبِّهه بكلامِ المخلوقِينَ من الشِّعرِ وقولِ الزُّورِ وغيرِه، وتُنكِرُ عليَّ أنْ سميتُه بما سَمَّاهُ اللهُ تعالىٰ به!

فقال بشرٌ: وأين سَمَّاهُ مُوصلًا ومُفصلًا؟

قلتُ: في كتابه من حيث لا تفهمُه ولا تعلمُه.

فقال: هاتِهِ].

الشَّرحُ

هذه شُبْهَة بِشْرٍ؛ يقول: يذمنا هذا الكنانيُّ، ويكفِّرُنا بأنَّا نحرِّف القرآنَ عن مواضعِهِ، وقد وَضَعَ قَدْرَ القرآن، وشَانَهُ(١)، وسَمَّاهُ بأنقصِ اسمٍ، وَوَصَفَهُ بأخسِّ صفةٍ، وبأقلِّهَا، وخَالَفَ كتابَ الله! لأَنَّ اللهَ سَمَّاهُ: كتابًا عزيزًا، وسَمَّاهُ: كريمًا، وأَخْبَرَ أنه تامٌّ كامِلٌ؛ لِقولِه سُبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وسَمَّاهُ عبد العزيز: مُوَصَّلًا وَمُفَصَّلًا، فبهذا خالَفَ كتابَ الله تعالىٰ وصفته وذمَّ ما مَدَحَ اللهُ تعالىٰ!

المُوصَّلُ عند العربِ والعجمِ وسائر الخلق دون التامِّ الصحيحِ الكامِلِ؛ إِذ كان الموصلُ عندهم جميعًا: المُلفَّق الذي وُصِلَ بعضُه ببعضٍ ولُفِّقَ بعضه ببعضٍ.

فإذا أَراد الرجلُ مِن العربِ وغيرِهم أن يضعَ من قدرِ الشيءِ قال: هو مُوَصَّلٌ وليس هو بصحيح، فقد سمَّىٰ الكنانيُّ كتابَ الله اسمًا ناقصًا، قال فيه

(١) شَانَه: شَيْنًا: شوَّههُ وعابَهُ، والشَّين: العيب والقبح وخلاف الزين، والمشَاين: المعايب والمقابح. ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٥٠٤).

إثمًا وبُهتانًا عظيمًا، لو قلتُ -أنا- هذا، أو مَا دونَهُ؛ لكان قد خَطَبَ وتكلمَ واستغاثَ بأَمِيرِ المؤمنين، وأخرجَنا عن الإسلامِ، وهو يقول العِظَامَ، ويُحيلُ علىٰ العربِ، وأَمِيرُ المؤمنين يَحْلُمُ عنه بفضلِهِ، وهو يتقوىٰ بحِلْمِهِ علينا!

فردَّ عليه الكنانيُّ وقال له: هذا من جَهْلِكَ بكتابِ الله؛ تَذُمُّنِي وتزعمُ أني سميتُ كتاب الله اسمًا ناقصًا، تُغرِي بي أميرَ المؤمنين، وتُسَلِّطُهُ عليَّ! وهو أعلمُ بِما قلتُ وتكلمتُ، منِّي ومِنك، فما قلتُ إلَّا ما قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وما نسبتُ إلَّا ما نسبَهُ إليه وارتضاهُ له، ما تكلمتُ إلَّا بكلامٍ جيدٍ صحيحٍ مُرتَضًىٰ عند العرب الفصحاءِ، وتزعمُ أنَّ كَلامَ اللهِ الذىٰ هو مِن ذاته مخلوقٌ، وتُشبِّهه بكلامِ المخلوقينَ من الشِّعرِ وقولِ الزُّورِ وغيرِه، وتُنكِرُ عليَّ أنْ سميتُه بما سمَّاهُ اللهُ تعالىٰ به!

ويَجْهَلُ بِشْرٌ أين سَمَّاهُ الله مُوصَّلًا ومُفَصَّلًا، فقال له: إنَّه في كتاب اللهِ، ولكنَّكَ لا تَفْهَمُ ولا تَعْلَمُ!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٥١]، فهذه تسمية الله عَزَّوَجَلَّ لكلامِه، ووَصْفُهُ له بنصِّ التنزيل لا بتأويلٍ ولا بتفسيرٍ، وهو الذي اختاره لِنفسِه ولكلامِه، وارتضاهُ له.

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد:٢١]، فامتدَحَهُم بصلةِ ما وصلَ، وأثنىٰ عليهم في غير آيةٍ من كتابه، ووعدَهم علىٰ ذلك أحسنَ وعدٍ؛ وهي: الجنةُ، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٢- ٢٤]، فهذه مِدْحَةُ الله، وهذا ثناءُ الله، وهذا جزاءُ الله لِمَنْ وَصَلَ ما وَصَلَ.

ولقد ذَمَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الذين قَطَعُوا ما أَمَرَ اللهُ بصِلتِه، وذمَّهم ولَعَنَهُم وجَعَلَهُم من الخاسرين؛ فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥]، فهذا ذمُّ اللهُ لِمَنْ قَطَعَ ما وَصَلَ اللهُ، وما أَمَرَ بصلته، وهو وعِيدُ الله لهم بالنَّارِ].

الشَّرح

استَدلَّ الكنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه الآياتِ علىٰ أَنَّ في القرآن الْوَصْلَ؛ ففي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٥١]، سَمَّاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَصْلًا، حيث وصفه بنصِّ التنزيل لا بتأويلٍ، ولا بتفسيرٍ، وهو الذي اختاره الله تعالىٰ لكلامِه وارتضاه.

وكذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد:٢١]، حيث امتدحَهُم اللهُ بصلةِ ما وَصَلَ، وأثنىٰ عليهم في غير آيةٍ من كتابه، ووعدَهم علىٰ ذلك أَحْسَنَ عِدَةٍ[1]، وهو الجنة، حيث ذكر مِن أعمالِهم أنهم يَصلونَ ما أمرَ اللهُ به أن يوصلَ، ويخشونَ ربَّهم ويخافونَ سوءَ العذابِ، قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٢]، فجزاؤهم ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤].

فهذه مِدْحَةُ الله، وهذا ثناءُ الله وجزاؤه لمن وَصَلَ ما وَصَلَ، وذمَّ اللهُ الذين قَطعُوا ما أَمَرَ اللهُ بصلته، ولَعَنَهُم وجعلهُم خاسرين، ففي قوله سُبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ﴾[الرعد:٢٥]، ذَمٌّ لِمَنْ قَطَعَ ما وَصَلَ اللهُ، وما أَمَرَ بصلته؛ هذا فيه ذِكْرُ الوَصْلِ.

---

(١) هي من الوَعْد، ويجمع علىٰ عِدَاتٍ. ينظر: المفردات للراغب (ص٨٧٦).

قال راوي المناظرة:

[ثم ذكر اللهُ ما في القرآنِ مِن المُفصَّل فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ﴾ [فصلت:١-٣].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ [الروم:٢٨].

وقال: ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام:٩٨].

فهذا قولُ الله عَزَّوَجَلَّ، وهذه أخبارُ الله، وهذه تسمية الله، وهذه نسبة الله عَزَّوَجَلَّ لكلامِه، وهذا اختيارُ الله عَزَّوَجَلَّ لكتابه، ولكلامِه، وهذا ما ارتضاه اللهُ، ورَضِيَ به مِنْ قائلهِ].

الشرح

ذَكَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما في القرآن من المُقصَّل؛ حيث ذكر اللهُ في كتابه: أنَّ آياته قد فُصِّلت، وأن القرآن مُفصَّلٌ، كما في قوله سُبحانه: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود:١]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت:٢]، وقوله سُبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾، في عدَّةِ سور، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنعام:٩٨]، كما في سورة الأنعام وغيرها.

فهذا قولُ الله، وهذه هي أخبارُ الله، وتسميةُ الله، ونسبةُ الله عَزَّوَجَلَّ لكلامه، واختيارُ الله لكتابِه ولكلامِه، وهذا ما ارتضاه اللهُ، ورَضِيَ به من قائِله.

أَتُنكِرُ الفَصلَ والوصلَ في القرآنِ بعد كل هذا؟!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبلتُ علىٰ أَميرِ المؤمنين فقلتُ: يا أَميرَ المؤمنين، يزعمُ بشرٌ أَني سميتُ كتابَ الله ناقصًا مذمومًا، وأني ذهبتُ بقدرِه، وسميتُه بما لم يسمِّه اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وأني أتيتُ بذلك إثمًا وبهتانًا عظيمًا، ويدَّعِي عليَّ الدعَاوىٰ وأنا حاضر معه! وإنما ينبغي له إذا تكلمتُ بشيء [أن] يطالبني بإقامة الحجةِ والدليلِ علىٰ كُلِّ لفظة لفظتُ بها، فإن لم أفعل ذلك فَليتكلم بما شاء.

ولقد أكذَبَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كتابِه، وذمَّ قولَه وأبطلَهُ بما أنزل اللهُ في كتابه من ذكرِ المُوصل والمُفصل، وما قصدَ بشرٌ يا أَميرَ المؤمنين بقوله هذا إلَّا إلىٰ تنقيصِ العربِ كلها وذمِّ كلامِها ولغاتِها، وما تتعاملُ به في خطابِها؛ إذ كانت تسمِّي كلامَ الله مُوَصَّلًا ومُفصَّلًا، وتُسمي كلامها مُفصلًا ومُوصلًا، وتختار هذه الأسماءَ لكلامها وترتضيها، وهي عندنا جميلة حَسنَة صحيحةُ المعنىٰ لا خلافَ بينهُم في ذلك.

قال بشرٌ: ما تعرفُ العربُ من هذا شيئًا، وما أنت أعرف بالعربِ منِّي، وكُلُّ شيءٍ نَسَبْتَهُ إلىٰ العربِ فهو مخالِفٌ لقَوْلِها ولُغتها ومَذْهَبِها في كلامِها!].

الشَّرْحُ

يقول الكنانيُّ: يا أَميرَ المؤمنين، يزعمُ بشرٌ أني سميتُ كتابَ الله ناقصًا مذمومًا، وأنِّي ذهبتُ بقَدْرِهِ، وسمَّيتُه بما لم يسمِّه اللهُ، وأنِّي أتيتُ بذلك إثمًا وبُهتانًا عظيمًا، فاللهُ تعالىٰ ذَكَرَ تفصيل القرآن في آياتٍ كثيرةٍ، وأنه وَصَلَهُ؛ أي: وضَّحه وبيَّنه، فيدَّعِي عليَّ الدَّعاوِي وأنا حاضرٌ معه، وإنما ينبغِي له إذا

تكلمتُ بشيءٍ أن يُطَالِبَنِي بإقامة الحجةِ والدليلِ علىٰ كل لفظة لفظتُ بها، وإذا لم أفعل فَليتكلم بمَا شاء، لقد أَكْذَبَهُ اللهُ في كتابه، وذمَّ قولَهُ، وأبطلهُ بما أَنزلَ في كتابه مِن ذِكر المُوصلِ والمُفصَّلِ، وما قَصَدَ بشرٌ بقوله هذا إلَّا إلىٰ تنقِيصِ العربِ كُلِّهَا، وذمِّ كلامها ولُغاتها، وما تَتعاملُ به في خطابِها، إذ كانت العربُ تُسمِّي كلامَ اللهِ تعالىٰ مُوصلًا ومُفصلًا، وكذلك تسمِّي كلامها مُفصلًا ومُوصلًا، فتختارُ هذه الأسماءَ لكلامها وترتضيها، وهي عندنا جميلة حَسَنة صحيحة المعنىٰ، فأراد بذلك أن يُبيِّنَ أنَّ هذا ليس عَيْبًا لِلقرآنِ؛ لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالىٰ أنَّ فيه آياتٍ مُفصلةً مُوضَّحةً؛ كان ذلك مَدحًا لِلقرآنِ، وليس ذمًّا له، كما يقول.

وبَعْدَ ما أورَد الكنانيُّ علىٰ بشرٍ الآياتِ الدالةَ علىٰ الوصلِ والفصلِ، وما أشبَه ذلك، ما زالَ بشرٌ يعاندُ ويقول: ما تعرفُ العربُ من هذا شيئًا ممَّا ذكرتَ، فما أنت أعرف بلغة العرب مني، وكُلُّ شيءٍ تَنْسبُهُ إلىٰ العربِ مُخالِفٌ لقولها وللُغتِها ومَذْهَبِهَا وكَلَامِها، ولسانُ حالِ الكِنَانِيِّ: كيف وأنت في الأصلِ أعجمِيٌّ؟! كُلُّ هذا من بابِ التعَنُّتِ؛ حتىٰ لا ترد عليه الحُجَّة.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبلتُ على المأمونِ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين- أطال الله بقاءك- أنت بيتُ اللغةِ وأعلمُ خلق الله بلغة العربِ وكلامِها وما تَتعارَفه وتتعامَلُ به في خطابِها، وأنت الحاكِمُ بيننا، فإن أكن تزَيَّدتُ على العرب منذ اليوم فيما حكيتُه عن العرب، أو نسبتُه إليهم، أو عدَلتُ عن سُنتهم، أو حدْتُ عنهم وعن مذهبهم وكلامهم وخطابهم ومَخارجِ ألفاظِهم فقد استحققتُ العقوبةَ من وجهينِ:

أحدهما:

جُرأتِي على أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه- وقوْلي بين يديه، وحكايتِي عن قومِه ما يعلمُ خِلافَه، مع علمي أنه أعلمُ خَلْق الله بذلك.

والأُخرىٰ:

كَذبي على سائر العربِ، وادِّعائِي الباطلَ عليهم، وأَميرُ المؤمنين يشهدُ عليَّ بكذبي وتزيدي، وهو في حِلٍّ وسَعَةٍ مِن دمي، ومِن كل ما يُعاقِبني به، إن كان قد وَقَفَ على ذلك منِّي.

وإن يكن بشرٌ يا أميرَ المؤمنين قد تَزَيَّدَ في القول، وادعىٰ عليَّ الباطل؛ كان أميرُ المؤمنين أعلىٰ عينًا بالرَّدِّ عليه ومَنْعِه من قول الزور والكذب].

الشَّرحُ

قال الكنانيُّ: يا أميرَ المؤمنين، أنت بيتُ اللغة؛ فأنت مِن قُريشٍ، وهم وسطُ العربِ، فأنت أعلمُ بلغة العرب، وكلامِها، وما تَتعارفُه وتَتعاملُ به في

خطابها، والقرآنُ نَزَلَ بلسانهم، والأصلُ أنَّ العربَ ترجعُ إلىٰ قريشٍ، وذلك لأنَّهم في مكَّة، والعادةُ أنَّهم يرجعونَ إليهم واحدًا بعد واحدٍ، فمكة مَجْمَعُ العربَ، وفيها مُجتمعُهم، وفيها المَشاعِرُ، وفيها المَناسكُ، فلا بُدَّ أنَّ كلَّ العرب يرجعون ويتراجعون إليهم[1]، ولذلك فأنت الحاكمُ بيننا، فإذا زدتُ علىٰ العرب فيما حكيتُه، أو نسبته، أو عَدَلْتُ عن سُنَّتِهِم، أو حِدتُ عنهم، وعن مذهبهم وكلامهم وخطابهم ومخارجِ ألفاظهم؛ أستحقُّ العقوبة من وجهينِ:

أوَّلًا: لجرأتي عليك، وقولِي بين يديك، وحكايتي عن قومِك ما تَعْلَمُ خلافَه، مع عِلْمي أنك أعلمُ خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثانيًا: كذِبي علىٰ العربِ، وادعائِي الباطلَ عليهم، فأنت تَشْهَدُ عليَّ بكذبِي وتزيُّدي[2]، وَإن وقفتَ علىٰ ذلك منِّي؛ فأنتَ في حِلٍّ من دَمِي، وكُلِّ ما تُعاقِبُني به، وإن يكنْ بِشْرٌ قد تزيَّدَ عليَّ، وَادَّعىٰ عليَّ الباطلَ؛ كنتَ -أعَلَىٰ عينًا- بالرَّدِّ عليه، ومنعِه مِن قول الزورِ والكذبِ، كأنه يهيجُهُ عليه، يقول: إنَّه تزيدَ عليَّ حيث ادَّعَىٰ عليَّ، أني حِدتُ عن كلامِ العربِ، وأن كلامي كلَّه كَذِبٌ علىٰ العرب فعليك أن تُنصِفنِي منه.

(١) ينظر: الصاحبي لابن فارس (ص٢٨).

(٢) التزيُّد والتزايُد: الكذب في الحديث. وتكلُّف الزيادة في الكلام والفعل. ينظر: تاج العروس (٨/ ١٥٦): (ز ي د).

قال راوي المناظرة:

[فقال المأمونُ: ما قلتَ يا عبدَ العزيز منذُ اليوم إلَّا ما تَقولُه العربُ، وما تتعارفه وتَتعامل به، وما خرجتَ عن مذهبها، ولو عدلتَ عن ذلك ما سَوَّغتُ لك الكذبَ عليها.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ: ٱللَّهُ أَكۡبَرُ، ٱللَّهُ أَكۡبَرُ، كَذَبَ بِشرٌ والله بشهادةِ أميرِ المؤمنين -أطال الله بقاءه- لِي عليه، أفلحتُ وَرَبِّ الكعبةِ، أفلحتُ وربِّ الكعبةِ، وظهر أمرُ الله وهُم كارهون!

قال عبدُ العزيز: فقال بشرٌ: وعلىٰ الخلق أن يتعلموا لغة العربِ؟! ما تَعبَّدَنا اللهُ بهذا! كل إنسان يقول بلغتِه، وبقدر معرفته، وما كلَّفَ اللهُ الخلق فوق طاقتهم، ولا طالَبَ أولادَ العجمِ بلغة العرب!].

الشرح

يقول المأمونُ: إنك ما قلتَ يا عبدَ العزيزِ إلَّا ما تقولُه العربُ وتعرفُه وتتعاملُ به، وكان المأمونُ فصيحًا فشهدَ له بأنه ما قال إلَّا ما تعرفُه العربُ، حَيث قال: ما خرَجْتَ عن مذهبِهَا أبدًا، ولو عدَلتَ عنه ما سَوَّغتُ لك الكذبَ، ولا أقررتُك علىٰ الكذبِ الذي يدَّعِيهِ المَرِيسِي.

فظهرَ كَذِبُ بشرٍ في قوله: إنَّك كذبتَ علىٰ العربِ، وإنك نسبتَ إلىٰ العربِ شيئا مُخالفًا للغتِها بشهادةِ أمير المؤمنين، فَكَبَّرَ الكنانيُّ، وقال: أفلحتُ وربِّ الكعبةِ، وكرَّرَهَا، وظهرَ أمرُ الله وهم كارهون يعني: ولو كَرِه المشركونَ.

وهنا يسألُ المَرِيسِيُّ -مُستنكرًا-: وهل تُلزمُ جميع الأُمَمِ وجميع الدولِ أن يتعلموا لُغة العرب؟!

فيجيبُ: ما تعبَّدَنَا اللهُ بهذا، كلُّ إنسانٍ يتكلمُ بلغتِه، وبقدرِ معرفتِه، مَا كلَّفَ اللهُ الخلقَ فوق طاقتهم، ما طالَبَ أولادَ العجمَ بلغة العرب.

نقولُ: نَعَمْ، هذا صحيحٌ، ولكن لَا بُدَّ أن يَفهمَ الأعاجمُ العربيةَ، وما تهدِفُ إليه؛ فإنَّهُم لو قرأوا الفاتحةَ في الصَّلاةِ بلُغة العجمِ ما صحَّت قراءتُهم، وكذلك لو أَذَّنُوا بلغتهم ما صحَّ الأذانُ، وهكذا ألفاظُ التسبيحِ والتكبيرِ؛ لَا بُدَّ أنها تكون بلغة العربِ، وإن كانوا لا يعرفونها تُرجِمَتْ لهم، وبُيِّنَتْ لهُم مَعَانيها[1].

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب (٣/ ٣٨١).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ لبشرٍ: وكلَّفَ اللهُ الخلقَ أن يتكلَّمُوا بما لا يعلمُون؟! حيث ادعيتَ العلمَ، وتكلمتَ في القرآن العظيم، وتأولتَ كتابَ الله علىٰ غيرِ ما عناه اللهُ، ودعوتَ الخلق إلىٰ اتِّباعِك، وكفَّرتَ مَن خالفَك، وأبحتَ دمَهُ، واللهُ قد نَهىٰ الخلقَ جميعًا فلم يُحَاشِ(١) نبيًّا مُرسَلاً، ولا صِدِّيقًا، ولا عبدًا مؤمنًا أن يقولوا ما لا يعلمُون، فقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِنَبيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]، **فقال نوحٌ مُعتذرًا إلىٰ ربه مُعترفًا بخطيئتِه مُستغفرًا منها:** ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧].

وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]، **يذمُّهم اللهُ بهذا الخبرِ، وذمَّ فعلَهم وطريقَهم التي سلكوا.**

فقال بشرٌ: اخطبْ حتىٰ تَشْبَعَ من الكلام ثم أُخاطِبك!

قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بِشرًا قد تحيَّرَ في ضلالتِه، وعَمِيَ عن رُشْدِه، وبانتْ فضيحةُ قولِه ومذهَبِه، وانقطع فمَا يأتِي بِحُجةٍ.

---

(١) حاشا من القوم فلانًا يُحاشي: استثناه. تهذيب اللغة (٥/ ٩١)، وقد بيَّنه العلامة ابن جبرين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في التعليق.

فقال بشرٌ: ما انقطعتُ ولا تحيرتُ ولا بانتْ فضيحة مَذهبي، وأنا علىٰ بَيِّنَةٍ مِن أمري، وما دعوتُ الناسَ ولا أدعُوهم إلَّا إلىٰ سبيلِ الرَّشاد، ولا أنا ولا هم إلا علىٰ سداد، وكل مَن خالفنِي فكافر حلال الدَّم!].

الشَّرح

لمَّا ادَّعَىٰ بشرٌ أنَّ اللهَ ما كلَّفَ أحدًا أن يتعلمَ العربية.

قال عبدُ العزيز: هل كلَّفَ اللهُ الخلقَ أن يتكَلمُوا بما لَا يَعلمون؟ فأنت يا بشرُ تقول ما لا تَعلمُ، حيث تدَّعِي العلمَ، وتتكلم في القرآن العظيمِ وتَتأولُ كتابَ الله علىٰ غيرِ ما عَنَاه الله، فتُحرِّفُ وتَتخبَّط في القرآن، وتجعله علىٰ هواكَ وتدعو الخلقَ إلىٰ أن يتَّبعُوك، وتكفِّرُ مَن خالفك بهذا القولِ، وتُبيحُ دَمَهُ.

فاللهُ تعالىٰ قد نهىٰ الخلق جميعًا عن أن يتخبَّطوا، ما استثنَىٰ نبيًّا، ولا صِدِّيقًا، ولا عبدًا مؤمنًا، نهاهُم اللهُ أن يقولوا ما لا يعلمون، وأن يتخبَّطوا في دينِ الله بغير علمٍ، ثم ذكر قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

لا تقف: يعني: لا تتبِع فيما ليس لك به علم(١)، أي: ما لا تعلمُه، فاقتصِرْ علىٰ ما تَعْلَم، ولا تتخبَّط بغير علمٍ، فجوارحُك مسؤولةٌ، سَمْعُك، وبصرُك، وفؤادُك، أنت مسئولٌ عنها كلِّها.

ثم ذكرَ قولَه سُبحانه في خطابِ الله تعالىٰ لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا رَكِبَ

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٥٤).

السفينةَ قال: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾، فامتنعَ ولدُهُ ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ﴾، فكان ولده ﴿مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود:٤٣]، فاللهُ تعالىٰ قد قال لنوحٍ: اركبْ أنت وأهلك إلا مَن سبق عليه القولُ، وولده هذا ممَّن سبقَ عليهِ القولُ فسأَل ربه: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود:٤٥]، يعني: نجِّه؛ فإنَّه مِن أهلي، فعاتبهُ اللهُ سُبحانه بقوله: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]، أي: فلا تسألني بلا علمٍ، فاعتذرَ نوحٌ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، واعترفَ بخطيئته واستغفر: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌ﴾، تجرأتُ يا ربِّ، وسألتُكَ نجاةَ ولدي الذي قد كتبتَ عليه أنه من المُغرقينَ، ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هود:٤٧]، فإن لم تغفرْ وترحمْ كُنتُ خاسرًا.

وكذلك في هذه الآيات، يقول سُبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ فالمحكماتُ هي الآياتُ التي دلالتُها واضحةٌ ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾، التي قد تشتَبه علىٰ بعضِ الناس؛ لاحتمالِها أوجهًا، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾، انحرافٌ وميْلٌ -والعياذُ بالله- ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾، يتتبعُونَ المُتشابهَ، ويتشبثون به، لماذا، وابتغاءَ ماذا؟! حِرْصًا علىٰ أَنْ يُؤولوه ويحرِّفوه ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1] [آل عمران:٧].

ففي هذا الخبرِ ذمٌّ لهم، ولفعلهم، ولطريقتهم التي سَلَكُوها، وعِتابٌ لِبشْرٍ؛ لتجرؤه علىٰ كلامِ اللهِ، وخوْضِه فيه بغير عِلْمٍ.

يقول بشرٌ: اخطُبْ حتىٰ تشبعَ من الكلام، ثم أُخاطبك. فجعلَ ذلك كأنه من الهَذرِ الذي لا فائدةَ فيه!

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ١٨٨- ١٩٢).

فأجابه الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ بِشرًا تحيَّرَ في ضلالتِه، حيث عَمِيَ عن رُشدِه، فبانت فضيحةُ قولِه ومذهبِه، فقد انقطعَ فلم يأتِ بحجةٍ، ولم يستطع أن يَرُدَّ.

ومع ذلك قال: ما انقطعتُ، ولا تحيرتُ، وما بانتْ فضيحةُ مذهبي، فأنا علىٰ بينةٍ، وأنا ما دعوتُ الناس، ولا أدعوهُم إلا إلىٰ سبيلِ الرشادِ، هكذا يقول كما قال فرعونُ: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، فقولهُ مثلُ قولِ فرعون!

ما أنا ولا هُم إلَّا علىٰ سَدَادٍ، وهذا كَذِبٌ.

ثم يقول: كل من خَالفنِي -حتىٰ أنت يا كنانِي- كافرٌ، حلال الدَّمِ، هكذا يَتجَرأُ علىٰ السُّنَّةِ وعلىٰ أتباعِها!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، ما كان بقِيَ علىٰ بشرٍ غير هذا. قد قال كما قال فرعون، ولجَأ إلىٰ سبيلِ فرعون فاتَّبعَهَا وإلىٰ سبيله فسلكها.

فتبَسَّمَ المأمونُ حتىٰ وضعَ يَدَهُ علىٰ فيهِ، ثم قال: كيف قلتَ يا عبد العزيز؟!

فأعدتُ عليه القولَ؛ فازدادَ تَبَسُّمُهُ ثم قال: كيف قال بشرٌ ما قال فرعونُ ولجأَ إلىٰ سبيلِ فرعونَ؟!

فقلتُ له: لمَّا قرأتُ علىٰ بشرٍ القرآنَ وأوضحتُ له السبيل والبُرهانَ ودَلَلتُه علىٰ طريقِ النَّجَاةِ، ونطقتُ بالحق الذي أنطقنِي اللهُ به؛ قال بشرٌ: إني لعلَىٰ بينة من ربي، قال هو: ما دعوتُ الناس إلا إلىٰ سبيلِ الرشادِ! وكذلك قال فرعونُ حين أَنطقَ اللهُ مَن وفَّقَهُ لقولِ الحقِّ قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٨، ٢٩].

قلتُ: قال هذا المؤمنُ الحَقَّ الذي أنطقَ اللهُ به لسانَه وسَدَّدَ به قَوْلَه: وسمِعَه فرعونُ وقومُه، قال فرعونُ لقومِه: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]!

وكذلك بشرٌ يا أميرَ المؤمنين؛ حين سمعني أقولُ الحقَّ الذي وفقنِي

اللهُ إليه وأنطقَ به لسانِي؛ فقال: إني لعلىٰ بينةٍ مِن ربي، وما دعوتُ الناس إلَّا إلىٰ سبيلِ الرَّشاد! فأجابَ بمثل ما أجابَ به فرعونُ عند سماع الحَقِّ واتبعَ سبيله وما عَدَلَ عنه!

فبشرٌ مَرَّة يتَّبعُ سبيلَ الشيطانِ ويأمُرُ بما أمرَ به الشيطانُ، وقد قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

ومَرَّةً يتَّبعُ سبيلَ اليهود في تَحريفِ القرآن عن مواضعه، وقد قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، إلىٰ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٥٢]، وقال: ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦١] ومثلُ هذا كثيرٌ.

ومرَّة يتَّبعُ سبيلَ الكفارِ في التسويةِ بين الله وبين خلقِه في خلق الأشياء.

ومرَّةً يتَّبعُ سبيل عَبَدَةِ الأصنامِ في الحيدةِ عن الجوابِ؛ وقد قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [غافر:٢٥].

ومرَّة يتَّبعُ سبيلَ فرعونَ والقول بمثلِ قولِه، وقد قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [غافر:٣٧].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء:٨١]].

الشَّرحُ

قال الكنانيُّ: يا أميرَ المؤمنين، ما كان بَقِيَ علىٰ بِشرٍ إلَّا أَنْ لجأَ إلىٰ سبيل فرعون واتَّبعَها وسلكَها.

فتبسَّمَ المأمونُ، ووضعَ يدهُ علىٰ فيه، ثم قال: كيف قلتَ يا عبد العزيز، أعدْ عليَّ القولَ، فازداد تَبَسُّمًا، ثم قال: كيف لجأ إلىٰ سبيلِ فرعون؟ يعني في هذه الكلمة.

فقال: لمَّا قرأتُ علىٰ بشرٍ القرآنَ، وأوضحتُ السبيلَ والبُرهانَ، بالآياتِ التي تقدَّمتْ ففيها الدَّلِيلُ الواضحُ، وسبيلُ النجاةِ والسلامةِ، ونطقتُ بِالحَقِّ الذي أنطقنِي اللهُ به، فاعترضَ بشرٌ، وَادَّعَىٰ أنَّه علىٰ بينةٍ من ربهِ، وقال: ما دعوتُ الناسَ إلَّا إلىٰ سبيلِ الرشادِ، كما قالَ فِرعونُ حين أنطقَ اللهُ من وفَّقهُ لقولِ الحَقِّ.

فمؤمنُ آلِ فرعون الذي ذَكرَ اللهُ أنه نَطَقَ بالحقِّ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾، يعني: موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾، يعني: بالآياتِ والمعجزاتِ ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾، فلا تعرضوا له ولا تقتلوه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، ففي حال صدقِه يُعجِّلُ اللهُ لكم العقوبةَ، ويصيبُكم بعضُ ما وعدكم به، وكان هذا المؤمنُ يكتمُ إيمانه وهو مؤمنٌ مِن آل فرعون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، ولو كان كاذبًا فلا بُدَّ أن يظهرَ كذِبُه ﴿يَـٰقَوْمِ﴾ يُخاطبُ قومَه أتباع فرعون: ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، أنتم الآن مَالِكُونَ في الأرض، فَابقوا علىٰ مُلككِم، ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾، ما يَخوِّفُنا به موسىٰ[1]، هذا المؤمنُ أنطقَهُ اللهُ تعالىٰ بالحقِّ، وسَدَّدَ لسانهُ، عند ذلك سمعَهُ فرعونُ وقومُه فقالَ فرعونُ لقومِهِ: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣١٤).

﴿ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، فرَشادُ فرعون دعواه أنَّه ربُّهم، كما في قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، فهل في هذا رشادٌ؟! فذاك مثلُ بِشْرٍ حين سمعني أقولُ الحقَّ الذي أنطقنِي اللهُ به؛ ادَّعَىٰ أنه علىٰ بينةٍ من ربه، وأنه ما دَعَا إلَّا إلىٰ سبيلِ الرَّشادِ؛ فأجابَ بجواب فرعونَ واتَّبعَ سبيلَهُ، وما حَادَ عنها عند سماعِ الحقِّ.

فبشرٌ في كلامه كُلِّه، أحيانا يتَّبِعُ سبيلَ الشيطانِ مثلما رأينَا في طريقةِ استدلالِهِ، فيأمرُ بما يأمرُ به: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

وأحيانًا يعملُ كعمَلِ اليهود، وقد تقدَّم ذلك فهم يُحرِّفون الكلمَ عن مواضعه، قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ عنهُم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، إلىٰ قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٥٢]، وكذلك في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٦١] فهذا كثيرٌ في القرآنِ.

ومرَّة يتَّبعُ سبيلَ الكفارِ فيسوِّي بين الله وخلقِهِ حيث يدَّعِي أنَّ الخلقَ يَخْلُقُون، وهذا كُفرٌ.

وأحيانًا يتَّبعُ سبيلَ عَبَدَةِ الأوثانِ في الحيدة عن الجواب واللهُ عَزَّوَجَلَّ قال عنهم: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر:٢٥].

وأحيانا يتَّبِعُ سبيلَ فرعونَ فيقولُ مثلَ قولِه، واللهُ عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ [غافر:٣٧].

يقول إنَّه ظهرَ بهذا الحقّ، ثم ذكر قولَه عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨]، وكذلك قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

قال راوي المناظرة:

[فقال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءكم- إنما يتكلمُ ويخطبُ ليُنسِي خصمَهُ حجتَهُ ويَشغلهُ بغيرها، ولولا بسطُ أمير المؤمنين إيَّاه لم يقدِر أن يُدير لسانَهُ في فَمِه، ولكنتُ ظاهرًا عليه! ثم أقبل بشرٌ عليَّ وقال: لو خطبتَ إلىٰ غد؛ ما تركتُ مُطالبتك بما قلت؛ فدَع عنك الهذيان، وأقبل عليَّ.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ له: تكلم بما شئتَ حتىٰ أُجِيبَك.

فقال بشرٌ: تَعَبَّدَ اللهُ الخلقَ أن يَعرفوا المُوَصَّل والمُفَصَّلَ، وما يَضُرُّ الخلقَ أن لا يَعرفوا ذلك ولا يتعلموه؟!

فقال له المأمونُ: قد رجعنا إلىٰ الكلام الأول!].

الشرح

احتج بشرٌ علىٰ الكنانيِّ بأنه يتكلم ويخطبُ حتىٰ يُنسِي خصمَهُ الحجة، ويَشغله بغيرها، ولولا أنك يا أميرَ المؤمنين انبسطتَ له، ما قَدَرَ علىٰ أَن يُدِيرَ لسانَه في فمِهِ، وكنتُ ظاهرًا عليه، وأغلِبُه.

ثم أَقْبَلَ بشرٌ علىٰ الكنانيّ وقال له: لو خطبتَ إلىٰ غدٍ ما تركتُ مطالبتَكَ بما قلت، ولا أتراجع عما قلتُ، دع عنك هذا الهذيان. فجعل كلامه كلَّه كالهذيان.

فقال له الكنانيُّ: تكلمْ بما شئتَ حتىٰ أجيبَك، فرجعَ إلىٰ مقالتِه السابقةِ وقال: هل تعبَّدَ اللهُ الخلقَ أن يَعرفُوا المُوَصَّل والمُفَصَّلَ؟

وما يَضُرُّ الخلقَ ألَّا يَعرفُوا ذلك ولا يتعلموهُ؟!

وقد تقدَّم أنَّ الكنانيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر ما وصلهُ اللهُ وما فصلهُ، وستأتي أمثلةٌ لذلك. فقال له المأمونُ: قد رجعنا إلىٰ الكلامِ الأولِ، يعني: تُعِيدُ ما تقدَّم؟!

قال راوي المناظرة:

[فقال بشرٌ: أدهشني بكلامه وخُطبه عن تمامِ الكلام في هذا، وهو يتوهمُ أنه كسرَ قولي بهذا المُفَصَّلَ والمُوَصَّل الذي لا يحتاجُ إلىٰ معرفتِه، ولا يُطَالبُ أحدٌ به!

قال عبدُ العزيز: فقلتُ لبشر: بل قد تَعبَّد اللهُ الخلقَ أن يَعرفُوا ذلك ويتعلموه؛ لئلا يَصِلوا ما فصل اللهُ، ويَفصِلُوا ما وصل اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

قال: ما الحُجَّة في ذلك والدليلُ علىٰ صِدقِ قولك؟

قال عبد العزيز: فقلتُ له: أَمَا سمعتَ ما قرأتُ عليك من كتابِ الله، وما تلوتُ عليك من الآياتِ المُحكماتِ فيمن وصل ما أمر اللهُ به أن يُوصَلَ، ومَن قطعَ ما أَمَرَ اللهُ به أن يُوصل، وما وَعَدَ اللهُ به هؤلاءِ من حُسنِ الثواب وعُقبىٰ الدَّار، وما تَوَعَّدَ اللهُ بِه هؤلاء من اللَّعنة والعذاب وسوء الدَّار؟!

فقال بشرٌ: دَعْ ذِكرَ ما مضىٰ؛ فمَا لكَ فيه حجةٌ، واحتجَّ الساعةَ بشيء أفهمه!].

الشَّرحُ

يقولُ بشرٌ: لقد أدهشتنِي بكلامِك وخطبِكَ عن تمامِ الكلام في هذا حيث تتوهمُ بأنكَ كَسرتَ قولي بهذا المُفَصَّلَ والمُوَصَّل الذي لا يحتاجُ إلىٰ معرفتهِ، هكذا يَدَّعِي أنه ليس بواجبٍ ولا يطالبُ به أحدٌ، فأجابه الكنانيُّ قائلًا: بل قد تَعَبَّدَ اللهُ الخلقَ أن يعرفُوا ذلك ويتعلموه؛ حتىٰ لا يصلوا شيئًا فصَلهُ اللهُ، ولا يَفصِلوا شيئًا وصله اللهُ تعالىٰ.

فلمَّا قال بشرٌ: ما الحُجَّة والدليلُ علىٰ ما قلتَ؟

أجابه الكنانيُّ: لقد قرأتُ وتلوتُ عليك آياتٍ مُحكماتٍ من كتابِ الله، في حُكمِ مَن وَصَلَ ما أمَرَ اللهُ به أن يُفصَّلُ، وفَصَّل وقَطَع ما أمرَ اللهُ به أن يُوصلَ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد:٢١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد:٢٥] وَعَدَ الأوَّلينَ الذين وَصَلوا أمرَ اللهِ بحسن العاقبة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا...﴾ [الرعد:٢٢،٢٣]، وتوعَّدَ الآخرين باللعنةِ كما في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥]، وتكرر ذلك في سورة البقرة في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [البقرة:٢٧].

يقولُ بشرٌ للكِنانيِّ: ما مضىٰ من الاستدلالاتِ والآياتِ ليس لك فيها حجةٌ، فائتِ الآن بشيءٍ جديدٍ احتج به وأفهمُه، ولكن هذا دليلٌ علىٰ قلّةِ فَهْمِ بشرٍ!

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز: فقلـتُ لـه: صدقـتَ إنـكَ مـا فهمـتَ مـا مضَـىٰ، ولـو فهمـتَ مـا قلـتَ مـا قلـتَ.

وأقبلـتُ علـىٰ المأمـونِ فقلـتُ: يـا أميـرَ المؤمنيـن، إنَّ في بعـضِ مـا مضَـىٰ لكفايـةً وبلاغًـا، ولكـن بشـرٌ يزعُـمُ أنـه لـم يَفهَـم شـيئًا ممَّـا مضَـىٰ، وأنـا أتكلـمُ في ذكـرِ المُفَصَّـلُ والمُوصَّـلِ مـن القـرآنِ، وأحتَـجُّ للعـربِ في صحـةِ لُغاتهـا ومذاهبها في كلامهـا وخِطابهـا.

قـال عبدُ العزيـز: فقـال المأمـونُ: إن كان بشـرٌ لَـم يَفهَـمْ مـا مضَـىٰ فكذلـك لا يفهـمُ إعـادةَ مـا يأتِـي، فـدَع إعـادةَ شـيءٍ قـد مضَـىٰ وظهَـرَتْ لـك الحُجَّـة فيـه فـإنَّ هـذا وقـتُ الصـلاة].

الشَّرح

يقـول الكنانِـيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: صدقـتَ يـا بشـرُ في قولـك: لا تفهـمُ مـا مضَـىٰ؛ لأنـكَ لـو فهمـتَ مـا تكلمـتَ بهـذا، ثـم أقبلـتُ علـىٰ المأمـونِ وقلـتُ: يـا أميـرَ المؤمنين، بعضُ كلامـي الـذي مضَـىٰ فيـه كفايـةٌ، وفيـه بـلاغٌ، فبِشـرٌ يَزْعُـمُ أنـه مـا يَفْهَـمُ شـيئًا ممَّـا مضَـىٰ، وأنـا أتكلـمُ في ذكـر المُفَصَّـلُ والمُوصَّـلِ مِـن القـرآن بـكَلامٍ جديـدٍ، وأحتـجّ للعـربِ في صحـةِ لغاتِهـا ومذاهبِهـا وكلامِهـا وخِطابِهـا.

فقـال المأمـونُ: إن كان بشـرٌ لـم يفهـم مـا مضَـىٰ؛ فـلا يفهـمُ إعـادةَ مـا يأتِـي، فـدَعْ إعـادة شـيءٍ قـد مضَـىٰ ظهـرتْ لـكَ الحُجَّـة فيـه، وهـذا وقـتُ الصـلاةِ.

قال راوي المناظرة:

[فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، إن رأيتَ أن تأذنَ لي أن أتكلمَ بشيءٍ لم أتكلمْ به في هذا المعنىٰ أقيمُ به الحُجَّةَ علىٰ بشرٍ، وأرجو أن يَستحسنَه أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- من غير إطالةِ الكلامِ.

فقال: تكلمْ وأَوْجِزْ.

قال عبدُ العزيز: فأقبلتُ علىٰ بشرٍ فقلتُ: زعمتَ يا بشرُ أنَّ اللهَ لم يتعبَّدِ الخلقَ بمعرفةِ المُوصَّلِ والمُفَصَّلُ فمَن زادَ فيه شيئًا أو نَقَصَ منه كان كافرًا.

قال بشرٌ: ما قلتُ هذا يا أميرَ المؤمنين، وهو يدَّعيهِ عليَّ!

فقلتُ له: أخبرني عمَّن قال: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لم يتعبَّد الخلقَ بمعرفةِ شيءٍ من هذا، أو غَيَّرَهُ، أو زادَ فيه، أو نقصَ منه كان كافرًا، أيكونُ صادقًا أم كاذبًا؟

فقال: بل كاذبًا وإنَّما أقولُ: كل شيءٍ إذا زِيدَ فيه، أو نقص منه، أو غُيِّرَ عمَّا هو عليه؛ كان فاعلُ ذلك كافرًا؛ لأنَّ اللهَ تعبَّدَ الخلقَ بمعرفتِه وعلمِه.

فقلتُ له: قد وَافقْتَنِي وأجبتَ نفسكَ عنِّي وأقررتَ بما أنكرتَ!].

الشَّرْحُ

لمَّا قال المَأْمُونُ للكنانيّ رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلمْ وأوجزْ، أقبلَ علىٰ بشرٍ، وقال له: زعمتَ يا بشرُ أنَّ اللهَ لم يتعبَّدْ الخلق بمعرفة ما فصلَ وما وصلَ، وزعمتَ أنَّ مَن زادَ فيه أو نقصَ كان كافرًا.

قال بشرُ: ما قلتُ هذا، تدَّعِيه عليَّ!

فقالَ له: أخبرني عمَّن قال: إنَّ اللهَ لم يتعبَّد الخلقَ بمعرفةِ شيءٍ مِن هذا أو غيَّره أو زادَ فيه أو نقصَ يكونُ كافرًا، أيكونُ صادقًا أو كاذبًا؟

فأجـابَ بشـرٌ: بأنـه يكـونُ كاذبًـا وأيضًـا أقـول: كُلُّ شَـيء إذا زِيـدَ فيـه، أو نقـص، أو غُيِّـرَ عمَّـا هـو عليـه، كان فاعـلُ ذلـك كافـرًا[١]؛ لَأنَّ اللهَ تعبَّـد الخلـقَ بمعرفتـه وعلمـه.

فقـال عبدُ العزيـز: لقـد وافقتَنِـي، وأجبـتَ نفسـك عنِّـي، وأقـررتَ بمـا أنكـرتَ، فأنـتَ بهـذا قـد خَصَمْـتَ نفسـكَ في أن مَـنْ زاد في القـرآنِ أو غيَّـرَ شيئًا في وضـعِ القـرآن، فإنَّـه يكـونُ كافـرًا.

---

(١) ينظر: مراتب الإجماع (ص١٧٤).

قال راوي المناظرة:

[فقال بشرٌ: دع الكلامَ والتشبيهَ عنك وأقم الشَّاهدَ والدليلَ على ما تقول.

قال عبدُ العزيز فقلتُ له: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

فأخبرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنه لا إله إلَّا هُوَ وشهدَ بذلك لنفِسه، وشهدَتْ له الملائكة، وأولو العلم بمثل ذلك فلو قال رجلٌ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ ﴾ وقَطَعَ الكلامَ والصلةَ عَامدًا كان كافرًا حلالَ الدَم؛ لأَنَّه أعْظَمَ علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ الفِريَةَ وأبطلَ الرُّبوبية وجَحدَ أن يَكونَ اللهُ تعالىٰ إلهًا واستشهدَ ملائكتَهُ وأولو العلمِ علىٰ قوله، فإذا وصلَ الكلمةَ كما وصلهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران:١٨]، كان صادقًا وكان قد قال مَا قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وشهدَ به لنفسِه، وشهدت به الملائكة وأولو العلم.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وكذلك كُلُّ مَا في القرآن من التهلِيل فعَلَىٰ هذا المعنَىٰ مَنْ فصله مِنْ صِلَتِهِ، وزادَ فيه، أو نَقصَ منه؛ كان كافرًا.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ [البقرة:٢٦]، لو أنَّ رجلًا قال: «إن اللهَ لا يستحيي» وقطعَ الكلامَ عامدًا كان كافرًا؛ لأنه زعمَ أنَّ اللهَ لا يستحيي، ومن قال هذا فقد أعظمَ الفِريَةَ؛ إذ أخبرَ عن الله أنَّه أخبرَ عن نفسه أنه لا يستحيي فقد كفرَ وحَلَّ دمَه بقوله هذا.

وكذلك قوله في سُورة الأحزاب: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب:٥٣].

فلو قال رجلٌ: (واللهُ لا يستحيي)، وقطعَ الصِلَةَ عامدًا؛ كان كافرًا، حتىٰ

يصلَ ما وصلَ اللهُ في الحرفين فيقول في الأولِ: (أن يضربَ مثلًا)، ويقول في الآخر: (من الحقِّ)؛ فيكونُ قد وَصَلَ ما وصل اللهُ ولم يقطعهُ، وإن لم يصله كان كافرًا حَلالَ الدَّمِ.

وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]، فلو قال رجلٌ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ﴾، وقطَعَ الصِّلَةَ عامدًا كان كافرًا حلال الدَّمِ؛ لأنه زعم أنَّ الله لا يَعلمُ الغيبَ، ومَن زعمَ هذا فقد رَدَّ خبرَ الله عَزَّوَجَلَّ وردَّ قولَ الله عَزَّوَجَلَّ بشهادتِه لنفسِه بعلمِ الغيبِ بقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن:٢٦-٢٧]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر:٣٨].

فَمَنْ قال: إنَّ اللهَ لا يَعلمُ الغيب فقد كَفَرَ وحَلَّ دمُه، فإذا وصلَ ما وصلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ولم يقطعهُ فقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾، كان صادقًا، وكان قد قال ما قال الله عَزَّوَجَلَّ، وَوَصلَ ما وَصلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

ومثلُ هذا في القرآن كثير].

الشَّرحُ

يُبيِّنُ الكنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذا حُكْمَ مَن قطعَ الكلام ولم يُتمّهُ: أنه بذلك يحرِّفُ الكلِمَ، فمِن ذلك قولُ الله ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨] حيث أخبرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن نفسه أنه شهد بذلك والملائكة وأولو العلم، فلو أنَّ رجلًا قرأها ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ وقطعَ الكلامَ ولم يصله، ألَا يكونُ ذلك جَحْدًا كما يَقولهُ الشيوعيون: (لا إله)، وقولُ: «لَا إله» فقط، هذا كفرٌ؛ لأنه نَفْيٌ لإلهيةِ الله تعالىٰ، وقطعٌ لصلتِهَا «إلا الله»، فلا بُدَّ من أَن يجمعَ بين

النَّفْي والإثباتِ، فمن اقتصرَ علىٰ «لا إله» فهو حلالُ الدَّمِ؛ لأنه أنكرَ إلهيَّةَ الله، أعظمَ علىٰ الله الفِريَةَ، وأبطلَ الرُّبوبيَّة والإلهِيَّةَ، وجَحَدَ أَن يكونَ اللهُ إلهًا، وجَحَدَ ما أشهدَ عليه ملائكته، وأولي العلم.

فأما إذا وصلَ الكلمة، كمَا وصلهَا اللهُ تعالىٰ؛ فإنَّه يكونُ صادقًا، ويكونُ قال ما قالَهُ اللهُ، وما شَهِدَ به لنفسِه، وشهدتْ به الملائكةُ وأولو العلم.

كذلك قولُ الله عَزَّوَجَلَّ في آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وفي أولِ آل عمران: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران:٢].

وكذلك كُلُّ مَا في القرآن من التَّهلِيل.

ذُكِر عن بعضِهِم أنهم تتبَّعوا التَهليلاتِ التي في القرآن وإذا هي سبعةٌ وثلاثونَ موضعًا، منها: «لا إله إِلَّا الله» ذُكرَت في موضعين:

الأوَّلُ: في سورة الصافَّات: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[الصافات:٣٥].

والثاني: في سورة مُحمَّدٍ: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد:١٩].

وفي سورة الأنبياء قولُ ذِي النونِ: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ ﴾[الأنبياء:٨٧].

وبقية المواضعِ أكثرها: «لا إله إِلَّا هُوَ».

وهكذا كُلُّ ما في القرآنِ مِن التَّهلِيل، لا يجوز فَصله، لا بُدَّ أن يصلَ أوَّل الكلام بآخرِهِ، وتُسمَّىٰ هذه: «أركان التوحيد»، «أركان الشهادة» يقولون فيها: الاتِّصالُ والانفصالُ، الانفصالُ أوَّلُها والاتِّصالُ آخِرُهَا، ويقال في هذه الكلمة: الولاءُ والبراءُ، ويقال فيها: النفي والإثباتُ، فالنفْي والإثباتُ، والاتِّصالُ والانْفصالُ، والولاءُ والبراءُ، كل هذا في هذه الكلمةِ، فإذا فَصَله مِن صلتِه، أو زادَ فيه، أو نَقَصَ فغَيَّرَه قال: «لا إله» فهو كافر(١).

(١) ينظر: الرياض الندية علىٰ شرح العقيدة الطحاوية للشيخ ابن جبرين (١/ ١٧١ - ١٧٧).

وكذلـك قـولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة:٢٦]، فلـو أنَّ رجـلًا اقتصـرَ علـىٰ قولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ﴾، أَلَا يكـونُ قطـعَ مَـا أمـرَ اللهُ بـه أن يُوصـلَ؟ فـإذا كان عامـدًا كان كافـرًا حـلالَ الـدَّمِ حيـث يَزْعُـمُ أن الله لا يستحيي، وهـذا خـلافُ مـا أَثْبَتَـهُ اللهُ، فَمَـنْ قـال هـذا فقـد أَعْظَـمَ علـىٰ الله الفِرْيـةِ.

وكذلـك قـول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب:٥٣]، لـو قرَأَهَـا: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ﴾ ووقـفَ عليهـا، ألا يكـونُ كافـرًا بذلـك؛ لأنـه قَطَـعَ مـا وَصَلَـهُ اللهُ؟! فلا بُدَّ أن يصـلَ مَـا وصله اللهُ، فـإن لـم يصله فهـو كافـر؛ لأنـه حـرَّفَ كلامَ الله.

وكذلـك قـولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩]؛ فلـو اقتصرَ علـىٰ قولـه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ﴾، ولـم يـأتِ بالاستثناءِ، وَقَطَـعَ الصِّلـةَ عامـدًا، ألَا يكـونُ كافـرًا؟ يَزْعُـمُ أنَّ الله لَا يعلـمُ الغيـبَ، فمـن زَعَـمَ هـذا فقـد رَدَّ علـىٰ الله خَبَـرَهُ، وَرَدَّ قَـوْلَ اللهِ تعالـىٰ؛ فإنَّـه أخبـرَ أنـه عالـمُ الغيـبِ كمـا قـال تعالـىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

وكذلـك قـول اللهِ تعالـىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن:٢٦،٢٧]، وقولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر:٣٨].

وغير ذلك من الآياتِ الدالةِ علىٰ ذلك[1].

فمَـن قـال: إنَّ اللهَ لا يعلـمُ الغيـبَ؛ فقـد كَفَـرَ وحـلَّ دمُـهُ، إلَّا إذا وَصَـلَ مـا وصـلَ اللهُ ولـم يقطعـهُ، فهـذا صـادقٌ، ويكـونُ موافقًـا لمـا قالـهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واصـلًا لمـا وَصَلَـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٤٢).

قال راوي المناظرة:

[قال المأمونُ: أحسنتَ يا عبدَ العزيز.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ لبشرٍ: استمع لباقي مسألتك.

فقال بشرٌ: هاته.

قال عبدُ العزيز: وأما المُفَصَّلُ الذي لا يجوزُ صِلَتُهُ فقولُ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾، هاهنا تم الكلامُ، ثم يبتدئُ القارئُ فيقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠].

فلو قال رجلٌ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ﴾ قَطَعَ الكلامَ عامدًا كان كافرًا حلالَ الدمِ؛ لأنه زعمَ أن لله مَثَلَ السوءِ وشبَّهَهُ -جل ذكره- بالذين لا يؤمنونَ بالآخرةِ، وأدخله معهم في المثلِ السَّوءِ، فإذا فَصَلَ الكلامَ كما فصله اللهُ، ولم يصله بما لم يصله اللهُ به فقال: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ وَقَطَعَ الكلام؛ كان صادقًا، وكان قد وقفَ علىٰ تمامِ الكلام، وفصل ما فصل اللهُ عَزَّوَجَلَّ، ولم يصِل ما فصل اللهُ.

قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾، هاهنا تم الكلامُ ثم يبتدئُ القارئُ فيقرأ: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة:٤٠]، فلو قال رجلٌ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ﴾؛ وقطعَ عامدًا كان كافرًا حلالَ الدَّمِ؛ لأنه قد أعظم الفِريَة علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وزعم أنَّ اللهَ قد أخبرَ أن كلمته سُفلىٰ مع كلمة الذين كفروا، فشبَّهَ اللهَ تعالىٰ بالذين كفروا!

فإذا فصل الكلام مِنَ الصِّلةِ فقال: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰ﴾ ووقفَ علىٰ ذلك، وقطعَ الصلة كان صادقًا، وقد فَصلَ ما قد فَصلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ].

الشَّرحُ

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمثله أخرىٰ علىٰ وجوب القطع، لا علىٰ وجوب الوصل، المثال السابق (لا إله) هذا مثال علىٰ قطع ما أمر الله به أن يوصل، أي: يجب الوصل (لا إله إلا الله).

أما هذه الأمثلة فهي علىٰ وجوب الفصل الذي لا يجوز صلته.

المثالُ الأولُ:

قول الله تعالىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ ﴾، هذا تمامُ الكلام، ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[النحل:٦٠]، فلو قرأها رجلٌ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ﴾ -تَعالىٰ اللهُ-، ألَا يكونُ بذلك كافرًا؛ لأنه قطعَ الكلامَ واقتصرَ علىٰ قوله: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ﴾؟ فجَعلوا لله مثل السوء، وشبَّه الله بالذين لا يؤمنونَ بالآخرة، وأدخلهُ معهم في ﴿مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ ﴾، سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ وتقدَّسَ عن ذلك، فلو كان عامدًا كان كافرًا حلالَ الدَّمِ.

أمَّا إذا فصلَ الكلامَ كما فصَله اللهُ تعالىٰ، ووقفَ علىٰ ﴿مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ ﴾، فلم يصله بما لم يصله به، فلو قرأ قولَ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ ﴾ وسَكَتَ، كان صادقًا، حيث وقف علىٰ تمام الكلام، ففصل ما فصله اللهُ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

المثالُ الثاني:

قولـه تعالـىٰ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾، فهاهنـا تـم الـكلامُ، ثـم يبتـدئُ بقولـه تعالـىٰ: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ [التوبة:٤٠]، فلـو قرأَهَـا رجـلٌ: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ وسـكتَ، لـكانَ بذلـك كافـرًا، إذا كان متعمـدًا؛ حيـث جعـلَ كلمـة الله سُـفلىٰ، وعطـفَ علـىٰ ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، فـإذا وَقَـفَ علىٰ ذلـك كان كافـرًا حـلالَ الـدَّمِ، حيـث أعظَـمَ الفِريَـةَ علىٰ الله تعالـىٰ، زعـم أنَّ اللهَ تعالـىٰ أخبرَ بـأن كلمتَه سُفلىٰ، وجعلها معطوفـة علـىٰ ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، فشـبَّه اللهَ جـلَّ جَلَالُـهُ بالذيـن كفـروا.

فأمَّـا إذا فصـلَ الـكلام مِـن الصلـةِ فقـال: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ ووقـفَ علـىٰ ذلـك، ثـم قـال: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا﴾ كان صادقًـا، ففصـلَ مـا أمـرَ اللهَ بـه أن يفصـلَ، ووصـلَ مـا أمـرَ اللهُ بـه أن يوصـلَ.

وهـذا قـد يقـعُ مـن بعـض النـاس خَطَـأً؛ قـرأَ بعضُهُـم قـولَ اللهِ تعالـىٰ: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٣]، بالكسـرِ (ورسـولِه)، وهـذا خطـأٌ؛ لأنـه جعـل اللهَ بريئًـا مـن المشـركين ومِـن رسـولِهِ! وهـذا يقـعُ فيـه الذيـن لا يَعْرفـون النحـو والإعـراب، فـلا بُـدَّ مِـن أَن يكـونَ متفطنًـا للإعـرابِ، وأنْ يكـونَ قارئًـا للنحـو الـذي يَصِـحُّ بـه الـكَلامُ.

وكذلـك يقـعُ مِـن بعضِهـم الوقـوفُ علـىٰ آيـةٍ مرتبطـةٍ بأخـرىٰ مثـل قولـه تعالـىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[الماعون:٤]؛ حتـىٰ لا يكـون الويـلُ للمصليـن! كمـا

يقولُهُ بعض المستهزئين، ذَكَرَ الشيخ الشنقيطي[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «دَفْع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»[٢] أن بعضَهم أنشدَ:

دَعِ الْمَسَاجِدَ لِلْعُبَّادِ تَسْكُنُهَا وَسِرْ إِلَىٰ حَانَةِ الْخَمَّارِ يَسْقِينَا!
مَا قَالَ رَبُّكَ وَيْلٌ لِلْأُولَىٰ سَكِرُوا وَإِنَّمَا قَالَ: وَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَا!

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كان اللهُ توعَّد الذين يصلون وهم ساهون فويلٌ ثم ويلٌ للذين لا يُصَلُّون.

(١) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، عالم مفسِّر، ولد سنة ١٣٢٥هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. من أشهر كتبه: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. ينظر: الأعلام للزركلي (٦/ ٤٥، ٤٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب (ص٣٨٤، ٣٨٥).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ، فقال: أحسنت يا عبد العزيز، وقد أبلغتَ؛ فلا تحتاجُ إلىٰ زيادة.

ثم أقبل علىٰ بشر فقال: يا بشرُ، هل عندك شيءٌ تحتاجُ تسأَلُ عنه عبدَ العزيز، أو تَحتجُّ به عليه؟ فقد ظهرت حُجَّتُهُ عليك وَوَضَحَ قوله عندنا.

قال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- هذا يريدُ نصَّ التنزيل بكل شيء يَتكلمُ به، أو يلفظ به! وليس كل ما يَتكلمُ به الناسُ ويحتجُّونَ به يجدونه في نصِّ التنزيل، وإنما يجدونه في التأويلِ، وهذا لا يقبلُ التأويلَ، ويُبطلُ التفسيرَ، حتىٰ كأنه كان يشاهد التنزيل، وهذا ما لا أُسَوِّغُهُ أنا للمناظرينَ، ولا أطلقه للمتكلمينَ؛ إذ كان الناسُ لا يجدونَ علمَ ما يختلفون فيه ويتنازعون من أمرِ دينهِم في كتابِ اللهِ بنصِّ التنزيل.

ولو كان هذا كما يقول عبدُ العزيز لبطل التفسيرُ كُلُّه، وبقِي الناسُ في حَيْرَةٍ من أمرِ دينِهم، والناسُ جميعًا يوافقونني علىٰ قولي، ويُخالفونَ عبدَ العزيز!].

الشرح

قال المأمونُ: أحسنت يا عبد العزيز؛ فقد أبلغتَ فلا تحتاجُ إلىٰ زيادةٍ، وقال لبشر: هل عندك شيءٌ تحتاجُ أن تسأل عنه، أو تريد نصَّ التنزيل في كل شيء تتكلم وتحتجُّ به؟ فقد ظهرت حُجَّتُهُ عليك، ووضحَ قولَه عندنَا.

ومع هذا لا يزال بشرٌ في غَيِّهِ، إذ يقول: هذا يريدُ نصَّ التنزيل، ويتمسكُ به في كُلِّ شيءٍ يتكلمُ أو يلفظُ به، ثم يقول: ليس كل ما يتكلم الناس فيه

يجدونَـهُ في القـرآن، بـل يَجدونـهُ في التَّأوِيـلِ، والكِنَانِـيُّ لا يقبـلُ التأويـلَ، ومـن ثَـمَّ لا يقبـلُ كلامنـا.

ومعلـومٌ أن التأويـل ليـس تفسـيرًا بـل هـو التحريـف(١)، كمـا عنـد المُعتزلـةِ وغيرِهـم.

ويقـول بشـرٌ: إن الكنـاني يبُطـل التفسـير، حتـىٰ كأنـه يشـاهدُ التنزِيـل، وهـذا مـا لا أُسَـوِّغُهُ أنـا؛ يعنـي: لا أقبلـه، للمناظريـن ولا أطلقـه للمتكلميـن، فليـسَ كل مـا يختلـف فيـه النـاس يَجدونـهُ في القـرآن، وكذلـك مـا يتنازعـون في أمـر دينِهـم في كتـاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، بنـصِّ التنزيـل، فلـو كان الأمـرُ كمـا يقـول عبدُ العزيـز؛ لبَطَـلَ التفسـير كلُّـه، وبقِـيَ النـاس في حَيْـرَةٍ مـن أمـر دينهـم، فالنـاس يوافقونِـي علـىٰ قولـي ويخالفونـه!

والحالُ: أنَّ بِشْرًا لا يزالُ مُصرًّا مع ظهورِ الحُجَّةِ، نعوذ بِاللهِ.

(١) ينظر: التحفة المهدية (١/ ١٨٩)، ومصطلحات في كتب العقائد (ص١٤).

قال راوي المناظرة:

[قال عبد العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- كل ما يتكلم به الناسُ من علم دينهِم وما يختلفونَ فيه ويتنازعونَ فهو موجودٌ في القرآن وفي غيره من كُتبِه؛ لقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقوله: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٤٤، ١٤٥].

فليس من شيءٍ يحتاجُ إليه، يا أميرَ المؤمنين، إلَّا وهو موجودٌ في القرآن، عَقَلَهُ مَن عَقَلَهُ، وجَهِلَه مَن جَهِلَه].

الشَّرحُ

لمَّا قال بشرٌ: إنَّ كلام الناس لا يوجَد في القرآن، وإن هذا لا يقبل التأويل، وإنه لو كان كذلك ما احتاجَ الناسُ إلىٰ التفاسيرِ.

احتجَّ عبدُ العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ عليه بأنَّ كلامَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وكلام نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيهِ الكِفاية، وأنَّهُمَا هما المرجِعُ، وبالأخصِّ في أمور العقيدةِ.

واستدل بهذه الآية: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، لكن قد يُقال: إنَّ هذه الآيَة المراد بها اللوح المَحفوظ(١)، لكن هناك آية أخرىٰ في سورة النحل وهي قوله تعالىٰ: ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، وهو وَصْفٌ للقرآن بأنَّ فيه التبيانَ لكلِّ شيءٍ، فكل شيء يَختلفون ويتنازعونَ فيه، يُوجدُ أصلهُ في القرآن، وفي الكُتبِ السماوية.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٩/ ٢٣٤)، وتفسير القرطبي (٦/ ٤٢٠)، وتفسير السعدي (ص٢٥٥).

واستدل -أيضًا- بمَا كَتَبَه اللهُ تعالىٰ لموسىٰ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٤٥]، وَاضِحٌ أنه كَتَبَ له ما يحتاج إليه.

فليس مِن شيءٍ يُحْتَاجُ إليه إلَّا وهو موجودٌ في القرآن، إمَّا مُجملًا أو مُفصلًا، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وعَقَلَهُ مَنْ عَقَلَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فجثا مُحَمَّد بنُ الجَهم علىٰ رُكبتيهِ، وقال: يا عبدَ العزيز، زعمتَ أنَّ كل شيء يَتكلمُ به الناسُ، ويحتاجونَ إلىٰ معرفته، موجود في كتاب اللهِ بِنصِّ التنزيل، بلَا تَأْويل ولا تفسِيرٍ! فأوجِدنا أنَّ هذا الحصيرَ مخلوقٌ أو غيرُ مخلوق في كتاب اللهِ تعالىٰ بنصِّ التنزيل. ووضعَ يده علىٰ حصيرٍ مرمي(١) كان تحتنا مبسوطًا في الإيوانِ.

فقلتُ له: نعم عليَّ أن أُوجِدَك ذلك.

قال عبدُ العزيز: فأقبلتُ عليه فقلتُ له: أخبرني عن هذا الحصيرِ، أليس هو مِن سَعَفِ النَّخْلِ(٢) وجُلُودِ الأنعامِ؟

قال: بلىٰ.

قلتُ: فهل فيه شيءٌ غير هذا؟

قال: لا.

فقلتُ له: هل هاهُنا شيء غيرُ هذا؟

قال: لا.

فقلتُ له: بل هاهُنا شيءٌ صار به حصيرًا يُجلسُ عليه.

قال: وما هو؟!

قلتُ: الإنسانُ الذي صَنعَهُ وألَّفَهُ وأحكمَهُ.

---

(١) في ط. المجمع العلمي بدمشق للحيدة: (مدني). وسيأتي تعليق الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ (مرمي) (ص ٢٨٢).

(٢) السَّعَفُ: جَرِيدُ النخل أو وَرَقُ جريد النخل. ينظر: تهذيب اللغة (٢/ ٦٧)، وتاج العروس (٢٣/ ٤٣٥): (س ع ف).

قال: نعم.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ له: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ -وقد ذكر الأنعام- فقال: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾ [النحل:٥].

وأمَّا السَّعَفُ فإنَّ اللهَ ذكرَهُ فقال: ﴿ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴾ [الواقعة:٧٢]، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون:١٢]، فقد كَمُلَ خَلقُ الحصيرِ بنصِّ القرآن بلا تَأوِيلٍ ولا تفسير، فهل عندك مثل هذا في خلقِ القرآن تذكرُهُ وتحتجُّ به؟!

وإلَّا فقد بطل ما تدَّعُونَهُ في خلقِه، وَصح قولي -ولم يَزل صحيحًا-: أنَّ القرآن كلامُ اللهِ تعالىٰ غير مخلوق من كُل جهةٍ.

قال فصاحَ المأمونُ: يا مُحَمَّد بن الجَهم، مَا لكَ وللكلامِ؟! خلِّ بين الرجلِ وصاحِبه؛ حتىٰ يكلمه، وأقبلَ علىٰ بشرٍ، فقال: يا بشرُ، هل عندك شيءٌ تُناظرُ به عبدَ العزيز قبل أن نَصرِفهُ ونقوم، فقد طالَ المجلسُ وصُلِّيَتِ الظهرُ؟!

فقال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين، عندي أشياءُ كثيرة، إلا أنَّه يقولُ بنصِّ التنزيلِ، وأنا أقولُ بالنَّظَرِ والقياسِ فليدَع مطالبتِي بنصِّ التنزيل ويناظرني بغيرِه، فإن لم يدَع قولَه، ويرجع عنه، ويقول بقولِي، ويُقِرّ بخلق القرآن، الساعةَ؛ فدَمِي حلالٌ!].

الشَّرح

وهنا تدخل مُحَمَّد بنُ الجهمِ (ولعله ابن الجهم بن صفوان الذي تُنسب إليه الْجَهْمِيَّة) وجثا علىٰ ركبتيه، وقال: يا عبدَ العزيز، تزعمُ أنَّ كُلَّ

شيء يَتكلمُ به الناس ويحتاجُونَهُ موجود في القرآن، بلا تأْويلٍ وبلا تفسيرٍ!
أوجِدْنا أنَّ هذا الحصيرَ مَخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ في القرآن بنصِّ التنزيلِ، وَوَضَعَ يده علىٰ حصيرٍ مرميٍّ؛ أي: مفروش ومبسوط في الإيوان، فإذا كنت تقول: إنَّ كُلَّ شيء موجود في القرآن، فأين ذُكِرَ هذا الحصير وأين نجده؟

فأقبل إليه عبدُ العزيز وقال: أخبرني، أليس هذا الحصيرُ مِنْ سَعَفِ النخلِ، وكذلك فيه مِنْ جُلُودِ الأنعام الخيوط التي يُخاط بها؟

قال: بلىٰ.

هل فيه غير هذا؟

قال: لا.

قال: بلىٰ، الذي خَاطَهُ.

فالسَّعَفُ من النخلِ، والخُيوط من وَبَرِ الإبلِ، والخائِط هو الإنسانُ؛ مُرَكَّبٌ من ثلاثة، وكلُّها موجودةٌ في القرآن، إذا تأملتَ ذلك.

واستدل علىٰ وَبَرِ الإبلِ بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ﴾[النحل:٥]، الدفءُ: ما تَستدفئونَ به[1]، والمنافعُ: ما تركبونَ، ونحو ذلك[2]. هذه الخيوط.

أمَّا السَّعَف فقد ذكرَ اللهُ تعالىٰ أَصْلَهُ بقوله سبحانه: ﴿ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ﴾ [الواقعة:٧٢]، فالشجرُ الذي يَنْبُتُ، اللهُ تعالىٰ هو الذي أنشأهُ.

أليس ذلك دليلًا علىٰ أَنَّ كل شيء في القرآن؟!

---

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٤١).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٤/ ١٦٥- ١٦٨).

وكذلك خلق الإنسان يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون:١٢]، فصارَ في القرآن، ذِكرُ خلقِ الأنعامِ والشجرِ والإنسانِ، إذنْ فقد كَمُلَ خَلقُ الحصيرِ بنصِّ التنزيل بلا تأْويلٍ ولا تفسيرٍ، فهل عندك مثلُ هذا يا ابنَ جهم في خَلْقِ القرآن حتىٰ تحتجَّ به؟ فقد بَطَلَ ما تدَّعونَهُ في خلقِ القرآن، وصحَّ ولم يزل صحيحًا أَنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوق مِن كلِّ جهةٍ.

فصاح المأمونُ: يا ابنَ جهمٍ، ما لك وللكلامِ؟! ما الذي أَدْخَلَكَ؟! خلِّ بين الرجلِ وبين صاحبه بِشْرٍ حتىٰ يكلمَه.

وأقبل المأمونُ علىٰ بِشْرٍ، وقال له: هل عندك شيءٌ تناظرُ به عبدَ العزيز، قبل أن نصرفهُ ونقوم، فقد طال المجلسُ! وصُلِّيَت الظهرُ!

فقال بشرٌ: يا أميرَ المؤمنين، عندي أشياءُ كثيرة، إلَّا إنه يقول بنصِّ التنزيل؛ أي: لا يخرجُ عنه، وأنا أقول بالنَّظرِ وبالقياسِ، فَلْيَدَعْ مُطالبتِي بالتنزيلِ، ويناظرِني بغيرِه، يُناظرنِي بالقياس، فإذا لم يَدَعْ قوله، ويرجع عنه، ويقول بقولِي، ويُقِرّ بخلق القرآن؛ فدمِي حلال.

كأنه يقول: إني عجزتُ أن أناظرَهُ بالقرآن، ولكن أناظرُه الآنَ بالنَّظرِ والقياسِ، فإذا لم أغلبْهُ فدمِي حلال!

قال راوي المناظرة:

[فقال المأمونُ: لهذا مجلسٌ غير هذا تناظرون فيه.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إن رأيت أن تأذن لي فأناظرهُ كما سأل على جهةِ النَّظرِ والقياسِ وأدع مطالبتَه بالقرآنِ ونصِّ التنزيل، ويكون أميرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- الشاهد علينا، والمتحفظ لكلامنا، فإن أقامَ بشرٌ عليَّ الحُجَّةَ كما زعمَ، وأقررتُ بشيء مما قال، ورجعتُ عن شيء مما قلتُ؛ فدمِي حلال كما قال بشرٌ، وإن ثبتت الحُجَّةُ عليه من القياسِ والنَّظرِ، كما ثبتت عليه من القرآن والسُنَّة، وشهدَ عليه أميرُ المؤمنين بذلك؛ فقد حلَّ دمُه بما شرط على نفسه.

قال عبدُ العزيز: فقال المأمون: أنا الشاهدُ عليكما، والحاكمُ بينكما؛ فأوجِزَا واقتصِرَا، ولا تطِيلَا؛ فيخرُج وقتُ الصلاة.

قال عبدُ العزيز لبشر: أتسألُني أم أسألُك؟

فقال: سَل أنت؛ فَطَمِعَ فيَّ هو وجميعُ أصحابِه، وتوهمُوا أني إذا خرجتُ عن التنزيل لم أحسن أن أتكلمَ بشيء غيرِه.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ لبشر: تقولُ إنَّ كلامَ اللهِ مخلوقٌ؟

فقال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ له: يلزمُكَ واحدة من ثلاثٍ لَا بُدَّ:

١ - أن تقولَ: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلقَ القرآنَ في نفسه. -وهو عندي أنا كلامُه-.

٢- أو خلقهُ في غيرِه.

٣- أو خلقهُ قائمًا بذاتِه ونفسِه.

فقُل ما عِندك.

قال بشرٌ: أقول: إنَّه مخلوقٌ، وإنه خلقهُ كما خلقَ الأشياءَ كُلَّهَا.

قال عبدُ العزيز فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، تَركنَا القرآنَ والسننَ والأخبارَ عند هَرَبِهِ منها، وناظرنَاهُ بالقياس والكلامِ لما ادَّعَاهُ، وذكرَ أنه يقيمُ الحُجَّة عليَّ به، وأنِي أُقِرُّ معهُ بخلق القرآنِ، فقد رَجَعَ بشرٌ إلىٰ الحَيدة عن الجواب، وانقطعَ الكلامُ! فإن كان يريدُ مناظرتِي علىٰ أنه يجيبُني عَمَّا أسألهُ عنه، وإلَّا فأَمِيرُ المؤمنين أعلىٰ عينًا فيما يرَاهُ في صرفِي، إنَّما يريدُ بشرٌ أن يقعَ معهُ من لا يَفْهمُ؛ فيحيد عن دينِهِ، ويحتجّ عليه بما لا يعقِلُه؛ فتظهر حجَّتهُ عليه؛ فيبيحُ بذلك دمهُ].

الشَّرْحُ

قال المأمونُ: أجِّلُوا هذا إلىٰ مجلسٍ آخر تتناظرونَ فيه، لمَّا قالوا: نتناظرُ بالقياسِ، ومع ذلك طَلَبَ الكِنانيُّ أن يأذن له فيناظرهُ بالنظرِ والقياسِ، ويدعُ مطالبتهُ بالقرآن وبِنَصِّ التنزيل، بعد أن عَجَزَ بشرٌ، وقامتْ عليه الحجة، وقال للمأمونُ: وتكُون أنت الشاهد علينا، المُتحفظ لكلامنا، فتحكمُ بيننا؛ إن أقامَ عليَّ الحجة، وأقررتُ بشيءٍ ممَّا قال، وتراجعتُ عن شيء من كلامي؛ فدمِي حلالٌ، أَمَّا إن ثبتتِ الحجةُ علىٰ بشرٍ من القياسِ والنظرِ، كما ثبتتْ عليه من القرآن وَالسُنَّةِ، وشَهِدَ عليه أَمِيرُ المؤمنين بذلك؛ فقد حلَّ دَمُهُ بما شرطَ علىٰ نفسه، أي: إن غلبنِي بالنَّظرِ والقياسِ حلَّ دَمِي، وإن غلبتُه بالنَّظرِ والقياسِ -كما غلبتُه بالحُجَّةِ وبالتنزيل- حلَّ دمُهُ؛ لأنه شرطَ ذلك علىٰ نفسه.

وبعد طَلَبِ المُناظرة قال لهُمَا المأمونُ: أنا الشاهدُ عليكما، والحاكمُ بينكما، ولكن أوجزَا، اقتصرَا لا تُطيلَا، حتىٰ لا يخرج وقتُ الصَّلاةِ.

فقال الكنانيُّ لبشر: أتسألنِي أم أسألُك؟ فقال: سل؛ فظنَ أنَّ عبدَ العزيز لا يحسنُ الجدلَ بالكلامِ والقياسِ، فَطَمِعَ هو وأصحابُه فيه، توهمُوا أني إذا خرجتُ عن الاستدلال بالقرآن لم أُحْسِن أن أتكلم.

فقال لَهُ: أنت تقول: إنَّ كلام اللهِ مخلوقٌ، فحَادَ بشرٌ، وقال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فأنا لا أتكلم إلَّا عن القرآن أنَّه مخلوقٌ، فقال: يلزمُك واحدةٌ من ثلاثٍ:

لا بُدَّ أن تقول:

إنَّ الله خلقَ القرآن في نفسه.

أو: خلقهُ في غيرِه.

أو: خلقهُ قائمًا بذاتِه ونفسِه.

قُل ما عندك. عندي أنا أنَّه كلامُهُ.

فقال بشرٌ: إنه مخلوقٌ كما خلقَ الأشياءَ، وكما خلقَ الإنسانَ، وكما خلقَ الأرضَ والسَّمَاءَ، وكما خلقَ الجبالَ، وكما خلقَ الأشجارَ، كما خلقَ السحابَ هكذا يدَّعِي، وحادَ أن يأتي بواحدةٍ من الثلاث، فهل خلقهُ في نفسه؟ فهل خلقهُ في غيره؟ فهل خلقهُ مُنفصلًا قائمًا بنفسه؟

قال الكنانيُّ: يا أميرَ المؤمنين تَركنَا له القرآنَ والسننَ والأخبارَ، لمَّا هرَبَ منها، ناظرنَاهُ بما طلبَ مِن القياسِ والكلامِ لِمَا يدَّعِيهِ، وقد ذكرَ أنه يقيمُ الحجة علينا، وَأنَّا سوفَ نُقِرُّ بخلق القرآن، فرجعَ بشرٌ إلىٰ الحَيدة عن الجوابِ، وانقطعَ من الكلام!

إن كان يريـدُ مناظرتِـي علـىٰ أنـه يُجيبُنِـي عَمَّـا أسـألهُ عنـه، وإلَّا فأميـرُ المؤمنيـن أعلىٰ عينًا فيما يـراهُ في صرفِـي، فإنمـا يريـدُ بشـرٌ أن يقـعَ معـه مـن لا يفهـمُ، فيحيـدُ عـن دينـه ويحتـجُّ عليـه بمـا لا يعقلُـهُ، فتظهـرُ حُجَّتُـهُ عليـه فيبيـحُ بذلـك دمَـهُ.

والذي يظهرُ أنَّ بشرًا لم يَقبل، ولم يَختر واحدةً من الثلاث.

قال راوي المناظرة:

[قال: فأقبل عليه المأمونُ فقال: أجب عبدَ العزيز عَمَّا سألكَ؛ فقد تركَ قوله ومذهبَهُ وناظَرَكَ علىٰ مذهبِك وما ادَّعيتَ أنك تُحسنُهُ وتقيمُ الحُجَّةَ به عليه.

فقال بشرٌ: قد أجبتُهُ ولكنه يتعنَّت!

فقال له المأمونُ: يأبىٰ عليك عبدُ العزيز إلَّا أن تقولَ واحدةً من ثلاثٍ.

قال بشرٌ: هذا مِن مطالبتِهِ بالتنزيل ما عندي غير ما أجبتُ به!].

الشَّرْحُ

قال المَأْمُونُ لبشر: أجبه عَمَّا سألك، فقد ترك التنزِيلَ، وترك ما ذَهَبَ إليه، حيث ناظركَ علىٰ مذهبِك الذىٰ تدَّعيهِ من الجَدَلِ، والكلامِ، والقياسِ ما ادعيتَ أنك تُحسنُه، وتقيم الحجة عليه.

فقال بشر: قد أجبتُهُ، ولكنه يتعنَّت.

قال له المأمونُ: يأبىٰ عليك إلا أن تقول واحدةً من الثلاثِ.

ولم يُجب علىٰ سؤالِ الكناني له!

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فأقبل عليَّ المأمونُ، فقال: يا عبدَ العزيز، تكلم أنت في شرحِ هذه المسألة، وبيانها، ودع بشرًا، فقد انقطعَ عن الجوابِ من كُلِّ جِهةٍ.

فقلت: يا أميرَ المؤمنين، سألتُهُ عن كلامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: أمَخلوقٌ هو؟

قال: نعم.

فقلتُ له: ما صح؛ يلزمُكَ في هذا القولِ واحدة من ثلاثٍ لا بُدَّ منها:

أن تقول: إنَّ اللهَ خلقَ كلامَه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائمًا بذاته.

* فإن قال: (إنَّ اللهَ خلقَ كلامَه في نفسه) فهذا مُحَالٌ، لا يجدُ السبيل إلىٰ القولِ به من قياسٍ، ولا نظرٍ، ولا معقول؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يكونُ مكانًا للحوادثِ، ولا يكونُ فيه شَيءٌ مخلوق، ولا يكونُ ناقصًا فيزيد فيه شيءٌ مخلوقٌ، ولا يكونُ ناقصًا فيزيدُ فيه شيءٌ إذا خلَقه، تعالىٰ اللهُ عن ذلك وجَلَّ وتَعاظَمَ.

* وَإنَّ قال: (خلَقه في غيره)؛ فيلزمُه في النَّظرِ والقياسِ أنَّ كُلّ كلامٍ خَلَقَهُ اللهُ في غيره هو كلامُ اللهِ، لا يقدِرُ أن يُفرّقَ بينهما؛ فيجعل الشِّعرَ كلامًا لله تعالىٰ، ويجعل قولَ الكُفر والفُحش، وكُلّ قولٍ ذمَّهُ اللهُ وذمَّ قائلَه كلامًا لله عَزَّوَجَلَّ، وهذا مُحَالٌ، لا يجدُ السبيلَ إليه، ولا إلىٰ القولِ به؛ لظهورِ الشنَاعةِ والفَضِيحةِ علىٰ قائلِه تَعالىٰ اللهُ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

* وإن قال: (خلقه قائمًا بنفسِه وذاته)؛ فهذا هو المُحَالُ الباطلُ الذي لا يجدُ إلىٰ القولِ به سبيلًا في قياسٍ ولا نظرٍ ولا معقول؛ لأنه لا يكونُ الكلامُ إلَّا من مُتكلم، كما لا تكون الإرادةُ إلا من مُريدٍ، ولا العلمُ إلا مِن عالمٍ، ولا

القدرةُ إلَّا مِن قادرٍ، ولا رُئِيَ ولا يُرىٰ كلامٌ قطُّ قائمٌ بنفسِه يتكلمُ بذاتِهِ، وهذا ما لا يُعقلُ، ولا يعرفُ، ولا يَثبتُ في نظرٍ ولا قياسٍ ولا غيرِ ذلك.

فلما استحالَ مِن هذه الجهاتِ أن يكونَ مخلوقًا؛ ثبَتَ أنه صِفَةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، وصفاتُ الله عَزَّوَجَلَّ كُلُّهَا غيرُ مخلوقةٍ؛ فبطلَ قولُ بشرٍ يا أميرَ المؤمنين من جهةِ النَّظرِ كما بَطَلَ من جهةِ القرآن والتنزيلِ.

فقال المأمونُ: أحسنت يا عبدَ العزيز.

فقال بشرٌ: تسألُ عن غيرِ هذه المسألة، فلعلَّهُ يخرُجُ بيننا شيءٌ يُسمَعُ؟

فقلتُ: نعم، أنا أدَع هذه المسألة، وأسألُ عن غيرِها].

الشرح

قال المأمونُ: اشرح هذه الكلمة، وما قلتُهُ لنا، ودَعْ بشرًا؛ فقد انقطعَ عن الجوابِ.

قال الكناني: قد سألته عن كلامِ الله، أمخلوق هو؟

قال: نعم، مخلوقٌ.

وقلت له: ما صحَّ. يلزمُكَ في هذا القول واحدة من ثلاثٍ، إمَّا أن تقول: إنَّ اللهَ خَلقهُ في نفسه، أو خَلقه في غيره، أو خَلقه قائمًا بذاتِهِ.

فإن قال: «إنَّ اللهَ خلقَ كلامَه في نفسه»، فهذا مُحَالٌ، لا يجدُ السبيل إلىٰ القولِ به من قياسٍ ولا نظرٍ ولا مَعقولٍ؛ لأَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يكونُ مَحَلًّا للحوادث.

هذه الجُملة يُكرِّرُها كثِيرٌ من المُعطلةِ وهي قولهم: «أتقولونَ: إنَّ اللهَ تعالىٰ مَحَلٌّ للحوادثِ؟»، فينفون بذلك أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يتكلمُ، ويَقولونَ: لو

كان يتكلمُ لكانَ يَحدثُ الكلامُ معهُ شيئًا فشيئًا، وكذلك قولهم: إنَّ اللهَ لا يغضبُ، إنَّ اللهَ لا يَرضىٰ، وأشباهُ ذلك.

ولكن نقول: إنَّ هذه صفاتٌ قائمة به سُبحانهُ، فيغضبُ إذا شاءَ، ويتكلمُ إذا شاءَ، ولا يلزمُ أن نقول: إنه مَحَلٌّ للحوادثِ.

ولكن إن أَرادَ بالحوادثِ: الأشياءَ الجديدةَ يعني أن اللهَ خلقه في نفسه فمُحَالٌ؛ لأن اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يكونُ مَحَلًّا للحوادثِ، ولا يكونُ فيه شيءٌ مخلوق؛ لأنه بذلك يكونُ ناقصًا، فيزيدُ فيه شيءٌ مخلوق، فلا يقَالُ: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كان ناقصًا، وخلقَ الكلام في نفسه.

اللازمُ الثاني قوله: هل خلق اللهُ القرآنَ في غيرِه؟

فإن قلتَ بذلك فيلزمك بالنَّظر والقياسِ أنَّ كُلَّ ما يتكلمُ به الناسُ فهو كلامُ اللهِ، ولا تقدرُ أن تَقولَ: إني أفرِّقُ بينهما؛ لأَنَّ لازمَ ذلك أنَّ الشِّعرَ، والكفرَ، والفواحشَ؛ كلامُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فكلُّ قولٍ ذمَّهُ اللهُ مثل السَّبِّ والاستهزاءِ وجميع المُحرماتِ تجعلهُ كلاما لله، هذا لازمُ قولك: (إنه خلقه في غيره) ولكن هذا مُحَالٌ، لا تجدُ السَّبِيل إليه، ولا إلىٰ القول به؛ لأنه ظاهر الشَّناعةِ، ظاهر الفضيحةِ علىٰ قائلِهِ، تعالىٰ اللهُ وتقدَّسَ عن ذلك.

اللازمُ الثالثُ: إذا قال بِشرٌ: «خَلَقَهُ قائمًا بنفسه وبذاته»، فهل هذا معقولٌ أن نشاهدُه نقول: هذا القرآن يتحركُ قائمٌ بنفسِهِ.

كل شَيءٍ مُنفصل فإنَّه يكونُ قائمًا بنفسِه، نقول -مثلا-: هذه الزُّجاجَةَ قائمة بنفسَها مُنفصلة، وهذه العُلبة قائمة بنفسَها، يعني: مُنفصلة، هذا الكتَابُ قائمٌ بنفسِهِ، هذا العمودُ قائمٌ بنفسِهِ؛ يعني: أنه مُنفصلٌ، فهل القرآن

خُلِقَ قائمًا بنفسه؟ أي: أنَّ له جِرْمًا، ولهُ جثةً، وله شيئًا يشارُ إليه؟! القرآنُ كلامٌ، والكلام الذي يقرؤهُ الناسُ ليس قائمًا بنفسِه، فإذا قرأَ الإنسانُ آيةً، هل يُمْسكُهَا أحدٌ فيقول: أمسكتُ كلمتكَ! أمسكتُ سُورتَك التي قرأتَ؟! فإنها قائمةٌ بنفسِهَا!

هذا من المُحال، لا يجدُ إلىٰ القولِ به من القياسِ ونحوِه سبيلًا؛ لا بنظرٍ، ولا معقولٍ، فلا يكونُ الكلامُ إلَّا من مُتكلِّم يعني: يتكلمُ به من يتكلم، ولا تكُون الإرادةُ قائمةً بنفسها إلَّا من مُريدٍ، ولا يكونُ العلمُ إلَّا من عالمٍ.

هل العِلْمُ يتميز(١)؟! إذا كان رجلان عالمٌ وجاهلٌ، هل يَزيدُ وزنُ العالمِ علىٰ الجاهلِ؟!

العلمُ صفةٌ، ليس شيئًا قائمًا بنفسِه.

ولا تكُونُ القدرةُ إلَّا من قادرٍ، ولا الرُّؤية إلَّا من رَاءٍ.

فقائمٌ بنفسِه أي: الكلامُ إنما يَتكَلَّمُ بذاتِه، ونسمعُهُ! ولكن هذا لا يُعقلُ ولا يُعرفُ ولا يَثْبُتُ لا في نظرٍ، ولا في قياسٍ، ولا غيرِ ذلك.

فيكون استحالَ من هذه الجهات الثلاث أَن يكُونَ مخلوقًا(٢)، وثبت أنه صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ، إذن فصِفَاتُ الله كلُّها غير مخلوقةٍ.

فَبَطَلَ قولُ بشرٍ من جهة النظرِ، وَبَطَلَ من جهة القرآن والتَّنزيلِ.

قال المأمونُ: أحسنت يا عبدَ العزيز.

فقال بشرٌ: تسألُ عن غيرِ هذه المسألة فلعله يخرُجُ بيننا شيء؟

فقال الكناني: نعم، أَدَعُ هذه المسألةَ، وأسألُ عن غيرِها.

---

(١) أي: هل العلم ينفصل ويفارق العالِمَ؟! ينظر: المصباح المنير (م ي ز).

(٢) ينظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ١٧٣).

قال راوي المناظرة:

[قال: سل يا عبدَ العزيز.

قال عبدُ العزيز: فقلتُ لبشر: تقول: إن الله كان ولا شيءَ، وكان ولمَّا يفعلْ شيئًا، ولمَّا يخلقْ شيئا؟

قال: بلىٰ.

فقلتُ له: بِأَيِّ شيءٍ حدثت الأشياءُ، بعد إذ لم تكن شيئًا، أهي أحدثت أنفسَهَا، أم اللهُ أحدَثَهَا؟

قال: اللهُ أحدَثَهَا.

فقلتُ له: فبأيِّ شيءٍ أحدثها؟

قال: أحدثها بقدرتِهِ التي لم تزَل.

قلتُ له: صدقتَ أحدثها بقدرتِه أفلَيسَ تقول: إنه لم يزل قادرًا؟

قال: بلىٰ.

قلتُ له: فتقولُ: إنه لم يزل يفعلُ؟

قال: لا أقول هذا.

قلتُ له: فلَا بُدَّ من أَن يلزمَك أن تقولَ: إنه خَلَقَ بالفعلِ الذي كان عن القدرةِ وليس الفعلُ هو القدرة؛ لأن القدرةَ صفةُ الله ولا يقالُ لصفةٍ: هي اللهُ، ولا هي غيرُ الله.

قال بشرٌ: ويلزمُك أيضًا أن تقولَ: إنَّ اللهَ لم يزل يفعلُ ويخلقُ وإذا قلتَ ذلك فقد أثبتَّ أنَّ المخلوقَ لم يزل مع الله سُبحانه وتعالىٰ.

قال عبدُ العزيز فقلتُ له: ليس لك أن تحكمَ عليَّ، وتُلزمَنِي ما لا يَلزمُني، وتَحكي عنِّي ما لم أقل؛ إذ لم أقل: إنه لم يزل فاعلًا يفعلُ، فيلزمُني مثل ما قلتَ، وإنَّما قلتُ: إنه لم يزل الفاعل سيفعل، ولم يزل الخالق سيخلقُ؛ لأنَّ الفعلَ صفة لله عَزَّوَجَلَّ، يقدِرُ عليه، ولا يمنعُهُ منه مَانعٌ.

قال بشرٌ: أنا أقول: إنه أحدثَ الأشياءَ بقدرتِهِ فَقل أنت ما شئتَّ!].

الشَّرحُ

يقول الكنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل تقول: إنَّ الله كان ولا شيء، وكان وَلمَّا يفعلْ شيئًا، ولمَّا يخلقْ شيئًا؟

قال: بلىٰ إنَّ اللهَ كان ولا شيء.

فقال له: فبأيِّ شيءٍ حدثتْ الموجوداتُ التي تحدُثُ شيئًا بعد شيء، هل أحدثت نفسَها؟ هل الجبالُ أحدثت نفسَها؟ هل الحشراتُ أحدثت نفسها؟ أم أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحْدَثَها، فاعترَفَ بشرٌ، وقال: اللهُ عَزَّوَجَلَّ أحدثَها.

فقال الكناني: فبأيِّ شيءٍ أحدَثها؟

فأجابَ: أحدثَها بقدرتِهِ التي لم تزل.

فقال له: صدقتَ، أحدَثها بقدرتِه.

ثم قال له: ألستَ تقول: إنه لم يزل قادرًا.

قال: بلىٰ.

قلتُ: أتقولُ: إنه لم يزل يفعلُ؟ فأنكرَ بشرٌ ذلك وقال: لا أقوله.

قلتُ: فلا بُدَّ أن يلزمَك أن تقولَ: إنه خَلقَ بالفعلِ الذي كان عن القُدرةِ،

وليس الفعل؛ لأَنَّ القُدرةَ صفةٌ، ولا يقالُ لصفةٍ: هي اللهُ، ولا هي غيرُ الله، فصفاتُ الله قائمةٌ به، ولا نقول: إنَّها هي اللهُ، ولا إنَّها غيرُ الله؛ لأنها مِن ذاته.

فالصِّفَاتُ الذَّاتيَّة من ذاتِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والصِّفَاتُ الفعلية يَفعلهَا إذا شَاء.

أَوْرَدَ بشرٌ شُبهَةً، وهي أنه يلزمك أن تَقولَ: إنَّ اللهَ لم يزل يفعلُ ويخلقُ، وإذا قلتَ ذلك أثبتَ أنَّ المخلوقَ لم يزل مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

أجابهُ الكنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له: كيف تَحْكُمُ عَلَيَّ، وتُلزمُني بما لا يلزمُني أن أقولَ: إنَّ المخلوقَ لم يَزَلْ مع الله، فتحكِي عني ما لم أقل، فأنا ما قلتُ: إنه لم يزل فاعلًا يفعلُ، فلا يلزمُني مثل ما قلتَ، بل الذي قلتُه: إنه لم يزل يفعلُ وسيفعلُ، ولم يزل الخالق سيخلُقُ؛ فإنَّه سُبحانه اسْمُهُ الخَالِقُ قبل أن يُوجَدَ الخلقُ؛ لأن الفعلَ صفةٌ لله، يَقْدِرُ عليه، لا يمنعُهُ منه مانعٌ.

قال بشر: أقول: أحدثَ الأشياء بقدرتِهِ.

فقل أنت يا عبدَ العزيز ما شئتَ.

هذه شبهته!

نقول: أحدثهَا بقدرتِهِ وبقولِهِ وبمشيئتِهِ هذا الذي نقول[١].

---

(١) ينظر: الإبانة عن أصول الديانة لابن بطة (١/ ٨)، والعرش للذهبي (ص١٤٢).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، قد أقرَّ بشرٌ أنَّ اللهَ كان ولا شَيءَ معَهُ، وأنه أحدثَ الأشياءَ بعد أن لم تكن الأشياء بقدرتِهِ، وقلتُ أنا: إنه أحدثهَا بأمرِهِ وقولِهِ عَزَّوَجَلَّ عن قدرتِهِ فلم يخلُ يا أميرَ المؤمنين أن يكونَ أوَّل خلق خلقَه اللهُ بقولٍ قاله، أو بإرادة أرادَها، أو بقُدرةٍ قدرَها؛ فأيّ ذلك كان فقد ثبتَ أن هاهُنا إرادة ومريدًا، وقولًا وقائلًا ومقولًا له، وقدرةً وقادرًا ومَقدورًا عليه؛ وذلك كله مُتَقدِّمٌ قبلَ الخلقِ، وما كان قبل الخلق فليسَ هو من الخلق في شيءٍ.

وكَسَرتُ واللهِ يا أميرَ المؤمنين قولَ بشرٍ، ودحضتُ حُجَّتَهَ بإقرارهِ بلسانِهِ، فقد كسرتُ قوله بالقرآنِ والسُّنَّةِ واللغةِ العرَبية، والنظرِ والمعقولِ، ولم يبقَ إلَّا القياسُ، وأنا أكسرهُ بالقياسِ إن شاء اللهُ تعالىٰ].

الشَّرحُ

يقول الكنانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد أقر بشرٌ أن اللهَ كان ولا شيء معه، وأنه أحدث الأشياءَ بعد أن لم تكن موجودةً، وقد جاء في حديث عِمْرَانَ بنُ حُصينٍ قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ**»[1]، وفي روايةٍ: «**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ**»[2]، وفي روايةٍ: «**...وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ**»[3].

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، حديث رقم (٧٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ حديث رقم (٣١٩١).

(٣) قال عنها شيخ الإسلام: (وفي روايةٍ لغيره -أي: لغير البخاريِّ- صحيحةٍ). ينظر: مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٥١).

شَرَحَ هذا الحديثَ ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتوسَّعَ في شرحِهِ في المجلد الثامنَ عَشَرَ من «مجموعِ الفتاوىٰ»(١).

فقد أقرَّ بشرٌ أنَّ اللهَ كان ولا شيء معَهُ، وأقرَّ أنه أحدَثَ الأشياءَ بعد أن لم تكن، أحدثَها بقدرتِهِ بعد أن كانت مَعدومَةً.

قال الكنانيُّ: إنه أحدثها بأمره وَبقولِه عَزَّوَجَلَّ عن قدرتِه، أحدثها بكلِّ ذلك، فلم يخلُ أَن يكونَ أوَّلُ خلقٍ خَلقه اللهُ بقولٍ قالَه -وهو قوله: «كن»- أو بإرادةٍ أرادَها، أو بقُدرةٍ قدرهَا، فأيُّ ذلك قد ثبتَ، فإنَّها «إرادةٌ ومريدٌ» فالمريدُ هو اللهُ، و«قولٌ وقائلٌ»؛ فالقائلُ هو اللهُ، و«قدرةٌ وقادرٌ ومقدورٌ عليه»، فالقادرُ هو اللهُ عَزَّوَجَلَّ، والقدرةُ صفتُهُ، كُلّ ذلك متقدمٌ قبل الخَلقِ، فاللهُ تعالىٰ مُتصفٌ بها قبلَ الخلقِ، وما كان قبل الخلق فليسَ هو مِن الخلق في شيءٍ.

فقد كَسَرْتُ قَوْلَ بِشرٍ بالقرآنِ، والسُّنَّةِ، واللُّغةِ العربيةِ، وبالنَّظرِ، والمعقولِ؛ فما بقِيَ إلَّا القياسُ، فأنا أكسرهُ بالقياسِ، وقد دَحَضْتُ حُجَّتَهُ بإقرارِهِ بلسانِه.

---

(١) ينظر: الفتاوىٰ (١٨/ ٢١٦).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: وكان المأمونُ قد جلسَ مِنَّا مقعَدَ الحاكم مِن الخصمين. فقال: هاتِهِ يا عبد العزيز وأوجز.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لو كان لبشرٍ غُلامَان، وأنا لا أجدُ علمَهُمَا من أحدٍ من الناسِ إلَّا مِن بشر.

يُقالَ لأحدِهما: خالدٌ.

وللآخَرِ: يزيدُ.

وكان بشرٌ غائبًا عني، فكتبَ إليَّ ثمانيَةَ عَشَرَ كتابًا يقول في كُلِّ كتابٍ منها: (ادفع إلىٰ خالدٍ غُلامِي هذا الكتابَ).

وكتب إليَّ أربعةً وخمسين كتابًا يقول في كلِّ كتابٍ: (ادفع إلىٰ يزيدَ -ولم يَقل: يزيدَ غلامي- هذا الكتابَ)، ثم كتبَ إليَّ كتابًا جَمَعهما فيه فقال: (ادفع إلىٰ خالدٍ غُلامي هذا الكتابَ، وإلىٰ يزيدَ -ولم يَقل: يزيد غلامي-).

ثم قدِمَ بشرٌ من سفرِه، فقال: «أليس تعلمُ أن يزيدَ هذا غُلامي؟» فقلتُ له: «قد كتبتَ إليَّ أربعةً وخمسينَ كتابًا تقول في كُلِّ كتابٍ منها: «ادفع هذا الكتاب إلىٰ يزيدَ» ولم تقل: (غُلامي)، ولم أسمعكَ تقول: إنه أحدُ غلامَيك، وأنا لا أجدُ علمَه عن أحدٍ غيرك، وكتبتَ إليَّ ثمَانية عَشرَ كتابًا تقُول في كُلِّ واحدٍ منها: «ادفع إلىٰ خالدٍ غُلامي هذا الكتابَ» فعلمتُ أنه غلامُك، ثم كتبتَ إليَّ كتابًا جمعتَهما فيه فقلتَ: «ادفع إلىٰ خالدٍ غُلامِي هذا الكتاب، وإلىٰ يزيدَ» -ولم تقل غُلامِي-؛ فمن أين أعلمُ أنَ يزيدَ

غلامُكَ وأنت لم تقل به لي -قبلَ هذا الوقت- أنه غلامُك وليس أعلمُ خبرهمَا مِن غيرك؟!»، فقال بشرٌ: فرَّطتَ، فحلفتُ أنا أنَّ بشرًا فَرَّطَ، وحلفَ بشرٌ أني أنا فرَّطتُ حيث لم أعلم أنَّ يزيدَ غلامُه من كُتُبِه، فأيُّنَا المُفرِّطُ يا أميرَ المؤمنين؟

فقال: بشرٌ المُفرِّطُ.

فقال بشرٌ: أيُّ شيءٍ هذا مما نحنُ فيه؟!

قال عبدُ العزيز: إنَّ اللهَ أخبرَ في كتابه عن خَلق الإنسانِ في ثَمانيةَ عَشَرَ مُوضعًا، ما ذكرهُ في مَوضِعٍ منها إلا أخبرَ عن خلقِهِ.

وذكر القرآنَ في أربعةٍ وخمسينَ موضعًا من كتابه فلم يُخبِر عن خَلقِهِ في موضِعٍ منها ولا أشارَ إليه بشيءٍ من صِفَات الخلق، ثم جمع بين القرآن والإنسانِ في مَوضِعٍ واحدٍ وأخبرَ عن خَلْقِ الإنسانِ، ونَفَىٰ الخَلْقَ عن القرآن، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن:١-٣]، فَفَرَّقَ بينَ القرآن وبينَ الإنسانِ، فَزَعَمَ بشرٌ يا أميرَ المؤمنين أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ فرَّطَ في الكتاب، وكان يَجبُ عليه أن يُخْبِرَ عن خلقِ القرآنِ، وقال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، فهذا كَسْرُ قول بشرٍ في القياسِ.

والحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وصَلَّىٰ الله علىٰ سيدِنَا ومولانَا مُحَمَّدٍ وعلىٰ آلِه وصحبِه وسلَّمَ.

قال المأمونُ: أحسنت يا عبد العزيز، ثم أَمَرَ لي بعشرة آلاف درهم، فحُمِلَت بين يَدَي، وانصرفتُ من مجلسِهِ علىٰ أحسن حالٍ وأجملِهَا؛ فقد

أعـزَّ اللهُ ديـنَ الإسـلامِ وأعـزَّ أهلَـهُ، وأذلَّ الكُفـرَ وأهلَـهُ، فللـه الحمـدُ والشـكرُ علىٰ نِعَمِـهِ كلهـا وعلـىٰ مِنَنِـه وتوفيقِـه وتسـديدِه].

الشَّرح

يقـول الكنـاني رَحِمَهُ اللَّهُ: جلـسَ المأمـونُ بيننـا مقعـدَ الحَاكِـم، وقـال: هـاتِ القيـاس، وأوجـز.

فقلـتُ: لـو كان لبشـر غُلامِـانِ مَملـوكِان، وأنـا لا أجـدُ علمهَمُـا مـن أحـدٍ مـن النـاس إلَّا مـن بِشـرٍ، أحدُهمـا: اسـمهُ خالـدٌ، والآخـرُ يزيـدُ، وبشـرٌ كان غائبًـا عنِّـي، وقـد كتـبَ إلـيَّ ثمَانيـةَ عَشَـرَ كتابًـا، يقـولُ في كُلِّ منهـا: «ادفعـهُ إلـىٰ خالـدٍ غُلامِـي»، فيقيِّـدهُ بـ(غلامِـي)، وكتـب إلـيَّ أربعـةً وخمسـين كتابًـا، يقـول في كُلِّ كتـابٍ منهـا: «ادفـع إلـىٰ يزيـدَ»، ولـم يقـل غُلامِـي؛ هـل أعلـمُ أنـه غلامُـهُ؟ فقـد عرفـتُ مِـن الكُتـبِ الثمَانيـةَ عَشَـرَ أنَّ خالـدًا غـلامٌ لـه ولـم يذكـر في أحـدٍ مِـن الأربعـةِ والخمسـين أن يزيـدَ غلامُـهُ، ثـم أرسـلَ إلـيَّ كتابًـا واحـدًا ذكرهُمَـا فيـه وقـال: «ادفـع إلـىٰ غُلامِـي خالـد، وقـال: ادفـع إلـىٰ يزيـدَ. ولـم يَقـل: إنـه غـلامٌ لـه»، فلمَّـا قـدِمَ بشـرٌ مِـن سـفرِهِ، قـال: أَمَـا تعلـمُ أن يزيـدَ غلامِـي، فكيـف أعلـمُ أن يزيـدَ غـلامٌ لـك؟ ومـا ذكـرتَ ذلـك في شـيء مـن كُتُبِـكَ، ولا أعلـمُ خبرهمَـا عـن أحـدٍ غيـركَ، أليـس في ذلـك تفريـطٌ؟ فحلفـتُ أنـا أنَّ بِشْـرًا فَـرَّطَ، وحلـفَ بشـر أنِّـي أنـا فرَّطْـتُ حَيـث أعلمتُـكَ أن يزيـدَ غـلامٌ لَـي مـن كتبِـي، فأيّنـا المُفـرِّط. قـال أَمِيـرُ المؤمنيـن: بشـرٌ المُفـرِّط.

قـال بشـرٌ: أيّ شـيءٍ هـذا ممـا نحـنُ فيـه؟! اسـتغربَ هـذا الـكلام، فكأنَّـهُ يقـول: لا حاجـةَ بنـا إلـىٰ هـذا الـكلام.

ثـم بيـن الكنـانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مـا ذكـره بقولـه: إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخـبرَ في كتابـه عـن خلـقِ الإنسـانِ في ثمَانيـةَ عَشَـرَ موضعًـا في القـرآن كُلِّـه، كُلمَـا ذكـرَ الإنسـانَ كقَولـه تعالـىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعـام:٢]، وقولِـه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسـان:٢]، وقولِـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنـون:١٢]، وكذلـك في قولـه تعالـىٰ: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات:٢٠]، فذكـرَ في ثمَانيـة عَشَـرَ موضعًـا أنَّ الإنسـانَ مخلـوق، فهـذا بيـان أنـه فـرَّقَ بينَـهُ وبيـنَ غيـرِه، فالقـرآنُ قـد وردَ في أربعـة وخمسين موضعًـا مـن كتابـه كُلِهَـا ذكـرَهُ بلفـظِ التنزيـل.

قـال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:١]، وقـال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الأنعـام:١١٤]، وقـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢]، ففـي أربعـة وخمسـين مـا أخـبرَ أنَّـه مخلـوقٌ، ولا في مَوضـعٍ واحـدٍ منهـا، ولا أشـارَ إلـىٰ ذلـك بشـيءٍ مـن صفـاتِ الخلـقِ، ووردت آيتـان متتابعتـان جمـع بينهمـا (القـرآنَ وخلـق الإنسـانِ)، فأخـبرَ عـن خلـقِ الإنسـانِ، ونفـىٰ الخَلْـقَ عن القـرآنِ فقـال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن:١-٣]، في موضـعٍ واحـدٍ، فلـم يَقـل: خلـقَ القـرآن، فَفـرَّقَ بيـن الإنسـانِ وبيـن القـرآن.

ويزعـمُ بشـرٌ أن اللهَ فَـرَّطَ في الكتـابِ، فيجـبُ علـىٰ الله -علـىٰ قولِـه- أن يُخبِـرَ عـن خلـقِ القـرآن وهـذا تَفريـطٌ!

يقـولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعـام:٣٨]، ويقـولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، أليسَ في هـذا كَسْـرٌ لقـولِ بشـرٍ بالقيـاسِ؟!

فانكسرَ قولـه، والحمـدُ ربِّ العالميـنَ، وصلَّـىٰ اللهُ علـىٰ سـيدنَا ومولانَـا مُحَمَّـد وعلـىٰ آلـه وصحبِـهِ وسـلَّمَ.

فقـال المأمـونُ: أحسـنت، فكأنَّـهُ اقتنـعَ، وأمرَ للكنـاني بعشـرةِ آلاف درهـم، حُملَـتْ بيـن يَدَيـهِ حيـث يقـول: فانصرفـتُ مـن مجلسِـي علـىٰ أحسـنِ حـالٍ وأجملِهَـا، فقـد أعـزَّ اللهُ ديـنَ الإسـلام وأعـزَّ أهلَـهُ، وأذلَّ الكفـرَ وأهلَـهُ، ولله الحمـدُ والشُّـكْرُ علـىٰ نِعَمِـهِ كلِّهـا، وعلـىٰ مِنَنِـهِ وتوفيقِـهِ وتَسْـديدِهِ.

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فَسُرَّ المسلمونَ جميعًا بما وهَبهُم اللهُ من إظهارِ الحقِّ، وقَمْعِ الباطلِ، وانكَشفَ عن قلوبِهم ما كان قد اكتنفَهَا من الغمِّ والهمِّ والحَزَنِ، وجعلَ الناسُ يجيئونَ إليَّ أفواجًا؛ حتىٰ أغلقتُ بابي، واحتجبتُ عنهم؛ خوفًا علىٰ نفسي وعليهم مِن مكروهٍ يَلحقنَا.

فَقالَوا: لَا بُدَّ أنْ تُملي علينا ما جرىٰ؛ لنعرِفه ونتعلَّمَهُ، فتهيَّبتُ ذلك، وتخوَّفتُ سُوءَ العاقبةِ، فلمَّا ألحُّوا عليَّ قلتُ: أنا أذكرُ بعضَ ما جَرىٰ، ممَّا لا يكونُ عليَّ حُجَّةٌ في ذِكْرِهِ؛ فَرَضُوا بذلك، فأمليتُ عليهم أوراقًا يسيرةً مِقدارَ عَشْرِ أوراق مُختصرة مما جَرىٰ؛ لأقطعَهُم بها عنِّي، وعن مُلازمةِ بابِي، ولم يتهيَّأْ لي شَرْحُ هذا كُلِّه؛ لما تخوفتُ علىٰ نفسِي ممَّا قد يلحقني بَعضه، وأنا أذكرُ ما لَحِقَنِي بعد هذا المجلسِ، وما جَرىٰ بسبب تلك الأوراقِ التي كتبهَا الناس عنِّي في كتابٍ مُفردٍ، بعدَ هذا، إن شاء اللهُ تعالىٰ].

الشَّرحُ

قال الكنانيُّ: سُرَّ المسلمونَ جميعًا بما وهبَهُم اللهُ، وفرحوا حيث أظهرَ اللهُ الحَقَّ وقَمَعَ الباطلَ وأهلَه، فانكَشف عن قلوبِهم ما كان قد اكتنفهَا من الغمِّ والهمِّ والحَزَنِ، وهذا لمَّا ظهرت الحُجَّة.

وجعلوا يجيئونَ إليَّ أفواجًا؛ حتىٰ أغلقتُ بابي، واحتجبتُ عنهم؛ خوفًا علىٰ نفسي وَعليهم من مكروهٍ يلحقُنا، كأنَّه يقول إذا كثروا وتكاثروا عليَّ فقد تلحقنا تهمةٌ، ويكونُ هناك من يُفْشِي عنَّا، فَقالَوا: لَا بُدَّ أن تُمليَ علينا شيئًا ممَّا جرىٰ؛ لنعرفَه ونتعلمَه. قال: فتهيَّبتُ ذلك وتخوفتُ سوءَ العاقبةِ،

يَخشىٰ أنهم يقولونَ عليه شيئًا، ثم يقولونَ: إنه قال كذا وكذا، ولكنهم ألحُّوا عليَّ، فقلتُ: أنا أذكرُ بعضَ ما جرىٰ؛ حتىٰ لا يكونَ عليَّ حُجَّة في ذِكْره، فرضُوا بذلك، وأمليتُ عليهم عشر أوراقٍ مختصرة ممَّا جَرَىٰ؛ حتىٰ أقطعَهم عنِّي وعنْ مُلازمة بابِي، ولم يتهيأْ لي شرحُ هذا كلِّه؛ لِمَا تخوفتُ علىٰ نفسي ممَّا قد يَلْحَقُنِي بَعضهُ.

يعني: اختصر بَعضَ القصةِ.

قال: وأنا أذكرُ ما لحقنِي بعد هذا المجلس، وما جرىٰ بسبب تلك الأوراقِ -كَأَنَّ تلك الأوراق -أيضًا- صارت سببًا في وِشايةِ النَّاس عليه- التي كتبَهَا الناس عنهُ في كتابٍ مفردٍ، بعدَ هذا، إن شاء اللهُ تعالىٰ.

قال راوي المناظرة:

[قـال عبدُ العزيـز الكنانِـي: وكان خلـفَ ظَهْـرِي -وأنـا في مجلـسِ أميـرِ المؤمنيـن المأمـون أناظـرُ بشـرًا المَرِيسِـيّ علىٰ ما ذكرتـه في هـذا الكتـاب- رجـلٌ ممَّـن يُعـرفُ بالـكلام والنَّظـر، فجعـل كُلَّمـا سَـكَتَ بشـرٌ وانقطـعَ يحرِّضُـهُ علىٰ الـكلامِ، وإذا أردتُ أنـا أن أتكلـمَ لا يـزالُ يَهْـذِي خلفِـي ويقرِّبُ رأسَـهُ مـن أُذُنِـي؛ ليُسـمِعَنِي ويدهشَـنِي ويقطعَنـي بذلـك عـن حُجَّتِـي، فشـكوتُ إلىٰ أميرِ المؤمنين ذلـك؛ فصـاح بـه وباعَـدَهُ عنـي، فلمَّـا قلـتُ لبشـرٍ: «مـا مـن شـيءٍ كان، أو هـو كائـنٌ مما يحتـاجُ النـاس إلىٰ معرفتِـه وعلمِـه إلَّا وقـد ذكـره اللهُ عَزَّوَجَلَّ في كتابـه، عَقَلَـهُ مَـن عَقَلـهُ، وجَهِلَـهُ مـن جَهِلَـهُ»، فـإذا ذلـك الرجـلُ يَضـرِبُ يـده علىٰ فخِذِهِ ويقـولُ: يـا سُبحانَ اللهِ! تزعـمُ أنَّ كُلَّ مـا هـو كائـنٌ ممـا يحتـاجُ إليـه قـد ذكـرَهُ اللهُ! مـا أعظـمَ هـذا! وكيـفَ يعلـمُ مـا هـو كائـنٌ فيذكـرُهُ؟].

الشَّرحُ

هـذا عَـوْدٌ إلـىٰ بعـض المُناظـرة، كأنـه ألحَـقَ هـذا الـكلام -أيضًـا-، قـال: إنـه كان خلـفَ ظهـري -وأنـا في المجلـس وأنـا أناظـرُ بشـرًا- رجـلٌ مـن أهـلِ الـكلام والنَّظـر، فكُلَّمَـا سَـكَتَ بشـرٌ جعـلَ يُحَرِّضُـهُ علـىٰ الـكلامِ، وإذا أردتُ أن أتكلـمَ لـم يـزلْ يَهـذي خَلْفـي، ويرفـعُ صوتَـه، ويقـرِّبُ رأسَـهُ مـن أُذُني حتـىٰ يُسـمِعَني ويدهشـني ويَقطعُني بذلـك عـن حُجّتِي، كأن هـذا الرجـلُ مـن الجهميَّة ونحوِهـم.

قـال: فشـكوتُ إلـىٰ أميرِ المؤمنيـن، فصـاح بـه وبَاعَـدَه عنِّـي، فلمَّـا قلـتُ لبشـر: ما مِن شـيءٍ كان أو هـو كائـنٌ ممَّـا يحتـاجُ النـاس إلىٰ معرفتِـه وعلمِـه إلَّا

وقد ذكرَه اللهُ في كتابه، عَقَلهُ مَن عَقَلَهُ وجَهِلَهُ مَن جَهِلَه، كما تقَدَّم في ذكر الحَصير، فإذا ذلك الرجلُ يضربُ يدَه علىٰ فخِذه: يا سُبحَانَ اللهِ! تزعمُ أنَّ كُلَّ ما هو كائنٌ قد ذكرهُ الله، ما أعظمَ هذا، كيف يعلمُ ما هو كائن؟ ولعل هذا مِنَ الذين لا يؤمنون بِعِلْمِ الله السَّابِقِ، فإن هناك من يقولونَ: إن اللهَ لا يعلمُ الأشياء حتىٰ تَحدُث[1]!

(١) كغلاة المعتزلة. ينظر: شرح الطحاوية (٢/ ٣٥٣). وسيأتي ذِكْرُ غير المعتزلة (ص٣٠٧).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فالتفتُّ إليه، فقلتُ له: أنت جَهمِيٌّ قدريٌّ أيضًا، وأنت تَهْذِي دائمًا.

ثم أقبلتُ على المأمونِ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- إن هذا الذي شكوتُ إليك أذاهُ، منذ اليوم؛ هو جهميٌّ قَدَرِيٌّ، قد جمع الأمرين من جهتينِ، يُنكِرُ أَن يكونَ اللهُ يعلمُ ما يكونُ قبلَ أن يكونَ!

فقال المأمونُ: هذا قوله!

فقلتُ له: إن رَأىٰ أَمِيرُ المؤمنين -أطال الله بقاءه- أن يأذنَ لي حتىٰ أكذبَه، وأكسِرَ قوله، وأدحضَ حُجَّتَهُ، وأبطلَ مذهبَهُ بنصِّ التنزيل الساعة.

فقال المأمونُ: لهذا وقتٌ غير هذا، ومجلسٌ غير هذا، تتكلَّمُ معهُ، ومع غيره، في القَدَرِ خاصَّةً].

الشَّرحُ

يقول الكناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالتفتُّ إليه، وقلت: له أنت جَهمِيٌّ قدريٌّ.

فالجهميَّة المُعطلةُ: الذين ينكرونَ الصفات.

والقدرية: الذين ينكرونَ علمَ الله السَّابِقِ، ويقولون: إن اللهَ لا يعلمُ الأشياء حتىٰ تحدثَ، وإنَّ الأمرَ أُنُفٌ[1]!

والذِين ينكرون قُدرة الله ردَّ عليهم الإمامُ أحمدُ فقال: «القدرَ قُدرة الله»[2]، وأمَّا الذين يُنكرون علمَ الله السَّابِق أو اللاحق فقد رَدَّ عليهم الإمام

(١) الأمر أُنُفٌ؛ أي: مستأنف لم يَسْبِقْ به قَدَرٌ. ينظر: غريب الحديث للخطابي (٢/ ٣٩٤).

(٢) ينظر: السُّنَّة للخلال (٣/ ٥٤٤)، ومنهاج السُّنَّة (٣/ ٢٥٤)، وشفاء العليل (١/ ٩٧).

الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: «ناظروهم بِالعلم، فإن أقروا به خُصِموا، وإن جَحدوه كَفروا»(١).

وأنت تهذي دائمًا فتتكلمُ كلاما هُذَاءً.

ثم أقبلتُ على أميرِ المؤمنين، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين -أطال الله بقاءك- هذا الذي شكوتُ إليك أذاه، جَهمي قَدري جمع بين العقيدتينِ!

جمعَ الأمرينِ من جهتينِ: فينكرُ أَن يكون اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يعلمُ ما يكونُ قبل أَن يكونَ.

وقد تقدَّمَ الاحتجاج عليهم بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨].

قال المأمونُ: هذا قوله!

فقلتُ له: إن رَأَىٰ أميرَ المؤمنين أن يأذنَ لي حتىٰ أكذبهُ، فأكسِرَ قولَه، وأدحض حُجَّتَهُ، وأبطلَ مذهبَهُ، بنصِّ التنزيل، هذه الساعة.

ولكنَّ المأمونَ قال: لهذا وقتٌ غير هذا، ومجلسٌ غير هذا، سوف تتكلَّمُ فيهِ معه ومع غيرِه، في أمرِ القدر خاصة.

(١) ينظر: شرح الطحاوية (٢/ ٣٥٤).

قال راوي المناظرة:

[قال عبدُ العزيز: فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، ليس أُطَوِّلُ، إنما أحتجُّ عليه بآيةٍ واحدة.

فقال المأمونُ: قل ما تُريد.

قال عبدُ العزيز فقلتُ له: أتُنكِرُ أنَّ اللهَ يعلمُ ما يكونُ قبل أن يكونَ؟!

قال: نعم أنا أُنكِرُ هذا.

فقلتُ: والله يا أميرَ المؤمنين لقد عَلِمَ اللهُ ما لم يكن، وما لا يكونُ أن لو كان كيف كان يكون.

فصَاحَ الرجلُ: ما أجرأكَ علىٰ الكذبِ، الحمد لله الذي أخذك بلسانِك!

فقال لي المأمونُ: أعد هذا الكلام يا عبدَ العزيز.

فقلتُ له: نعم، واللهِ لقد علمَ اللهُ ما لم يكن، وما لا يكونُ أن لو كان كيف كان يكون].

الشَّرحُ

لمَّا قال الكنانيُّ: ليس أُطَوِّلُ، وإنما أحتجُّ عليه بآيةٍ واحدةٍ.

فقال المَأْمُون: قل ما تريد.

فقال للرجل: أتنكرُ أنَّ اللهَ يعلمَ ما يكون قبل أن يكون، أتنكِرُ أنَّ اللهَ يعلمُ المستقبلات قبل أن تحدُثَ.

قال الرجل: نعم أنا أَنكِر هذا، فكأنَّه بهذا يقول: إن الله لا يعلمُ ما في غدٍ، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

فاللهُ عَزَّوَجَلَّ عالمٌ بذلك.

فقال الكنانيُّ: يا أميرَ المؤمنين، عَلِمَ اللهُ ما لم يكن؛ يعني الأشياء المستقبلة، وما لا يكونُ أن لَو كان كيف كان يكونُ؛ الأشياءُ التي ما حدثت فلو حدثت فاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يعلمُ كيف تحدث.

فصاحَ ذلك الرجلُ: ما أجرأكَ علىٰ الكذبِ، الحمدُ لله الذي أخذ بلسانِك.

هكذا يدعي والعياذ بالله.

فقال لي المأمونُ: أعد الكلامَ يا عبد العزيز.

قلت: نعم والله لقد علم الله ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف كان يكون، يعني الأشياء التي ما حدثت إذا حدثت كيف تَحْدُثُ[1].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٨/ ٢٨٨، ٤٤٥).

قال راوي المناظرة:

[فقال لي المأمونُ: يا عبدَ العزيز، هذا شيءٌ تقوله من نفسك أو شيءٌ تحكيهِ عن غيرِك؟

فقلتُ له: هذا شيءٌ أَخْبَرَنا به في كتابه الذي أَنْزَلَهُ علىٰ نبيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لي المأمونُ: وأين ذلك من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؟!

قال عبدُ العزيز: فقلتُ له: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٧، ٢٨]، في قولِهم هذا، وهذا ما لم يكن ولا يكون؛ لأنهم لا يُرَدُّونَ لا هُم ولا غيرهم، فأَخْبَرَ عَزَّوَجَلَّ بعلمِه السَّابِقِ فِيهِم أن لو ردوا ما كانوا فاعلينَ، ولن يُردُّوا أبدًا، فهذا ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكونُ.

فقال لي المأمونُ: أحسنت يا عبدَ العزيز، وما قلتَ في يومِك هذا شيئًا أحسنَ ولا أدقَّ مِن هذا.

فقلتُ: قد أكذَبتُ واللهِ أهلَ هذه المقالةِ، وكسرتُ قولَهم، ودحضتُ حُجَّتَهم، وأبطلتُ مذهبَهم بنَصِّ التنزيل بلا تأْوِيلٍ ولا تفْسيرٍ.

والحمدُ لله رب العالمين.

تمَّ كتابُ «الحَيدة» بعونِ الله تعالىٰ وتوفيقِه، وصلَّىٰ اللهُ علىٰ سيدِنا ومولانا مُحَمَّدٍ وعلىٰ آلِه وَصَحْبِهِ وسلَّمَ تسليمًا كثيرًا، وآخرُ دَعْوانا أَنِ الْحمدُ لله ربِّ الْعالمينَ.

الشَّرح

قال المَأْمُونُ للكنانيِّ: هذا شيءٌ تقوله من نفسك أنَّ اللهَ يعلمُ المستقبَلات، أو شيءٌ تحكيه عن غيرِك؟

فقلتُ: بل شيءٌ أَخْبَرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ به في كتابه الذي أَنْزَلَهُ علىٰ نبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فقال له المأمونُ: أين ذلك من كتاب الله؟.

فقرأ قولَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فيتمنوْنَ أن يُردُّوا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُ﴾، لمَّا ظهرت لهم سيئاتُهم؛ ثم قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾، لرجعوا إلىٰ شركِهم ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾[الأنعام:٢٧،٢٨].

فأخبرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأَنَّهم لَو رُدُّوا لأشركوا، فهل يُردون؟! اللهُ تعالىٰ أخبرَ بأَنهم لا يُردُّون، كاذبونَ في هذا القول، وهذا ما لم يكن ولا يكون، فلا يردون أبدًا لا هُم ولا غيرهم، فأخبرَ تعالىٰ بعلمه السَّابِقِ فِيهِم أنهم لو ردوا ما كانوا فاعلين في قَوْلِهِم: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ﴾، ولن يُردُّوا أبدًا، هذا ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون. عَلِمَ اللهُ به.

فأقرَّهُ المأمونُ علىٰ أَنَّ هذه المقالةَ حَسَنَةٌ ودَقيقةٌ(١).

وقال الكِنَانِيُّ رحمه الله تعالىٰ: والله إنِّي أكذبتُ أهلَ هذه المَقالةَ بردِّي عليهم، وكسرتُ أقوالَهم، ودحضتُ حُجَجهم، وأبطلتُ مذاهبهم.

والحمدُ لله رب العالمين.

---

(١) ينظر: الرياض الندية علىٰ شرح العقيدة الطحاوية للشيخ ابن جبرين (٢/ ٤٣٣).

الفهارس العلمية

◉ فهرس الآيات القرآنية.

◉ فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

◉ فهرس الأعلام المترجم لهم.

◉ فهرس المصادر والمراجع.

◉ فهرس الموضوعات والفوائد.

فهرس الآيات القرآنية

سورة الأعراف

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

١- الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله ابن بطة العُكْبَري، دار الراية، الرياض، تحقيق: مجموعة من المحققين.

٢- ابن حنبل: حياته وعصره، آراؤه الفقهية، للشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.

٣- أبي كما عرفته، لهيا بنت عبد الله الجبرين، مدار الوطن، الرياض، ط٢، ١٤٣٩هـ.

٤- اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، لابن القيم، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، ط٤، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، تحقيق: زائد النشيري.

٥- أحكام القرآن، لأبي بكر الجصّاص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، تحقيق: عبد السلام شاهين.

٦- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لأبي محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ، تحقيق: عمر بن محمود.

٧- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لشمس الدين ابن مفلح المقدسي، عالم الكتب، بيروت.

٨- الأزمنة والأمكنة، لأبي علي، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٩- الأزمنة وتلبية الجاهلية، لأبي عليّ، محمد بن المستنير، الشهير بقُطْرُب، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، تحقيق: حنا جميل حداد.

١٠- أعجوبة العصر = سيرة سماحة الشيخ ابن جبرين، لعبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، مؤسسة ابن جبرين الخيرية، الرياض، ط ١، ١٤٣٣هـ.

١١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤٢٣هـ، تحقيق: مشهور سلمان.

١٢- الأعلام، لخير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.

١٣- الأنساب، لأبي سعد السمعاني، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م، تحقيق: الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني، وغيره.

١٤- البداية والنهاية، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير البُصروي الدمشقي، دار هجر، مصر، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ومركز البحوث والدراسات بدار هجر.

١٥- بدائع السّلك في طبائع الملك، لشمس الدين ابن الأزرق الغرناطي، وزارة الإعلام، العراق، ط١، تحقيق: د. علي سامي النشار.

١٦- بدائع الفوائد، لشمس الدين ابن قيّم الجوزية، دار عطاءات العلم، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، ط٥، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، تحقيق: علي العمران.

١٧- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين، محمد بن بهادر الزركشي، دار إحياء الكتب العربية -الحلبي-، القاهرة، ط ١، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٨- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٢٦هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين.

١٩- تاج العروس من جواهر القاموس، لمرتضى الزَّبيدي، دار الهداية، الكويت، تحقيق: عبد الستار فراج، ومجموعة من كبار المحققين.

٢٠- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام المؤرخ شمس الدين الذهبي الدمشقي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٢١- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، لحسين بن محمد الدِّيار بَكْري، دار صادر، بيروت.

٢٢- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

٢٣- تاريخ بغداد= تاريخ مدينة السلام، لأبي بكر، أحمد بن علي بن ثابت، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٢٤- تاريخ دمشق= تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم، علي بن الحسن ابن عساكر، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي.

٢٥- التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، لعلاء الدين المَرْدَاوِي الدمشقي الحنبلي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، ود. عوض القرني، ود. أحمد السراح.

٢٦- تحرير ألفاظ التنبيه، لأبي زكريا النووي الدمشقي الشافعي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ، تحقيق: عبد الغني الدقر.

٢٧- التحرير والتنوير = تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤م.

٢٨- التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، لفالح بن مهدي الدوسري، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤١٣هـ.

٢٩- التدمرية= تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط ٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي.

٣٠- التعريفات، للشريف عليّ بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣١- تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٦هـ، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي.
٣٢- تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي.
٣٣- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير البُصروي الدمشقي، دار طيبة، الرياض، ط ٢، ١٤٢٠ - ١٩٩٩م، تحقيق: سامي السلامة.
٣٤- التفسير البسيط، لأبي الحسن، عليّ بن أحمد الواحدي النيسابوري، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط ١، ١٤٣٠ هـ، تحقيق: مجموعة من الباحثين.
٣٥- تفسير البغوي = معالم التنزيل، لمحيي السنة، الحسين بن مسعود البغوي، دار طيبة، الرياض، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان الحرش.
٣٦- تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.
٣٧- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر.
٣٨- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش.
٣٩- تفسير غريب ما في الصحيحين، لأبي عبد الله، محمد بن فتوح الحميدي، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ، تحقيق: د. زبيدة محمد عبد العزيز.

٤٠- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين، أبي الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن المِزّيّ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، تحقيق: د. بشار عواد معروف.

٤١- تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب.

٤٢- التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، لعبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤٣- جمهرة اللغة، لأبي بكر ابن دُريد الأزدي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، تحقيق: رمزي منير بعلبكي.

٤٤- جمهرة أنساب العرب، لأبي محمد، عليّ ابن حزم الأندلسي الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٤٥- جهود الشيخ محمد حامد الفقي في نشر العقيدة السلفية، رسالة ماجستير، لموفق كدّسة، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ.

٤٦- الحيدة والاعتذار في الرد علىٰ من قال بخلق القرآن، لأبي الحسن، عبد العزيز بن يحيىٰ الكناني المكي، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٤م، ط أخرىٰ: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٣هـ، تحقيق: د. علي الفقيهي.

٤٧- الخصائص، لأبي الفتح، عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

٤٨- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ومركز هجر.

٤٩- الدرء = درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ٢، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٥٠- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، لمحمد الأمين الشنقيطي، مطبوع ضمن آثار الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.
٥١- ديوان امرِيء القيس، لامريء القيس الكندي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، اعتنىٰ به: عبد الرحمن المصطاوي.
٥٢- روضة الناظر وجنة المناظر، للإمام موفق الدين، أبي محمد ابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريّان، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، تحقيق: د. شعبان إسماعيل.
٥٣- الرياض الندية علىٰ شرح الطحاوية، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، تحقيق: د. طارق الخويطر.
٥٤- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٥٥- زاهد الكوثري وآراؤه الاعتقادية، رسالة ماجستير، لعليّ بن عبد الله الفهيد، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ.
٥٦- الزهد، لإمام أهل السنة أبي عبد الله، أحمد بن حنبل الشيباني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين.
٥٧- السنة، لأبي بكر، أحمد بن محمد بن هارون الخَلَّال البغدادي الحنبلي، دار الراية، الرياض، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، تحقيق: د. عطية الزهراني.
٥٨- السنة، لعبد الله بن أحمد بن حنبل البغدادي، دار ابن القيم، الدمام، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني.
٥٩- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.

٦٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن العماد الدمشقي الحنبلي، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: محمود الأرناؤوط، أشرف عليه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط.

٦١- شرح التسهيل، لابن مالك الطائي الأندلسي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، د. محمد بدوي المختون.

٦٢- شرح العقيدة التدمرية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، القصيم، ط١، ١٤٣٧هـ.

٦٣- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله التركي.

٦٤- شرح المعلقات السبع، لأبي عبد الله، حسين بن أحمد الـزَّوْزَنيّ، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٦٥- شرح النووي علىٰ مسلم= المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لمحيي الدين، أبي زكريا، يحيىٰ بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

٦٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، دار عطاءات العلم، الرياض، ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م، تحقيق: زاهر بن سالم بَلفقيه.

٦٧- الصحاح -تاج اللغة وصحاح العربية-، لأبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

٦٨- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسُننه وأيامه، لأمير المؤمنين أبي عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري، -مصورة الطبعة السلطانية- دار طوق النجاة، بيروت، ودار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢٢هـ، صورها ورقمها: محمد زهير الناصر.

٦٩- صحيح مسلم، لأبي الحسين، مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري، مطبعة الحلبي، مصر ١٩٥٥م، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٧٠- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لشمس الدين ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ، تحقيق: علي بن محمد الدخيل.
٧١- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبكي، دار هجر، مصر، ط ٢، ١٤١٣هـ، تحقيق: د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو.
٧٢- العِبَر في خبر من غبر، للإمام المؤرخ شمس الدين، أبي عبد الله، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أبي هاجر، محمد السعيد بن بسيوني زغلول.
٧٣- العرش، للإمام شمس الدين الذهبي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٤هـ، تحقيق: د. محمد بن خليفة التميمي.
٧٤- عمدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود.
٧٥- العين =كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي.
٧٦- غريب الحديث، لحمد بن محمد الخطابي، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي.
٧٧- غريب القرآن، لأبي محمد ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م، تحقيق: السيد أحمد صقر.
٧٨- الفتاوى الكبرى، للشيخ تقيّ الدين ابن تيمية الحرّاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
٧٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لشهاب الدين، أبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري الشافعي، دار المعرفة، بيروت.

٨٠- الفرج بعد الشدة لأبي عليّ، المحسن بن علي التنوخي البصري، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م، تحقيق: عبود الشالجي.

٨١- الفَرق بين الفِرق، لأبي منصور، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م.

٨٢- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد، علي بن حزم الأندلسي، الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٨٣- الفهرست، لابن النديم البغدادي المعتزلي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، تحقيق: إبراهيم رمضان.

٨٤- قِلادة النَّحْر في وَفَيَات أعيان الدهر، لأبي محمد، الطيب بن عبد الله بامخرمة الحضرمي، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م، تحقيق: بو جمعة مكري، وخالد زواري.

٨٥- الكامل في التاريخ، لعز الدين ابن الأثير الجزري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري.

٨٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم الزمخشري المعتزلي، مطبعة كلكتة، الهند، ١٢٧٩هـ- ١٨٥٩م، ط أخرىٰ: مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض.

٨٧- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩، تحقيق: الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ علي معوض.

٨٨- لسان العرب، لجمال الدين ابن منظور الافريقي، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.

٨٩- لسان الميزان، للحافظ أبي الفضل، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري الشافعي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٩٠- لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، لعبد الحق الدّهلوي، دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م، تحقيق: أ د. تقي الدين الندوي.

٩١- مجموع الفتاوىٰ = مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، لشيخ الإسلام ابن تيميّة الحراني، جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٩٢- المحكم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن ابن سِيْدَه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي.

٩٣- المحن، لأبي العرب التميمي، دار العلوم، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، تحقيق: د. عمر سليمان العقيلي.

٩٤- مختار الصحاح، لزين الدين، محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العصرية، والدار النموذجية، بيروت، ط ٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: يوسف الشيخ.

٩٥- المدخل المفصل إلىٰ فقه الإمام أحمد بن حنبل وتخريجات الأصحاب، لأبي عبد الله، بكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٩٦- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، لأبي محمد، عليّ ابن حزم الأندلسي الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٧- مسند أحمد، لإمام أهل السنة، أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، وبهامشه: حاشية السندي علىٰ المسند، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين.

٩٨- المسودة في أصول الفقه، لآل تيمية: مجد الدين أبي البركات، وولده عبد الحليم، والحفيد تقيّ الدين، دار الكتاب العربي، بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

٩٩- مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار، للقاضي عياض اليحصبي، المكتبة العتيقة، تونس، ودار التراث، مصر.

١٠٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأبي العباس الفيومي الحموي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٠١ - مصطلحات في كتب العقائد، لمحمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١.

١٠٢ - معاني القرآن، لأبي جعفر، أحمد بن محمد النحاس، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ، تحقيق: محمد علي الصابوني.

١٠٣ - معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٠٤ - معجم البلدان، لشهاب الدين، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

١٠٥ - معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال، الحسن بن عبد الله العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات.

١٠٦ - معجم المؤلفين، لعمر رضا كَحَّالَة، مكتبة المثنىٰ، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٧ - المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، مصر.

١٠٨ - المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي.

١٠٩ - المُفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس، أحمد بن عمر القرطبي، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، تحقيق: محيي الدين مستو، وآخرين.

١١٠ - مقالات الكوثري، لمحمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

١١١ - مقاييس اللغة = معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس القزويني الرازي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: العلامة عبد السلام محمد هارون.

١١٢ - مقدّمة في أصول التفسير، لأبي العباس ابن تيمية الحرّاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

١١٣- مناقب الإمام أحمد، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار هجر، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.

١١٤- مناقب الشافعي، لأبي بكر، أحمد بن الحسين البيهقي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، تحقيق: السيد أحمد صقر.

١١٥- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

١١٦- موسوعة التفسير المأثور، مركز الدراسات بمعهد الإمام الشاطبي، إشراف: أ د. مساعد الطيار، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ.

١١٧- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للحافظ شمس الدين الذهبي، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٣٨٢ هـ- ١٩٦٣م، تحقيق: علي البجاوي.

١١٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات، مجد الدين ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي.

١١٩- الوافي بالوَفَيَات، لصلاح الدين، خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفىٰ.

١٢٠- الورقات، لإمام الحرمين، أبي المعالي، عبد الملك بن عبد الله الجُويني، دار التراث، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ، تحقيق: د. عبد اللطيف محمد العبد.

١٢١- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن الواحدي النيسابوري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، ود. عبد الرحمن عويس، وآخرين.

١٢٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لشمس الدين ابن خلّكان الإربلي، دار صادر، بيروت، تحقيق: د. إحسان عباس.

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة